ردٌّ

على كتاب السقيفة

بقلم

عبد الله الحضرمي

مطابع

دار الكتاب العربي بمصر

محمد حلمي المنياوي

عبد الله الحضرمي

ردٌّ على كتاب السقيفة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة، والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد: فهذا كتاب ضمنته مناقشة لما ورد فى كتاب السقيفة الذى صدر فى النجف لصاحبه محمد رضا المظفر، من مغالطات وأكاذيب وانتحال، وقد حرصت على إخراجه بعبارة سهلة وألفاظ دارجة، ليسهل فهمها على كل من يتناولها من طبقات الشعب، وأفراد الأمة على اختلاف نزعاتهم وأذواقهم وهذه هى الغاية المنشودة لى، والمقصد المهم من تحريرها ونشرها. وقد دفعتنى غيرتى على أصحاب رسول الله أمراء المؤمنين ورؤساء المسلمين وزعماء الأمة العربية عما قد يشوه سمعتهم، ويحط من كرامتهم وهم الذين بذلوا مهجهم وأفنوا أعمارهم فى خدمة دين الله وخدمة رسول الله فكافحوا وجاهدوا وفتحوا وأسسوا وشرعوا، وأورثونا ملكا واسعا وعزاً شامخاً ومجداً أثيلا، فجزاهم الله عن المسلمين والعرب خير الجزاء.

والعجب كل العجب ممن تجاوز حده وتحدى منزلته، فنصب نفسه لمعاداتهم والإساءة إليهم! فلماذا كل هذا ؟!.. ألأغراض شخصية .. أم للثأر والانتقام ؟ لا أدرى.

لا يضر البحر أمسى زاخراً   أن رمى فيه غلام بحجر

العدل والاعتدال فى المسلمين أهل السنة

قال اليهود فى عيسى عليه الصلاة والسلام ما قالوا ، ورموه بما رموه وقد أفرطوا ، وقال النصارى فى عيسى ما قالوا واعتقدوا فيه ما اعتقدوا وقد أفرطوا ، فوقف الإسلام بينهما وحكم حكما عادلا معتدلا فى عيسى بلا إفراط ولا تفريط (وخير الأمور أوسطها)

كذلك زعمت الخوارج فى على رضى الله عنه ما زعمت ، ورمته بما رمت وحطت من قدوه ففرطت ، وجاءت طائفة فاعتقدت فى على ما اعتقدت وغالت فيه ما غالت فأفرطوا ، فوقف المنصفون المعتدلون أهل السنة بين الفريقين موقف الحكم العدل بلا إفراط ولا تفريط .

عتاب السقيفة على ما اقترفت وأفرطت كأمثالها

كل يوم يطلع علينا كتيب من متطرف فى إحدى الطوائف قد نفث فيه سمومه وأعلن به أحقاده من غير مجاملة ولا رعاية فى مس عواطف الباقين ، قد حمله غله وما يكنه من غيظ لرجالات الأمة العربية كأنه موتور وله ثأر عندهم ، وكأنهم قد أساءوا إليه فأراد أن يثأر منهم ويسىء إليهم ، أليس هم الذين وقفوا أنفسهم فى سبيل الله وإعلاء كلمة الله ؟ فبذلوا جهوداً جبارة ورفعوا رايات الإسلام عالية خفاقة فوق حصون الفرس والروم وجبال الهند وتركستان ، حتى أصبحت ملوك الدنيا تهابهم وهم فى عواصمهم

آثارنا تدل علينا

أفى هذا شك أو جدل ؟ اللهم إلا المكابرة والصلف وغمط الحق ولكن أنى للغربال أن يحجب الشمس .. أليست مخلفاتهم القيمة لا تزال ماثلة للعيان ، شاهدة بعظمتهم وأعمالهم الخارقة مع إخلاص وعفة وأمانة ؟.

الآيات الواردة فى حقهم والإطراء عليهم ؛ قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » الخطاب لهم قصداً وبالذات « كنتم أمة وسطا » « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه » « والسابقون السابقون أولئك المقربون ».

« والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله » « والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم » .

ثم أراد الله سبحانه أن يؤدب الناس ليلزموا طريق الأدب معهم فقال : « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا » .

فبناء على هذا ينبغى لكل مؤمن كامل الإيمان ، راسخ العقيدة أن يتأدب معهم ولا يذكرهم إلا بخير ؛ أليس هذا أسلم؟ على أنا لم نجد فى شرعنا ولا فى قرآننا أن المتأخرين مسئولون عن المتقدمين عند الله بما عملوا أو كسبوا .

« تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون » .

ومن الأدب فى حقهم تأويل ما وقع بينهم وما صدر منهم بتأويل حسن ، ولا بد أنه كان ناتجا عن اجتهاد صواب أو خطا . وأن نحسن الظن بهم لأن بعض الظن إثم .

« والعصمة لا تكون إلا لنبي » .

فمن ادعى العصمة لغير الأنبياء فهو مغال جاهل .

فهذا أدبنا تجاههم عموماً وعلى كل عربي أن يجعلهم نصب عينيه خاشعا متأدبا مع الإجلال والإكبار .

صاحب السقيفة يريد تفريق الكلمة بين المسلمين

ما كان أغناك ياصاحب السقيفة عن كتابة هذه الأخبار الملفقة المهيجة للأعصاب ، المثيرة للضغائن والفتن بين الجانبين من أبناء الشعب والوطن ،ولا أدرى هل أنت غريب عن هذه الديار نعم أراك لا يهمك من أمرهم شيء .. أتريد يا هذا أن تهدم بمعولك المعوج ما بناه المصلحون .. وهل تريد أن تمهد السبيل للأجنبي الذى ينتهز الفرص ليستفيد منها .. ألم تكن لك عبرة بالحوادث إن كنت تعتبر ؟

لقد أتعبت نفسك وصرفت وقتك فى أمور ضارة غير

نافعة ،وكان الأحرى بك يا صاحب السقيفة — وأنت متسم بسمة أهل العلم على ما يلوح لى — أن تصرف وقتك الثمين فى نشر الرسائل القيمة المفيدة للناس ، من وعظ وإرشاد وأمر بمعروف ونهى عن منكر ، وأن تنصح العوام عن ارتكاب البدع والخرافات التى شوهت وجه الدين الإسلامى ، وشوشت العقيدة السلفية الصحيحة حتى ضاع الأصل ،واشتبه على الناس الحق فلم يفرقوا بين الصحيح والسقيم والحق والباطل .

إلفات نظر السقيفة إلى العلوم الحديثة والتجدد

ألم يرعك ويلفت نظرك مخترعات الأوربيين الغربية المدهشة كالكهرباء والراديو والقنبلة الذرية وغيرها مما تحير العقول ، قد أنتجتها علومهم لخدمة البشر أو للغناء والثروة .

وأنت يا صاحب السقيفة فى هذا العهد تقضى ردحا من عمرك فى مطالعة كتب الوقائع البالية لتخرج للناس أمثال السقيفة ..نعم أنا لا أنكر فائدة التاريخ وفلسفة التأريخ والوقوف على أحوال الأمم الماضية للاعتبار ، حتى أن القرآن الكريم تطرق إلى سرد القصص والأخبار للموعظة والاعتبار ، وهذا إذا كان النقل صحيحاً موثوقا والرواة من أهل العدالة والضبط يروون الأخبار بدقة ،وينقلونها إلينا بلا دس ولا تحريف للواقع،ولا بتعبير معكوس حسب النزعة والهوى .

فإن قال قائل من يعرف هذا الناقل بأنه غير موثوق ؟ أو صاحب نزعة ؟ الجواب يعرفه أهل النظر الصحيح ، والعقل السليم ، والمطلع على ما جريات الأمور ،وله وقوف تام على أهل الأهواء وأهل الأغراض، والمتتبع لسير الحوادث جيداً ، وإلا فلا حق له أن ينقل إذا لم تتوافر فيه هذه الأوصاف، ولا حق له أن يستشهد بها إن لم يفرق بين الغث والسمين .

تنبيـــــه عام

وعلى الناظر فى كتب التاريخ وكتب الحديث وكتب التفاسير أيضاً أن يتروى ويحكم عقله فى صحة هذا المنقول رواية ودراية وأن لا يقبله على علاته معتمدا على صاحب الكتاب ، واثقا بروايته بمجرد النظر ، فكم لعبت أيدى الغرباء الشعوبيين وأيدى المغرضين فى الدس والوضع والإسرائيليات مما درجت اليوم بين الناس وانتشرت وشاعت ، فمن الصعب بل من المتعذر إرجاعهم عن فكرتهم وإقناعهم بعدم صحتها لأنها أصبحت مألوفة دارجة بينهم فالعقل محكم فى كل ما يروى وينقل — سوى القرآن الكريم — والجهل كل الجهل فى العصبية والتقليد الأعمى .

« ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا » .

« ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا » .

تأثير العقيدة على التاريخ

كذا تقول السقيفة — وأنا أيضاً أقول بقولها فأقول : نعم إن للأهواء والنزعات والاختلافات المذهبية والعناصر الغريبة تأثيراً

كثيرا وسيئاً على تاريخ المسلمين وولاة المسلمين وكتب المسلمين .

فإن الموتورين من الأقليات والغرباء لم يقصروا فى تلويث التاريخ وتشويه صفحاته البيضاء ، ولم يألوا جهداً فى وضع الأحاديث وخلط التفاسير بالأخبار الإسرائيلية بحيث فقدت الثقة بها والاعتماد عليها ؛ فهؤلاء الغرباء لما عجزوا عن مناوأة المسلمين والعرب بالسيف استخدموا أقلامهم المفلوجة وسهامهم القصبية فنالت من المسلمين والعرب أكثر مما تناله سيوفهم وسهامهم الحديدية ولعبوا دوراً هاماً ؛ فدسوا ووضعوا وكذبوا وقلبوا الحقائق وملأوا الدفاتر والقراطيس وقد صرفوا لها وقتا ثمينا غاليا ، لكنه فى سبيل هذه الغاية رخيص ورخيص جداً عندهم .

أما الخلفاء الراشدون فكانت كل أعمالهم مجيدة لا تخرج عن دائرة الشرع فى أحكامهم وفى سياستهم وفى أقضيتهم وفى تشريعهم ، فكلها مأخوذة من الكتاب والسنة الشريفة ومؤيدة بإجماع الصحابة العدول الذين هم خير القرون وهم مبرأون من كل تهمة ووصمة وجهها إليهم أعداؤهم ، فلا مجال لثلب الخصوم وطعنهم كيف ورسول الله مات وهو عنهم راض وهم عنه راضون .

نعم إن الإنسان لا يخلو عن زلة أو خطأ أو سيئة ، ولكنها مغفورة له إن اجتنب الكبائر « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما » .

الوضع والدس

تزعم السقيفة أن الوضاعين والدساسين كانوا كثيرين في القرون الأولى من الهجرة لاسيما في القرن الأول .

أقول إن أرادت السقيفة بالقرن الأول أصحاب رسول الله فهذا كذب وافتراء على سادات الأمة وأئمة الإسلام ، وكيف يقدمون على وضع الأحاديث على رسول الله (ص) وهم قد رووا عنه (ص) أنه قال : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وكيف يجرؤون على الكذب وقد لعن الله الكذابين على اختلافهم في القرآن الكريم في آيات متعددة .

ثم ليس هناك ما يدعو إلى الدس والوضع سواء من ولاة الأمور أو من غيرهم .

أما ولاة الأمور وذوو السلطان منهم فهم مؤيدون مطاعون ولهم الكلمة النافذة يعزلون وينصبون وبيدهم القيادة العسكرية العليا ولهم الطاعة التامة من رعاياهم ، فلا حاجة لهم في الدس والوضع وإنما يحتاج إلى الوضع والدس المغلوب والضعيف ليصرف وجوه الناس عن المالك ويفسد عليه أمره بالطعن والثلب ، وهذا قد وقع فعلا . اسأل الثورات والاضطرابات والمشاغبات التي حدثت بين الدول قديمها وحديثها بدافع المنافسة والأنانية والمغالبة على الإمارة والسلطة ، أما بقية الصحابة من غير ولاة الأمور وهم المسالمون فأي غرض لهم بالوضع والدس وقد امتثلوا أمر

مولاهم « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » .

وإن أرادت السقيفة بالقرن الأول التابعين ، فهذا أيضا بعيد لا يتصور عنهم ، كيف وقد رأوا الصحابة وأخذوا عنهم وتأدبوا بأدبهم واكتسبوا الفضائل والأخلاق الحسنة وهم قريبو عهد بالإسلام هذا من حيث العموم .. نعم يجوز أن يندس بينهم بعض الغرباء من البلاد المفتحة من الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم فانحازوا لبعض الطوائف وتطرفوا لبعض الأشخاص بقصد الشغب والاختلال ضد الدولة القائمة، فدسوا ووضعوا مااستطاعوا إلى ذلك سبيلا ، وبثوا الدعايات الكاذبة والاختلافات المزرية بلا ضمير ولا وجدان ولا ذمة ولا إيمان ؛ وقد لعب الشعوبيون فى هذه الفرصة السانحة دوراً هاماً من شعراء ومحدثين وكتاب ومؤرخين، ولم يألوا جهدا فى الدعاية لتفريق الوحدة العربية والحط من منزلة العرب والإسلام ، وقد نسبوا كل نقيصة تحط من شأنهم وعظمتهم حتى نسبوا إليهم الكفر والفسق ، هكذا شأن الموتور والمغلوب يسعى بكل جهوده ضد الغالب للأخذ بالثأر ؛ وهؤلاء وإن تظاهروا بمظهر الإسلام فهم فى الحقيقة أعداء للإسلام .

تستشهد السقيفة بعهد الأمويين فى الوضع والدس على خصومهم أى على (على وأبنائه) رضى الله عنهم ، والحط من كرامتهم .

فهذا أيضاً غير صحيح لأن عهد الأمويين هو عهد التابعين وقد ذكرنا أن التابعين فى ذلك العهد لم يزالوا متمسكين محافظين

متبعين لآثار الصحابة ، والدين لايزال فى ذلك الزمن قوياً جديدا لم يهرم ولم يضعف بعد، فلا يقدر الأمويون أن يقدموا على ثلب علىّ أو غيره من الصحابة وهو خلاف سياستهم لئلا يهيج الرأى العام ضدهم ، فليس من مصلحتهم أن يتعرضوا لسب أحد أو طعنه ولا سيما إذا كانت له منزلة فى نفوس الناس ، أما قول السقيفة أن الأمويين حملهم على الوضع والدس تثبيت ملكهم فهذا بعيد فإن دس الأمويين ثابت بطبيعته راسخ الأركان ، بيدهم القوة والملك وقد استقر لهم كل شىء .

عهد العباسيين

وأراك ياصاحب السقيفة نسيت أو تناسيت عهد العباسيين ضد خصومهم الأمويين ومنافسيهم العلويين كيف اشتغل العباسيون وبذلوا جهوداً كبيرة فى وضع الأخبار والدس وذم الطرفين وحطهم من نظر الناس ليصفو لهم الجو فى تدعيم بنيان دولتهم الفتية التى تأسست بسلاح الفرس وبخروجهم على دولة العرب الأقحاح والقضاء عليهم تخلصا منهم ،والقيام عليهم باسم العباسيين صورة لا حقيقة كما ظهر بعد ذلك حيث قتل أبو جعفر المنصور القائد الفارس أبامسلم الخراسانى الذى قام بهذه الثورة ضد العرب فكان ذلك خير جزاء له .

ثم أخذ العباسيون يوعزون للشعراء والكتاب والمؤرخين والمحدثين من الشعوبيين أن يقولوا ويكتبوا وينظموا فى مدح

العباسيين، كالقول بأنهم أحق من العلويين وأنهم أبناء عم النبي (ص) وهو الوارث الشرعي له دون أبناء البنت. كما قال شاعرهم:

أنى يكون وليس ذاك بكائن لبنى البنات وراثة الأعمام

ثم أخذ الشعوبيون في ذم الأمويين والنيل من كرامتهم ومنزلتهم، وهي فرصة سانحة لهم، فلم يقصر الموتورون في نسبة كل شيء لهم حتى الكفر فما نراه اليوم في هذه الكتب ضد الأمويين من ثلب وطعن هو من آثار أولئك الأعداء الناقمين من الغرباء والشعوبيين.

عهد البويهيين الفرس في بغداد

تتغابى السقيفة عن عهد البويهيين الفرس في بغداد وما عملوا ضد العرب والمسلمين من ظلم وجور وانتقام حتى من الخلفاء الهاشميين، وكادوا يقضون على الخلافة الهاشمية العباسية ويقلبونها فارسية كما أراد قبلهم أبو مسلم الخراساني الذي ثار بوجه العرب الفاتحين بدعوة الخلافة الهاشمية حتى قتله المنصور العباسي — كما تقدم — وكما عزم البرامكة الفرس على نفس العمل فأبادهم هرون الرشيد العباسي وقضى عليهم لخيانتهم ومكرهم وسعيهم الحثيث لقلب الحكومة العربية. فهؤلاء البويهيون استخدموا لغايتهم الخبيثة أبناء جلدتهم من الشعوبيين في وضع الأحاديث والدس المشوه للحقيقة والثلب والطعن، ذلك لتسفيه العرب وتسفيه آرائهم وتشويش علومهم ومعتقداتهم، فعبثت أيدي هؤلاء بالأحاديث

والتفاسير والأخبار ، ولطخوها بالخرافات والأضاليل ، وطلوها على البسطاء من علماء وعوام ، وراجت وانتشرت ، ومن الصعب بمكان تفهيم هؤلاء وإرجاعهم إلى الصواب لأنهم ألفوها وجرت على ألسنتهم وتغلبت على مداركهم .

دولة العبيديين فى مصر •

السقيفة تخص بالذكر عهد الأمويين فى الوضع والدس وتتغافل عن عهد العبيديين فى مصر .. فهؤلاء العبيديون كم وضعوا وكم دسوا وكم انتقموا وكم غيروا وكم تلاعبوا فى أحكام الشريعة، فكانت أحكامهم كيفية لا تسند على شرع ولا على كتاب ونظام . يحكم الأمير اليوم حكما وفى اليوم الثانى يحكم بضده لا تربطهم رابطة قانون ولا شرع بل ولا دين ، فمنهم من ادعى الألوهية ومنهم الباطنية الملاحدة ، حتى بعث الله عليهم الملك المظفر صلاح الدين الأيوبى فقضى على دولتهم — يمدح شاعرهم أحد ملوكهم بقوله :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

كما قضى السلجوقيون الترك على البويهيين وقرضوهم وأبادوهم من الوجود ، وأعادوا كثيراً من امتيازات الخلافة إلى الخليفة الهاشمى العباسى التى اغتصبها منه البويهيون . فهذا عهد البويهيين وهذا عهد العبيديين كيف سعوا لهدم الخلافة الإسلامية وتلاعبوا فى أمر الدين وتحكموا فى الانتقام من المسلمين وشوشوا ودسوا ووضعوا وانتقموا لغايات طائفية وثارات فارسية .. فهؤلاء فى

مأمن من تعرضك لهم وهم فى حل عندك فلا نقد فيما عملوا ولا عتاب فيما جاءوا به .

اضطراب الأخبار

أما التناقض والاضطراب فى الأخبار والأحاديث والأزمنة كما تذكر السقيفة فهذا أمر لا يخلو منه قرن ، وذلك لأن ضبط الحوادث بتمامها ونصها بالحرف الواحد مما لا يمكن . كيف وأن الإنسان معرض للنسيان والذهول والغفلة ، وأمزجة الناس تختلف فمنهم قوى الحافظة ومنهم سيء الحفظ ضعيف الذاكرة ومنهم قوى الضبط ومنهم على عكس ذلك ، فهم ليسوا على طبع واحد وخلقة واحدة ، فلا محالة أن يقع اختلاف فى النقل والرواية والزمن ؛ ولولا الاختلاف لما وجدت هذه المذاهب المختلفة والطوائف المتباينة التى جرت الويلات على الأمة الإسلامية ومزقت وحدتها . وأما حديث « اختلاف أمتى رحمة » وقد ذكرته السقيفة على طريق الاستخفاف فهو من وضع الزنادقة وإن حمله بعض العلماء على اختلاف الاجتهاد فى المسألة ، فهذا الحديث لا يصح بكل حال لمنافاته لعموم النصوص القرآنية كقوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » وكقوله تعالى: « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم »

فالقرآن الكريم يحث على الاتحاد ، والحديث يرغب فى الاختلاف ، ولابد أنك يا صاحب السقيفة شاهدت بعض الحوادث

الحالية كيف يختلف النقل فيها وهى قريبة عهد بالوقوف ، فكيف بالحوادث الغابرة منذ عهد بعيد ؟ إنها لا يمكن أن تصل إلينا متفقة بالنص والوقت ، لذا اضطر العلماء المحققون أن يوفقوا حسب الطاقة بين الروايات إذا صحت ويعملوا بما هو المعقول والمقبول والموافق للمصلحة .

إمامة أبى بكر (رضى) فى الصلاة

مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه الأخير وكان إذا حضر وقت الصلاة يخرج من بيته من الباب المؤدية إلى المسجد فيصلى بالناس ، وفى آخر مرضه ثقل عليه المرض فلم يستطع الخروج إلى المصلى فقال لمن حضر عنده : مروا أبا بكر فليصل بالناس. حتى يروى أن عائشة الصديقة (رضى) قالت وكأنها تريد أن تتأكد من الأمر : (يارسول الله إن أبا بكر رجل أسيف — أى ضعيف — وأنه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس) فأعاد النبي (ص) الأمر ثانيا مؤكداً وقال : (مروا أبا بكر فليصل بالناس) ويروى والله أعلم أنه (ص) وجد خفة من نفسه فخرج من بيته إلى المسجد وقد أحرم أبو بكر فى الصلاة إماماً للناس فلما رآه أبو بكر تأخر إلى الوراء فتقدم (ص) فصلى جالساً وأبو بكر خلفه يصلى بصلاة رسول الله (ص) والناس خلف أبى بكر يصلون بصلاة أبى بكر لأن الناس لا يرون حركات رسول الله لجلوسه إلى أن

انتهت الصلاة فدخل الرسول بيته ولم يخرج منه بعدها حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى (ص).

فهذه خلاصة أمر الصلاة وإمامة أبي بكر، أما اختلاف الروايات فيها واضطرابها «كما تدعى السقيفة» فى الزمن أو الأشخاص فليس اختلافاً جوهرياً يتنافى مع الصحة والثبوت أبداً. ومجموع الروايات على رغم اختلافها حسب زعم السقيفة تثبت إمامة أبي بكر للصلاة قطعاً، وأنه صلى إماماً بالناس بأمر النبي صلى الله عليه وسلم لا متطفلا ولا متبرعا ولا فضولياً كما تظن السقيفة والروايات بعضها يؤيد بعضاً لذا أصبحت إمامة أبي بكر أمراً واقعا لا يقبل الشك والجدل، أما العناد فلا يغنى من الحق شيئا. فهذه هى الإمامة الصغرى وهى مقدمة إلى الإمامة الكبرى وهى الخلافة.

فكان تخصيص النبي (ص) أبا بكر بالصلاة مع وجود عمه العباس وعلى والآخرين من كبار قريش دالا على أرجحية أبي بكر للإمامة الكبرى وهي الخلافة. وهذا التخصيص بمثابة الترشيح من النبي (ص) لأبي بكر بالإمامة والولاية. إذن ثبت أن أبا بكر كان أحق بها وأهلها، ويؤيد هذا إجماع الصحابة على بيعة أبي بكر، وقد اختاره من بين الأصحاب والأقرباء لتحقق فضله ومقدرته وأرجحيته وأهليته عندهم للخلافة لأنه كان أكبرهم سنا وأرجحهم عقلا وأسبقهم إسلاماً، وله المقامات السامية والخدمات الكبرى

صدّق رسول الله حين كذبه الناس، وواساه بماله حين بخلوا وهاجر معه حين قعدوا، وحضر معه جميع الوقائع الحربية وزوجه بنته عائشة الصديقة.

وكل الصحابة كانوا يعرفون ذلك ويسلمون له به، ولذا أجمعوا على بيعته، ولم يتخلف إلا نفر يسير توقفوا عن البيعة قليلا ثم رجعوا وبايعوا، ورأوا أن تخلفهم لغرض يؤدى بهم إلى الفشل لا سيما بعد أن تمت البيعة لصاحبها واستقر كل شيء وأصبح خليفة شرعيا، فمن العبث تأخرهم عن البيعة، على أن تخلف عدد لا يتجاوز أصابع اليدين لا يؤثر ولا يعرقل سير الانتخاب ضد جم غفير بيدهم الحل والعقد ولهم الكلمة النافذة والقول الفصل. ولو كان هناك نص لأحد غيره بالإمامة والخلافة لطالبهم بها ولم يسكت ولأصدر صكه ومنشوره بذلك ولشهد له القوم ولم يقدموا عليه أحداً ولكن يظهر أن لا نص ولا وصية وكل ما يدعى لا صحة له فالسكوت فى مثل هذه الحوادث المهمة دلالة الرضا.

ووقفة سعد بن عبادة وترشيح نفسه للخلافة مع وجود كبار قريش وزعمائها طيش منه وتحد فقد عرض نفسه للفشل.

فتبين من هذا أن بيعة أبى بكر كانت بالإجماع من المهاجرين والأنصار ولهم الحق فى الاختيار وهم فى آرائهم أحرار.

السقيفة تقول لا حق للأمة فى الاختيار

يفيد كلام السقيفة أن الأمة لا اختيار لها ولا حق لها فى الاختيار فى نصب الخليفة وإنما هو من حق النبى (ص) وأن مصلحة المسلمين تحتم عليه أن لا يترك الأمر هملا كيلا يكون نزاع أو اضطراب بين الأمة . أقول نعم إن النبى (ص) لرفقه بأمته وعنايته الكريمة بمصلحتها لم يتركها وشأنها بل وضع خططاً ونظم مناهج وسننا ولم يدع أمراً من الأمور المهمة ذات الشأن من قواعد كلية حيوية وأسس جوهرية رئيسية إلا وبينها وطبقها بنفسه أمام صحبه فكانت منهاجا يعملون بموجبه ونبراسا يستنيرون بنوره . كما أن القرآن الكريم الذى هو الأساس الأول والكتاب الذى عليه المعول لم يدع ولم يترك قضية من مقومات الحياة اجتماعية أو سياسية أو حربية أو اقتصادية إلا وتعرض لها وسجلها وبينها للناس « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » فالرسول الأكرم قد أشار إشارة واضحة لا غبار عليها لأبى بكر بتقديمه إماما للصلاة بأنه يتولى الإمامة الكبرى أيضا لأن إقامة الصلاة فى الجماعة والجمعة والعيدين هى من حقوق الخلافة واختصاص الخلفاء والملوك ولهم أن ينيبوا عنهم إذا شغلوا كما كان فى زمن الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين .

على أن أمر الخلافة حق من حقوق الأمة والشعب حسب المصلحة الآنية الحاضرة ، كما أن حالة الأمم اليوم والشعوب جميعها

كائنة بين جمهورية وملكية نسبة للوضع والمحيط والزمن .

ثم إذا فرضنا أن النبي (ص) نص على أول خليفة بعده لقطع النزاع فى قرنه الصالح فمن يا ترى ينص على الثانى والثالث والرابع؟ مع احتياجه الأشد للتنصيص وذلك لفساد الزمان ، فالنزاع فى المتأخرين أكثر ، ولا يخفى أيضا أن النبي (ص) لم يكلف ولم يكن من وظائفه المحتمة عليه (النص أو الوصية) فالنبي (ص) بعث بشيراً ونذيراً ومبلغاً رسالة ربه إلى الناس ، وقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة وبذل قصارى جهده فى الإرشاد والإصلاح وتخطيط الخطط المستقيمة لتعليم الناس وهدايتهم « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » .

امتناع المرتدين عن الزكاة

يقول المغرض كصاحب السقيفة فى سقيفته إن المرتدين الذين قاتلهم أبو بكر امتنعوا عن أداء الزكاة لأنهم لم يعترفوا له بالإمامة والولاية حتى يؤدوا له الزكاة .

أقول إن هؤلاء المرتدين كانوا أهل بادية ، بعيدين عن معرفة الأحكام الشرعية والسياسية وعن الثقافة والعلوم كل البعد ، وهم بالطبع أعراب سذج جفاة لم يتغلغل الإيمان ولم يرسخ فى قلوبهم ولم يلن من خشونتهم وجفائهم ؛ وهم بطبيعة بداوتهم لا يميلون إلى شرع وأنظمة تحدد من عاداتهم ونعراتهم البدوية الجاهلية وكانوا يعدون الزكاة بمنزلة (الجزية) أو بمنزلة (الخاوة) يستنكفون

عن أدائها ، وتأبى جاهليتهم وغلظة قلوبهم عن الانصياع والخضوع لغير شيوخهم ورؤسائهم وقد كانوا يؤدونها لرسول الله (ص) فى حياته حياء أو خوفا كما يظهر من إنكارهم للزكاة ولفرضية الزكاة فاضطر الخليفة أبو بكر (رضى) أن يطالبهم بها لأنها من حق السلطان والشرع « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » والمراد بها الزكاة وهى الرسوم التى تجبى منهم، كزكاة الغنم والبقر والأطعمة إلى يومنا هذا، فأنكروها وجحدوا فرضيتها فكفروا بذلك وارتدوا . ولا يخفى أن من أنكر فرضا ثابتا من الدين بالضرورة فهو كافر جاحد يقتل ، وهو فى حكم المشركين من العرب إما القتل أو الإسلام لا غير « الأعراب أشد كفراً ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله »

ولو امتنعوا عن أداء الزكاة مع اعتقادهم بحقيتها وفرضيتها فللسلطان أيضاً أن يقاتلهم عليها حتى يؤدوها .

ولنفرض أن أهل الردة لم يعترفوا بخلافة أبى بكر (رضى) فما قيمة ذلك ؟ وهم أقلية ومن شذاذ العرب ، وإنما العبرة بأهل الإسلام وهم قريش والأنصار كبار العرب وصناديدها وساداتها إذن فلا يؤبه بهؤلاء إن أطاعوا وإن عصوا .

« إذا رضيت عنى كرام عشيرتى »

تنبيه السـقيفة

واعلم ياصاحب السقيفة وإن كنت عالماً ! . أن الذين تخلفوا عن بيعة على (رضى) هم أكثر بكثير ممن تخلف عن بيعة أبى بكر (رضى) فقد تخلف القطر السورى بأجمعه عن بيعة على وهم كما تعلم يعدون بمئات الألوف من النفوس ولم يعترفوا ببيعته حتى حاربهم وحاربوه ووقعت تلك الفتنة بين المسلمين فأخرتهم سنين عن التقدم وتوسيع الفتوحات وقتل خلق كثير من الطرفين بسببها ، وتخلف عن بيعة على أيضا قسم من أهل الحجاز والقسم الثانى منهم بعد أن بايعوه نقضوا بيعته فقاتلهم وقاتلوه وتضعضعت شوكة المسلمين بسبب ما حصل من سفك الدماء بينهم ، وخرج قسم مهمّ وكبير من جند على (رضى) عن طاعته وأبوا عليه ونفضوا أيديهم من بيعته فحاربهم وحاربوه وبالأخير اغتالوه وقتلوه أما فى عهد أبى بكر فلم يحصل مثل هذا قطعا .

فهل نقول كما تقول السقيفة إن وقوع هذه الحوادث فى عهد على رضى الله عنه يدل على أن خلافته كانت فتنة أو غير شرعية لا نقول وإن طعنت السقيفة فى خلافة أبى بكر واستدلت على عدم صحتها ومشروعيتها بامتناع أهل الردة عن الزكاة وبأنهم امتنعوا بحجة عدم اعترافهم بخلافة أبى بكر فنحن لا نقول كما تقول ومن عدلنا وأدبنا تجاه الطرفين أن نعترف بصحة بيعة الإثنين وكفى بهذا عدلا وإنصافا .

علم النبي بما سيجرى بعده

تقول السقيفة إن النبي (ص) كان يعلم بما سيجرى بعده من خلافات وحوادث من أجل الخلافة وهل تراه كان غافلا عما يجب فى هذا السبيل .

أقول تريد السقيفة أن تبين أن النبي صلى الله عليه وسلم وجب وتحتم عليه أى « لعلمه بوقوع الخلافات والاضطرابات والانقلاب الذى سيحدث بعده بين أمته ، أن ينص على الإمام والخليفة وأن هذا النص حسب مفهوم قول السقيفة سيحسم كل نزاع وخلاف بين الأمة .

أقول نعم يجوز أن يطلع الله نبيه على الغيب فيعلم ما يجرى بعده من أمته من خير وشر وإن كانت الآيات تقول : « قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله » .

« ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء » ، « لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب » ، لهذا تروى السقيفة الحديث الآتى « فيقال لى إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم » .

وتروى حديث « ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة الخ » ولأجل ذا كانت الخلافة والإمامة من أولى القضايا التى صارت نصب عينيه وهذه نتيجة دعوى السقيفة .

فغاية السقيفة من هذا أن تستنج دليلا يحتم على النبي (ص) أن يوصى وينص على واحد من أصحابه ولا يعول على اختيار الأمة وأن الأمة لا حق لها فى الاختيار وأن الاختيار يحدث مشاكل وعراقيل بين القوم فأسقطت السقيفة حق الأمة من الاختيار ثم تتوصل السقيفة بعد ذلك إلى أن المنصوص عليه بالخلافة هو على لا غيره . كذا فى السقيفة .

أقول هذه كلها سفسطة وأقيسة عقيمة غير مستقيمة ، أما الأحاديث التى ساقتها السقيفة فلم يقل بصحتها المحققون من العلماء والثقات ، فإن الحديث الأول ليس له نصيب من الصحة أبدا لأنه مخالف لما جاء فى القرآن الكريم من ثناء وإطراء على أصحاب رسول الله كما تقدم ذكر الآيات الكثيرة فى حقهم وإذا كان أصحاب رسول الله هم الذين ارتدوا على أعقابهم — وذلك بلا استثناء طبعاً ولا تخصيص كما يفهم من عموم الحديث المتقدم الذى تستدل به السقيفة وإلا فيكون ذلك ترجيحاً بلا مرجح وتخصيصا بلا مخصص — فمن يا ترى بقى من المسلمين مسلما؟ أهم أهل الردة؟ أم مسيلمة الكذاب ؟ ومن الذى فتح هذه الفتوح المترامية الأطراف فى مشارق الأرض ومغاربها ؟ ومن كون هذه الأمم الإسلامية التى يبلغ عددها اليوم أربعمائة مليون نسمة ومن مصر هذه الأمصار التى كانت مهبط العلم والعلماء .. ومن بنى هذه المساجد الفخمة .. ومن أنشأ هذه المعاهد .. ومن جمع القرآن

الكريم .. هل هم الفرس أم الروم .. أم هى آثار هولاكو وجنكيز؟

نعم لو فرضنا أن هذا الحديث صحيح فهو إنما ينطبق على المرتدين كمالك بن نويرة وجماعتـــه وأمثاله من مانعى الزكاة وغيرهم فى عهد الخليفة الأول وعلى الثائرين من أشقياء الأمة وسفهائها على الخليفة الثالث عثمان (رضى) حتى قتلوه ظلما وعدوانا فى داره ، فهؤلاء وأمثالهم ممن ارتد بمنع الزكاة وكفر باستحلال قتل الخليفة عثمان هم الذين انقلبوا على أعقابهم وارتدوا بعد رسول الله لا أصحابه الكرام الذين هم أعوانه وإخوانه وأصهاره وأنصاره وأعمامه وبنو عشيرته ، وهل يدعى هذا إلا من ليس له حظ من إيمان أو عروبة أو غيرة على أصحاب رسول الله البررة فالله يثبت لهم إيماناً ورضوانا ، والأحمق الجاهل يثبت لهم كفرا وارتداداً ، أليس هذا تكذيبا للقرآن وطعنا به لأحقاد كامنة ومرض فى القلوب ليس إلا ؟ .

وأما الحديث الثانى وهو « ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة » إلى آخر الحديث فأقول إن للحديث تتمة وهى كما يرويها أهل الحديث « قالوا يارسول الله من هى الفرقة الناجية ؟ قال ما أنا عليها وأصحابى » لكن السقيفة حذفتها لأنها تنافى ومدعاها فبترتها وأعمتها على الغفل العوام . فهذا الحديث إن صح وقد صح عن صاحب السقيفة فاستدل به فإنما يدل على إيمان الصحابة ومن تابعهم لأن الفرقة الناجية هم الذين نهجوا على منهج رسول الله

ومنهج صحابته الكرام . ومن مفهوم الحديث يستدل على أن الذين خالفوا طريق الصحابة أوطعنوا فيهم هم فى النار، ثم مامنعك ياصاحب السقيفة أن تحمل الحديثين على العصور المتأخرة التى حدثت فيها الفتن والانقلابات بصورة شائنة حيث أخرت المسلمين وأضعفت شوكتهم وأبادت حكوماتهم لمجرد الأطماع أو بداعى النعرات ولم لم تحمل هذين الحديثين على أهل البدع والأهواء والمضللين والدجالين الذين فرقوا كلمة المسلمين ومزقوا شمل الأمة العربية فأصبحت طوائف ونحلا تربى على السبعين كل واحدة تضلل الأخرى، فهذا هو الانقلاب وهذا هو الافتراق الذى فت عضد المسلمين والعرب بدسائس الغرباء الأعداء والموتورين فهو منطبق عليهم أكثر وأكثر .

أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم

تستدل السقيفة على انقلاب الصحابة وارتدادهم بهذه الآية . نعم للسقيفة أن تستدل بما تستدل عما شاءت وشاء لها الهوى والكيد لأصحاب رسول الله وللعرب بكل حديث وكل آية وردا فى حق المرتدين أو المبتدعين أو الكافرين وهذا من ورعها الصادق وإخلاصها للأمة الإسلامية العربية وخدمتها لأصحاب رسول الله قادة الأمة فى دينها ودنياها ! . فالآية التى تستدل بها السقيفة هى قوله تعالى : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر

الله شيئا » . فأقول إن سياق الآية الكريمة حث وتحريض للمسلمين على توحيد الله وعبادته والتمسك به فقط . وأن محمداً (ص) مبلغ ورسول ليس إلا ، فهو يبلغكم رسالاتى وينذركم عذابى وهو بمقام المعلم والمرشد الناصح لكم ليس بإله ولا معبود ولابد أن تعلموا ذلك فالرب والمعبود أنا ومحمد رسول من قبلى إليكم مثل سائر الرسل الذين خلوا من قبله ومضوا ، أفإن مات أو قتل تنقلبوا على أعقابكم وتتركوا عبادتى لا بل العبادة لى فلا ينبغى أن ترجعوا إلى الوراء وإلى دينكم القديم .

فضمون الآية تفهيم المسلمين الذين تعلقوا برسول الله أشد التعلق وتغلغل حبه فى قلوبهم — ولولا إيمانهم الراسخ وعقيدتهم الثابتة الراسية لألهوه وعبدوه — بأن محمداً عبد الله ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، ثم هو يموت كما مات غيره من العباد والأنبياء .

هذا معناها المفهوم منها ، ولنرجع إلى تركيب الآية من حيث القواعد والصيغة العربية فأقول إن الآية هنا مقرونة بحرف الاستفهام لا إخبار عن شيء واقع وحاصل وأن ترتيب الجواب على الشرط ليس واقعاً ولا منجزاً ولا محقق الوقوع ، بل يحتمل أن يقع الجواب المعلق عليه أو لا يقع ، فهو كقولك إن زرتنى زرتك فلا يلزم وقوع الزيارة من الثانى أو وقوعه حالا بلا مهلة ولا فاصلة إذ ليس هذا من قبيل العطف بالفاء المفيدة للترتيب

والتعقيب فبأى وقت زاره يقال أنجز المعلق ، وهو أيضاً ليس بمنزلة قولك لعبدك إن دخلت المسجد فأنت حر فإنه يقع العتق حالا بمجرد دخول العبد المسجد . إذن فلا يلزم من وفاة رسول الله أن يقع الانقلاب من المسلمين حالا فهو ليس كالطلاق والعتاق من الأحكام المعلق وجودها على وجود الشرط حالا لا سيما وأن حرف الشرط هنا هو (إن) وهى تفيد الشك لا التحقيق بخلاف (إذا) الشرطية فإنها تفيد التحقيق فافهم وإن كنت لست من أهل التحقيق . ثم هل يعقل انقلابهم بمجرد عدم مبايعتهم عليا (رضى) وهل خالفوا بذلك نصاً قرآنياً أو أنكروا فرضاً مجمعاً عليه أو جحدوا ركناً من أركان الدين . سبحان الله ما أجرأكم على الله وعلى تكفير عباد الله .

النص والوصية المزعومة

نرجع إلى قضية النص أو الوصية من رسول الله على (على) كما تدعى السقيفة وأن النص يحسم النزاع إذن فلا بد للنبى أن يوصى وقد أوصى بها إلى على .

أقول حقاً إن النص يحسم النزاع أثبت عن رسول الله (ص) ويمنع وقوع الخلاف والاضطراب إذا صح أن رسول الله أوصى لعلى بالإمامة امتثالا لأمره المطاع ولكن وقوع النزاع بين على وغيره ممن تخلف عن مبايعته ، وخروج أجناده وإنكارهم عليه ،

ونقض بيعة من بايعه من قريش دليل واضح على أن لا نص ولا وصية .

ولو كان هناك نص على إمامة على لما تأخر إلى المرتبة الرابعة فسكت ورضى بها وكيف يسكت على ضيم ولم لم يطالب بها ويبرز نص الوصية والصك المعين له للإمامة من رسول الله ! ولشهد له القوم بذلك ولا سيما بنو عمه من بنى هاشم ولم يرضوا وسكتوا كلهم ولم يطالبوا ؟ أعن ضعف أم عن رضاء ؟ .

انظر كيف قام أبو بكر بوجه سعد بن عبادة فى السقيفة حين رشح نفسه للخلافة وكيف حازها لقريش وضمها إليهم بوقفة واحدة وبخطبة واحدة بمجمع الأنصار الأوس والخزرج وهم ممن يحسب لهم حساب ولو صارت الخلافة إلى الأنصار لم تصر بعد إلى قريش ولبقيت بين الأوس والخزرج (هكذا تكون همم الرجال) والفضل لهم .

ولو أن الأنصار يعلمون بوجود نص أو وصية لعلى لما قدم نفسه سعد بن عبادة وهو غير قرشى ، وهل يخفى النص على جميع الأنصار والمهاجرين ! وهل من المعقول أن ينكره جميعهم أيضاً ، هذا مالا يتصور ولا يتوقع ولا يكون .

على أن علياً لم يكن غائبا عن البلد ولا مجهول الهوية ولا بد أنه سمع بالبيعة ووصلته الأخبار من أصدقائه أو بنى عمه ولم تكن بيعة الخلافة بالأمر التافه كبيعة بستان أو عرصة تنتهى ولا يعلم

بها أحد من أقربائه أو أصحابه ولا بد أن البيعة كان لها وقع وشأن وبها خطورتها وأهميتها لا تنقضى بسر أو خفية ولم يكن الوقت إذ ذاك ليلا وقد انقطع التجول والمرور لا بل على وضح النهار بجمع غفير ، والمدينة بلد صغير تنتشر فيها الأخبار بسرعة فهل كل هذا يقع ولا يقع ولا يعلم أحد به كعلى وعمه ؟ إذن ومن أين علم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وحضروا السقيفة مع الأنصار

عدم وقوع النزاع فى غير المنصوص عليه

واعلم ياصاحب السقيفة أن النزاع والخلاف الذى حصل مع المنصوص عليه وهو على (رضى) لم يحصل مع غير المنصوص ، حسب ادعائكم ، من الخلفاء قبله ، أما فى إمامة أبى بكر (رضى) فلم يقع أى نزاع بينه وبين رعيته . أما حربه للمرتدين فلمنع الزكاه كما تقدم فهم فى حكم أهل الكهف وقد قضى عليهم خالد بن الوليد (رضى) بحملة واحدة ، وأما حربه مع المتنبئين فهؤلاء بقوا على كفرهم منذ عهد النبى (ص) فهم فى حكم أهل الجاهلية المشركين فجهز عليهم جيشاً بقيادة خالد (رضى) فضربهم الضربة القاضية وشتت شملهم وصفت الحالة من هؤلاء ، ثم وجه همته القعساء إلى الفتوح فجهز جيشين كبيرين إلى بلاد فارس وممالك الروم ولم تطل الحياة به ولو طالت لأتى بأعمال جبارة تضيق عنها بطون الكتب والدفاتر .

وأما فى عهد الإمام الثانى الخليفة العظيم عمر بن الخطاب

(رضى) فحدث عن البحر ولا حرج . كان (رضى) موفقا لم يحدث فى خلافته أى نزاع أو اضطراب أو ثورة ما بل كان عهده كله فتوحاً وتشريعاً وعمرانا وأمانا وثروة ونعمة واطمئنانا ولو تسمح له الأيام بالبقاء لأتى بخوارق تقف عندها العقول حائرة وتخضع لها الملوك حاسرة، وأما الخليفة الثالث عثمان (رضى) فقد ثارت عليه فى أواخر خلافته بعد اثنى عشرة سنة عصابات متمردة من سفلة الناس شأنهم الثورات والفتن تواطأوا على قتله لدعايات شخصية وأراجيف باطلة من قبل محمد بن (أبو بكر) وعبد الله بن سبأ اليهودى فقتلوه فى داره فسمى (يوم الدار) وكان شؤما على المسلمين حتى صار يضرب به المثل يقال (دم عثمان)

لتسمعن وشيكا فى ديارهم   الله أكبر يا ثارات عثمانا .

اختيار الأمة

السقيفة تسلب الاختيار عن الأمة بكل ما لديها من سفسطة وغايتها من ذلك نفى أحقية البيعة إلى أبى بكر (رضى) بالاختيار وأنه لا بد من نص على الخلافة ولا نص إلا لعلى (رضى) .

أقول قد تقدم ما فى معنى هذا الكلام ونقول باختصار إن السقيفة تريد لغاية مخصوصة مفردة أن تنفى الاختيار عن الناس وتجعلهم كأنهم هياكل من صخر وأحجار لا رأى لهم ولا اختيار أو ريشة تتقاذفها الرياح والهواء لا فرق بينهم وبين الحيوانات غير المكلفة والبهائم العجم « ولقد كرمنا بنى آدم » أى بالعقل والرأى

والاختيار والتفريق بين النافع والضار وإلا لبطل تكليفهم وبطل الثواب والعقاب والحدود . اللهم إلا إذا كان صاحب السقيفة جبرى النزعة والعقيدة فان الطائفة الجبرية يعتقدون أن الإنسان مجبور على أفعاله من خير وشر لا اختيار له ولا رأى .

وهل ترضى ويسرك يا صاحب السقيفة أن تكون مسلوب الاختيار مسلوب الرأى تصدر منك الأعمال بلا رأى ولا اختيار وإذا رضيت أنت فلا يرضى غيرك . ثم تغالط السقيفة فتستدل على سلب الاختيار عن الناس بقوله تعالى « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة » أى الاختيار .

أقول سياق الآية وسباقها يدلان على أن الله هو الخالق يخلق الأشياء التى يريدها ويختارها من خير وشر وحلو ومر وأبيض وأسود ونافع وضار وسعيد وشقى ونبى وكافر فلا يصح ولا يحق لأحد أن يختار ويقول لو كان هذا كذا ولو كان هذا هكذا ولم كانت الزرافة يداها أطول من رجليها ؟ ولم كان الجمل هكذا ولم كان هذا مؤمنا وهذا كافرا ولم كان محمد رسول الله ولم يكن الوليد أو أبو جهل أو أبو طالب؟ ولم كان موسى هو الرسول المبعوث مع أن هرون كان أسن منه ؟ ولو كان الأمر بيدى لجعلت هـذا قصيرا وهذا طويلا وأمثال ذلك لأنهم مسلوبون عن الاختيار فى أعمالهم وانتخابهم وإصدارهم وإيرادهم فمعنى الآية ما كان لهم الخيرة فى الخلق أى على الشكل الذى يريدونه والهيأة التى يختارونها بل الخلق بيد الله وإرادته واختياره .

أهل الحل والعقد

تقول السقيفة : إن أهل الحل والعقد هم بؤرة الفساد والنزاع .
أقول : إن هذه تهمة وافتراء عليهم وإنكار للواقع ، فأهل الحل والعقد هم خيرة المسلمين وهم أجل من أن يكونوا بؤرة الفساد والنزاع . ما أدرى ! ألكونهم أجمعوا على بيعة أبى بكر (رضى) لأهليته وكفاءته ورجاحة عقله وحزمه وحسن إدارته وسداد رأيه كانوا بؤرة الفساد ؟ أم لغير ذلك .. فبربك ما هو الفساد والنزاع فى خلافة أبى بكر ، وهل حصل نزاع فى خلافته كما حصل فى خلافة على (رضى) ؟

وإذا كان أهل الحل والعقد بؤرة الفساد والنزاع فى خلافة أبى بكر وهم أنفسهم أيضاً فى خلافة على ، فهل كانوا فى عهد أبى بكر بؤرة الفساد والنزاع ، وفى عهد على بؤرة الوئام والصلاح . سل التاريخ ينبئك . لم يقع أى نزاع وفساد فى خلافة أبى بكر ، بل كلها وفاق وصلاح وتأييد لحوزة المسلمين وذب عن حوضهم وتشريع وتسنين وفتوح وغنائم ، مهد السبل ووضع الحجر الأساسى للفتوح بعد أن أمن الثورات الداخلية من مرتدين ومتنبئين بعزم ثابت ورأى سديد مع الطاعة التامة له من شعبه وانقيادهم لأوامره وتعلقهم به تعلق الأبناء البررة بالآباء الخيرة لو أمرهم أن يخرقوا الجبال لأطاعوه .

ادعاء السقيفة أن بيعة أبي بكر كانت (فلتة)

تدعي السقيفة أن بيعة أبي بكر كانت فلتة أو فتنة .

وتستند بقول عمر (رضى) كما تزعم أنه قال : (كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها) .

أقول : نسبة هذا القول إلى عمر (رضى) كذب وانتحال لا أصل له ، وكيف ينطق بذلك عمر وهو العبقرى العاقل المتزن الذى يعرف مواضع الكلام ولا يلقيه على عواهنه ، وهو الإمام الذى يعتبر حجة يؤخذ بها ويعمل بموجبها وتسجل له أو عليه .. وهل يتصور أن ينطق بهذا عمر (رضى) وهو من مؤيدى أبي بكر (رضى) ومن أخلص أعوانه ووزرائه ، وهو أول من مدّ يده لمبايعته فبايعه بطيب نفس ورغبة صادقة وقلب فياض نقى .

وعلى فرض صحة هذا الخبر فيراد بقوله (فلتة) أن بيعة أبي بكر كانت فى وقت حرج لأنها واحدة من شكلها ، ولوقفة سعد بن عبادة أيضاً ضد المهاجرين من قريش حتى تغلبوا عليه بعد مناقشة وجدل وأخذ ورد ، وقد انتهت الحادثة بسلام فلم يحدث فيها اضطراب أو فتنة بين الطرفين ولم تسفك فيها قطرة واحدة من دم المسلمين . فقد كان الموقف حرجاً بين قريش والأنصار ، وقد سلم الله فانحسم النزاع بلطف من الله ، وهدأت الحالة بسلم وأمان ، واستتب الأمر لأبى بكر (رضى) بعد بيعتين

خاصة وعامة . فهذا معنى قوله (فلتة) لا غيره ولا ما يعنيه صاحب السقيفة ، لأن خلافة أبي بكر كانت رحمة ونعمة على المسلمين ولطفاً ربانيا .

تعريض السقيفة بترشيح أبي بكر بالخلافة إلى عمر

نعم كان ترشيح أبي بكر بالخلافة إلى عمر رضى الله عنهما أيضاً برأى الأمة واختيارها وموافقتها لأن أبا بكر ، وإن كان قد رشح عمر للخلافة ولكن بعد أن فاتح كبار الصحابة وأخذ رأيهم وأن أبا بكر لم يكرههم على بيعة عمر بالقوة بل باختيارهم ورضاهم وأن أبا بكر (رضى) والقوم جميعهم يعرفون عمر جيداً ويقدرون شخصيته ويعلمون منزلته وقابليته ، وأن أحداً لا يصلح للخلافة بعد أبي بكر غير عمر ، لذا وافقوا واتفقوا على بيعته بلا منازع ولا ممانع وحقاً كان اختيار أبي بكر (رضى) واختيارهم طبق الصواب ووفق المصلحة ، فقد أثبت الفاروق كفاءة وأهلية واستعداداً تاماً ومقدرة فائقة فى مدة إمامته فلم يلحق شاوه أحد من بعده من ملوك الدنيا أبدا وإذا لم يكن للأمة حق الاختيار كما تدعى السقيفة فمن نصب عليا واختاره للخلافة بعد عثمان رضى الله عنهما وهل بايع علىٌّ عليا أى نفسه لنفسه وأصبح خليفة شرعيا بذلك لا يعقل هذا ولا يصح !

تأليف مجلس الشورى من عمر

كان قد تآمر على عمر (رضى) المجوسيان أبو لؤلؤة والهرمزان وجفينة المسيحى أيضاً ومن المحتمل كعب الأحبار اليهودى وكلهم موتورون يثأرون لقومهم وأمتهم، فاقتضت إرادة الله أن ينال عمر الشهادة ويكتب من الشهداء ويسجل فى سجل عظماء الشهداء.

وقبل وفاته شكل مجلس الشورى لانتخاب خليفة بعده وأوصاهم بوصايا قيمة تقتضيها الحكمة والمصلحة العامة. وأعضاء المجلس المنتخبون هم كبار القوم وزعماء الصحابة ومقدموهم وهم: عثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص والزبير وطلحة من العشرة المبشرة.. وبعد مبادلة الأمراء ومراجعة الصحابة فيمن يستحق الخلافة وأخذ موافقة الأشخاص البارزين منهم وقع اختيار المجلس على (عثمان بن عفان) فانتخب خليفة فلو لم يكن للأمة حق الاختيار لما شكل عمر (رضى) هذا المجلس لانتخاب الخليفة ولعارض (على) أو غيره ولم يقبل بهذا المجلس وهذا الانتخاب ولاحتج عليهم (على) بالنص والوصية وكيف وافق على وانتظم فى عضـــوية هذا المجلس وليس لهم حق الاختيار والانتخاب ولا رأى لهم فى نصب الخليفة وانتخابه فموافقة علىّ على الانتخاب دليل على أن للأمة حق الاختيار والانتخاب ودليل على صحة بيعة الخليفة بهذا الشكل، فنفى السقيفة الاختيار والرأى عن الأمة دعوى بلا دليل وإنما غرض صاحب

السقيفة رد بيعة أبي بكر مطلقا لا بالنص ولا بالاختيار . وما أدرى لم كان كل هذا ؟ هل كان لأبى بكر معه غرض شخصى أو ثار قديم ؟ وما الذى يهم صاحب السقيفة إن كان الخليفة أبا بكر أو علياً أو غيره إنما المقصود والغاية من الخليفة أن يقوم بأعباء الخلافة على الوجه المطلوب لصالح الأمة وحفظ كيانها ورفع مستواها وتوسيع دائرة الإسلام وإعلاء كلمة الله لا لمنفعة الشخص ولا لصالحه الخصوصية ولا لأن هذا فلان وهذا فلان فهذا مالا يهمنا بل يهمنا المنفعة العامة وخدمة الإسلام أياً كان ذلك الشخص ، والقوم فى وقتهم ومحلهم هم أعلم منا بالمصلحة وأعلم بالرجال الأكفاء وهم أولى بهذا منا لأن الضرر والنفع يعودان لهم وعليهم . فما أنت وهذا وتدخلك فى هذه القضايا تطفل فلست منهم وليسوا منك . على أن هذا أمر قد مضى وفات فما الفائدة فى إحياء هذه الحوادث المائتة المندثرة وهل تنفعك ياهذا أو تنفع (عليا) بشىء يستفيد من ورائها ؟ كلا ثم إن علياً نفسه كان راضيا وساكنا وكذلك بنو عمه وأقرباؤه أفلا وسعك ماوسعهم وترضى كما رضوا وأنت غريب عنهم وبعيد أم تريد الفتنة ؟ ولم ينقل لنا التاريخ أن علياً أو أقرباءه نازعوا الخلفاء سلفه ، ولا قاطعوهم بل كان الأمر بالعكس فقد كانوا يصلون وراءهم ويأخذون من غنائمهم ، وكان بعضهم يحترم بعضاً فى مودة وولاء وسلام . فما أنت إلا فضولى وطفيلى فهم على رغمك أقرباء وأصهار وإخوان « فأصبحتم بنعمته إخوانا » .

ومما يدل على أن للأمة اختياراً ورأياً مشاورة الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه فى مهام الأمور (وإن كان الرسول مؤيداً بالوحى) حيث يأمره الله بالاستشارة بقوله تعالى: (وشاورهم فى الأمر).

وفيها أيضاً تعليم للناس بأن لا يستبد الإنسان برأى نفسه فقط بل يأخذ اختيار الأمة وآراءها وينظر فى الأصلح والأوفق.

بيعة أبى بكر وبيعة على

تقول السقيفة إنا لم نعرف خليفة تعين بهذه الطريقة — أى باختيار أهل الحل والعقد — إلا أبا بكر وعلى بن أبى طالب وأبو بكر كانت بيعته فلتة وقى الله شرها. أما على فبعد تمام البيعة له بنظر أصحاب هذا الرأى أى طريقة الاختيار من أهل الحل والعقد، قد وجدنا كيف انتقض عليه نفس أهل الحل والعقد، فكانت حرب الجمل وحرب صفين ولم نعرف بعد ذلك خليفة تعين إلا بتعيين من قبله أو بحد السيف ثم تقول السقيفة — ماعدا علياً وهو إمام بالنص من النبى (ص) ولا شأن لاختيار الأمة فى إمامته.

أقول السقيفة تقصد من سوق هذا الكلام إبطال تعيين الخليفة باختيار أهل الحل والعقد إذن لابد من نص ولا نص إلا لعلى ولا اعتبار لأهل الحل والعقد فى بيعته أى على. فأقول

أما بيعة أبى بكر (رضى) فقد تقدم الكلام عليها مستوفى من نقد ورد .

أما بيعة على (رضى) فقد أبطلت السقيفة بيعة أهل الحل والعقد، واعتبرت تعيينهم للخليفة فاسداً غير صحيح فتبين أن تعيين على ببيعة أهل الحل والعقد ساقط فاسد غير معتبر ، بقى الأمر المعول عليه فى إمامته هو النص من النبى (ص) فقط .

فهنا نناقش السقيفة ونطالبها بوجود النص الذى تعين به على للخلافة وأصبح به خليفة شرعيا ، فنقول ما هو النص الذى استحق به على الخلافة هل نص تحريرى أم شفهى ؟ فإن كان تحريريا فمن هم شهوده وبأى ختم ختم وبأى توقيع وقع وبأى تاريخ أرخ ؟ ولم لم يحتج به فى إبان الأمر وعنفوانه ؟ وكيف جاز له إهمال كتاب رسول الله وهو الذى لا تأخذه فى الحق لومة لائم وصاحب سيف ذى الفقار ، ثم إذا أخفاه فى عهد أبى بكر فلم لم يظهره ويطالب به فى عهد عمر عندما شكل مجلس الشورى ؟ ولم لم يبرزه إلى عبد الرحمن بن عوف رئيس المجلس بعد أن توفى عمر ا ليترجح على عثمان وغيره لأن نص رسول الله واجب العمل به ولا يجوز لأحد مخالفته . وهل سمع أو نقل أن عليا أعلن النص وقرأه على القوم ولم يلتفت إليه أحد ولم يعبأ به أحد ، كلا ، إذاً سكوت على يدل على أن لا نص تحريرياً هناك ليصح الاعتماد عليه لأنه بمنزلة سند رسمى وبينة شرعية يعمل بها مطلقا ، ثم إذا كان لديه

نص فلم لم يستغن به عن بيعة أهل الحل والعقد ! ولم لم يعول عليه وحده فقط ويصبح خليفه (بالوصية) بلا حاجة إلى بيعة الناس ومنة هؤلاء . فهنا انتفى النص التحريرى وبقى النص الشفهى

فأقول أما النص الشفهى فلا عبرة به فى مثل هذه الحوادث الخطرة ذات البال والشأن إلا إذا توافرت الأدلة والشهود مع اتفاق الشهادة فى أدائها والكثرة التى توجب القناعة وإلا فلا . ولم يصل إلينا نقل ولا خبر عن هذا كله . فقد بطلت إذن بيعة على (رضى) من أصلها إذ لا نص هناك يعتمد عليه ، ولا عبرة ببيعة أهل الحل والعقد عند صاحب السقيفة . فبأى شكل ثالث تمت بيعته لا ثالث هنا .

وعلى تقدير صحة بيعة على (رضى) باختيار أهل الحل والعقد فانتقاضهم عليه كما تقول السقيفة كان لمطالبتهم بدم عثمان وإقامة الحد والقصاص على قاتليه ، ولما لم ينجز طلبهم وتراخى (على) فى إجابة سؤلهم قاموا ناقمين على إضاعة دم خليفة هو ابن عمهم وقد هدر .

ثم توسطت فرقة الجمل ، لتسوية الخلاف والنزاع بين الطرفين وحل هذه المشكلة المعقدة وإخماد الفتنة التى جرت إلى سفك دماء المسلمين ، فقد هلك فى هذه الفتنة مايقارب السبعين ألفا من صفين وجمل وخوارج ولم تدنه ولم تكتف بهذا بل أخذت نارها تستعر طوال الأجيال والسنين ، كل ذلك من وراء الدعايات المزورة

المفتراة ضد الخليفة (عثمان) الشهيد فثار بوجهها قتلة عثمان العصاة من أهل البصرة واشتبك القتال بينهما فأريقت دماء وأزهقت نفوس وهلكت أبطال من الطرفين ولم توفق هذه بوساطتها من جراء هذه العصابة الشقية المجرمة .

الأئمة من قريش

احتج أبو بكر (رضى) على حق الخلافة لقريش . . بحجج وبراهين تؤيد حصر الخلافة فى قريش وأنهم أحق بها من الأنصار لذا نجح فى موقفه تجاه سعد وقومه وخضعوا لأمره فبايعوه طائعين مختارين بصدق نية وحسن عقيدة ومن جملة الأدلة التى ساقها أبو بكر (رضى) الحديث الذى استشهد به وهو (الأئمة من قريش) ولكن صاحب السقيفة ينكر هذا الحديث ويقول : إن هذا الحديث لم يكن معروفا عند المهاجرين يومئذ ، أو أنهم لم يريدوا أن يعرفوه . أقول ما أدرى من أين علم صاحب السقيفة أن هذا الحديث لم ترد قريش أن تعرفه وهو فى صالحهم ومؤيد لحصر الخلافة فى رجالهم وأعقابهم وقد كان هذا بالفعل ثم أى ضرر يلحقهم إذا هم عرفوه وتشبثوا به وهو لهم لا عليهم ؟ وكيف سكتوا فى وقته وأقروه ولم يعارض أحد فى صحته لا من المهاجرين ولا من الأنصار ؟ فهذا مما يدل على كذب صاحب السقيفة .
ولولا هذا الحديث وشباهه من الأدلة الدامغه للمقابل لما صارت

الخلافة إلى قريش أبد الدهر لا لأبي بكر ولا لعلي ولا إلى العباسيين الهاشميين ولا إلى العلويين لو ساعدتهم الأقدار . وكأنك تومىء يا صاحب السقيفة بأن هذا الحديث مختلق ومنتحل وحاشى لأبي بكر شيخ الصحابة وأفضلهم أن يختلق حديثاً على رسول الله وهو الصديق الأكبر المؤيد المنصور بنصر الله وتأييده الموفق فى أعمالهم فى إمامته ولو أنه أراد أن يضع حديثا لوضعه لخصوص مصلحته الشخصية ، ولأتى بنص على خلافته خاصة وإنما الحديث الذى ساقه كان مضمونه عاماً يشمل قبائل قريش كافة من : تيم وعدى وأمية وهاشم ومخزوم ، فكل منهم يصح ويصلح للإمامة والخلافة ولم يستشهد به لنفسه فقط . ثم إذا لم يعرف المهاجرون هذا الحديث فقد عرفه الصديق الصدوق وكفى به حجة ولذا أقره جميع الحاضرين وأصبح دليلا قطعيا يعمل به على رغم المعارض .

إشارة عائشة الصديقة (رضى)

تقول السقيفة إن عائشة أشارت على عمر على لسان ابنه عبدالله «لا تدع أمة محمد بلا راع استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملا فإنى أخشى عليهم الفتنة » .

وما أدرى لماذا لم يشر أحد على محمد (ص) أن يستخلف حتى لا يفتنوا كما أشارت عائشة على عمر ولماذا لم يسأله أحد الخ.

أقول إن الخبر المنقول عن أم المؤمنين عائشة (رضى) يحتمل أن يكون وارداً أو غير وارد لايهمنا ذلك والذى يهمنا قول السقيفة — ولا أدرى لماذا لم يشر إلى آخر الكلام .

وما يدريك ياصاحب السقيفة لعل رسول الله (ص) أدرك هذا فأشار إلى أبى بكر بإمامة الصلاة وهذا القدر كاف لإمامته الكبرى ولو كان هناك نص لعلى لأعلنه (النبى) إلى قومه جهاراً قبيل وفاته (ص) كما فعل أبو بكر فى آخر حياته حيث أمر عثمان بعد مشاورة قومه وأخذ موافقتهم واتفاقهم على عمر أن يقرأ الكتاب بولاية العهد إلى عمر على الحاضرين من المهاجرين والأنصار فوافق القوم وقبلوا وتأكد عندهم الأمر واتضح الحال فلم يخف على أحد ولم ينازعه بعد أحد .

قولك إن قول أبى بكر (رضى) ساعة البيعة (رضيت لكم أحد هذين الرجلين) أى عمر أو أبا عبيدة — دليل على عدم علمه بالنص له .

فالجواب أن هذا من باب مكارم الأخلاق والأدب وإيثار الغير على النفس (ويؤثرون على أنفسهم) فقد تجردوا عن الأنانية وحب الذات والاحتكار ولكن عمر (رضى) أسرع ومد يده إليه فبايعه وقال له رضيك رسول الله لديننا أفلا نرضاك لدنيانا ؟

إذن فلا غرابة إذا تنازل أبو بكر إلى أحد صاحبيه بالخلافة مع علمه بالنص له تفضلا وتكرماً .

السقيفة — تنفى الاستخلاف عموما

تعترف السقيفة أنه ثبت من تصريحات أبي بكر نفسه عند مقاربة وفاته متمنياً أن يسأل من النبي (ص) عن أشياء ثلاثة ترك السؤال عنها ومن جملتها أمر الخلافة أنه فيمن حتى لا ننازع أهله .

ثم فهم من تصريحات خليفته عمر عند وفاته حيث صرح أن النبي (ص) لم يستخلف .

ثم من تصريحات عائشة حيث نفت الاستخلاف بالمرة .

أقول إذا ثبت هذا وصح عن هؤلاء الثلاثة (رضى) فإنه يدل دلالة قطعية على نفى الاستخلاف بتاتا وبصورة عامة عن كل أحد بلا استثناء ولا تخصيص لا لتيمى ولا لهاشمى ولا لغيرهما إذ القضية هنا سالبة عامة شاملة ، فالتخصيص يكون بلا مخصص والترجيح بلا مرجح ، فقد تبين من هذا الاعتراف لصاحب السقيفة أن لا نص لا لأبي بكر ولا لعلى (رضى) ولذا تأخر على (رضى) إلى النوبة الرابعة فى غير معارضة ولا منازعة لعلمه أن لا نص ولا وصية لأحد ولا استخلاف قطعا . أما خلافة أبي بكر فكانت إذ ذاك بإجماع الصحابة واختيارهم له ، ولهم الحق كل الحق فى ذلك حيث أن الرسول تركهم بلا استخلاف فما حيلتهم عندئذ إلا الانتخاب والاختيار لمن هو أولى وأرجح لأن هذا مما يخصهم ويعود إليهم فاختاروا أبا بكر للخلافة ، فبعد

هذا الاعتراف من السقيفة بعدم الاستخلاف مطلقا لا تسمع لها دعوى بنص ولا وصية ولا استخلاف لأحد وأنه يعد تناقضا كما لا يسمع نفيها للاختيار أيضاً .

تدعى السقيفة أن الإجماع لم ينعقد بكل معانيه

تدعى السقيفة — أن الإجماع لم ينعقد بكل معانيه على صحة بيعة أبي بكر لمخالفة بعض الأصحاب ، ولم يبايع منهم بعد ذلك من بايع إلا قهراً واضطراراً حفظاً لبيعة الإسلام .

أقول تصدت السقيفة لشيء كنا نود الإعراض عنه ونطوى عنه كشحا وصفحا ، ولكن يضطر المقابل أحيانا للكلام وإن كان فيه مالا يرغب ولا يود الخوض فيه .

هنا عددت السقيفة أشخاصاً نحن نحترمهم ونجلهم لأنهم على اختلاف منازلهم ومكانتهم هم أصحاب رسول الله وخير الأمة بيقين ، ولكن هم درجات وطبقات ليسوا سواء فى الفضل والتقدم والسابقة والشخصية والرتبة (أمرنا أن ننزل الناس منازلهم) حديث شريف فتأخر جماعة يسيرة معدودة من هؤلاء لا تؤثر على صحة البيعة العامة من أهل الحل والعقد والأشخاص البارزين ذوى الزعامة والرئاسة فى قومهم مع اتفاق باقى الصحابة عموماً من قرشى وأنصارى إذن فلامحل لهذا الاعتراض من السقيفة فإنه غير وارد بل هو بارد . فإذا اتفق كبار القوم على رئاسة شيخ لعشيرة فلا عليه إذا تخلف عشرة أو عشرون من سائرهم لأن العبرة

لكبار القوم وكثرتهم الساحقة ، فالرجال الذين بايعوا أبا بكر هم وجهاء الصحابة وأعيانهم وجمهورهم ، ثم أليس من الضراعة أن يأتوا بعد ذلك خاضعين مطيعين مذعنين ، فما الذى صدهم أولا عن البيعة ؟ هل كان لغرض ذاتى ؟ أو لبساطة فى النفس وعدم التدبر والنظر فى العواقب أو الطموح فى غير محله ؟ وبالله عليك يا صاحب السقيفة ، هل كانت بيعة على (رضى) بالإجماع التام من الناس ؟ أليس قد تخلف عنه أهل القطر الشامى برمته أليس قد تخلف عن بيعته قسم كبير من أهل الحجاز ؟ ثم الذين بايعوه نقضوا بيعته وكيف يهون عليك أن تجعل علياً وبنى هاشم من جملة المضطرين المقهورين ، فهذا ما لا نرضاه لهم بدورنا وننزههم عنه ، وإن رضيته أنت لهم .

تتهم السقيفة عمر (رضى) بأنه قال : اقتلوا سعداً قتله الله إنه صاحب فتنة .

أقول إن مثل هذا الأمر لا يصدر عن رجل متشرع عالم من الأمة المحمدية فكيف بعمر الصحابى الكبير والعالم المجتهد الورع ينطق بمثل هذا الكلام القاسى فيأمر بقتل مسلم صحابى إن هذا لبعيد جداً .

وإذا صح هذا عن عمر (رضى) فإنما يريد به أن سعداً خرج عن الإجماع يريد إثارة الفتنة بين المسلمين وتفريق الكلمة بين صفوفهم لغايات نفسية بعيدة منه كل البعد وكل من كان كذلك يجرى من حقه التأديب الشرعى فإن أصر فحكمه القتل (إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر) حديث شريف صحيح .

من هو مالك بن نويرة !

مالك بن نويرة اليربوعى هو من المرتدين بل هو رئيسهم وزعيمهم وقد تقدم الكلام مستوفى فلاحاجة إلى الإطالة والتكرار لكن السقيفة لما تعرضت لأشياء تتعلق بالمرتدين ولها مساس بهم أردنا مناقشتها فيهم .

فنقول إن هؤلاء المرتدين هم غير المتنبئين بيقين فالمتنبئون هم مسيلمة الكذاب وطليحة ونجاح وخالد العنسى .

أما مالك بن نويرة فقد كان ممن أسلم ودخل فى عداد المسلمين هو وقومه ، ولكن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد هو وقومه وجحدوا فريضة الزكاة التى كانوا يؤدونها إلى رسول الله (ص) كما مر آنفاً البحث عنها فجهز الخليفة أبو بكر (رضى) عليهم جيشاً بقيادة خالد بن الوليد (رضى) فطالبه خالد ابن الوليد بأداء الزكاة المشروعة كما كانت على عهد رسول الله (ص) فامتنع عن أدائها وقال : كنا نؤديها إلى صاحبكم وهى كالجزية فنحن الآن لانعترف بها ولا نؤديها . فقال له خالد : تقول صاحبكم أليس هو بصاحبك ؟ والله إن لم تؤدها لأقاتلنك فقال له مالك : كذا كان صاحبكم يأمركم ، يريد بالصاحب هنا رسول الله فقال له خالد : وتعيدها أيضاً ياعدو الله . أليس هو بصاحبك ؟ ثم قال له خالد : واعلم يامالك أنى أنذرتك وأنى حامل عليك بجيشى هذا فخذ حذرك فإنك أصبحت فى نظر الشرع

كالمشركين وفى حكمهم ما لكم إلا السيف أو الاسلام ، ولما أصر مالك وأبى عن أداء الزكاة حمل عليهم خالد بجيشه حملة واحدة فقتل من قتل وأسر منهم من أسر ، وكان من جملة القتلى مالك ابن نويرة .

هذا ملخص حرب أهل الردة ، وهو أمر واقع لاغبار عليه لا كما تتلون السقيفة فى ذكرها بين نفى وإثبات وإنكار واعتراف على طريقة الهزء والاستخفاف ، فلا يفيدها ذلك شيئاً ومهما ظنت فلتظن فإن هذا شأن الحاسد الموتور والمغلوب المقهور .

تزعم السقيفة أن عمر يطالب بقود خالد

أما الرواية عن عمر (رضى) بأنه كلم الخليفة أبا بكر فى إقامة الحد على خالد بن الوليد فى قتله مالك بن نويرة فرواية مكذوبة لاأصل لها فقد أراد واضعها تشويه سمعة خالد بن الوليد بارتكابه جرما يستوجب القصاص ، لأن علم عمر (رضى) وعقله ووقوفه على أحكام الشريعة تقف حداً فاصلا بينه وبين التدخل فى شىء لم يكن من حقه ولا مما يخصه ، فعمر (رضى) ليس من أولياء مالك بن نويرة فلا هو أخوه ولا هو ابن عمه ولا كان عمر مدعياً عاما من دون المسلمين ، إنما وليه أخوه متمم بن نويرة فقط فهو له الحق فى طلب القصاص أو الدية أو العفو والخليفة أبو بكر هو المسئول مباشرة ، وهو يرى رأيه فى القضايا المرفوعة إليه كما تقتضيه الأحكام الشرعية أو الإدارية حسب المصلحة والحكمة .

عمل خالد بن الوليد

أما خالد بن الوليد (رضى) فإنه لم يعمل إلا بما أمره به إمامه وخليفته وقد نفذ أوامره حسب وصاياه وتعاليمه ، ولم يخالف سلطانه فى عمل ، ولم يستبد به دون أمر الخليفة ، وهذاهو المعروف عن سيف الله خالد بن الوليد المجاهد الكبير والقائد الخطير والمخلص فى قيادته ومواقفه الحربية وجهاده ، فلم يسمع عنه أنه ارتكب أو خان أو غدر أو تأخر عن جبهة الحرب أو فر ، كلا والله ثم كلا هو أبو سليمان أستاذ القيادة العسكرية وصاحب التعبئة الفنية ، والخطط المتقنة — نعم يحكى أن جندياً جاء إلى المدينة ، وترك الجيش فأخبر عمر بقتل مالك بن نويرة ، وهذا لم يتأكد الأمر على وجهه ولم يتحققه بيقين ، ولولا حماقته لم يترك معسكره لأمر ليس هو مسئولا عنه ، ولا من واجبه .

فلما عرض عمر (رضى) الخبر على الخليفة قال له : من أخبرك بهذا ؟ قال له : جندى من جنود خالد فغضب الخليفة وأمر بإحضاره فلما حضر بين يديه أنبه الخليفة وزجره وقال: كيف تركت معسكرك وجئت إلى هنا وهل استأذنت من أميرك ؟ قال : لا يا خليفة رسول الله ، فقال له الخليفة : الآن الحق بجيشك ، فالتحق ذلك الجندى بجيشه . تبين أن هذا الجندى كان ميالا بطبعه إلى الشغب والسعاية وكان أهوج أبله حيث خرق النظام العسكرى بانفصاله عن الجيش بدون رخصة وكانت عقوبته الإعدام لو كان فى الوقت الحاضر .

وفى رواية : أن أبا بكر رد على عمر (رضى) بقوله : كف لسانك يا عمر عن خالد فإنى لا أشيم سيفا سله الله على أعدائه (هب أنه اجتهد فأخطأ) .

استخفاف السقيفة بالاجتهاد

وهنا تستخف السقيفة بخطأ الاجتهاد وتقول هذا من أوليات أبى بكر إذ يجعل الاجتهاد عذراً للمخالفة لقانون الإسلام .

فأقول : لا مخالفة هنا لقانون الإسلام ولا قيد شعرة ، وكيف يخالف مثل أبى بكر (رضى) الخليفة الأعظم المتشرع والحاكم بتعاليم القرآن وأوامر الشرع ، والمجتهد الأقدم القانون الإسلامى وأية مخالفة صريحة هنا للقانون الإسلامى أليس قد رتب الشرع القصاص أو الدية على قتل العمد للمسلم مع جواز العفو عن القاتل من أولياء المقتول ، ورتب الدية فقط من غير قصاص فى قتل الخطأ ،كيف وقد ثبت أن مالكا كان كافراً مرتداً يستحق القتل بحكم الشرع ، ولو تنازلنا وقلنا إن قتله كان بشبهة أو كان خطأ فى الاجتهاد فما يترتب على قاتله إلا الدية هذا إذا كان المقتول مصون الدم فكيف وهو مرتد كافر حلال الدم ؟!

وللسلطان هنا فى مثل هذه الحوادث العسكرية أو السياسية رأيه واجتهاده بمقتضى المصلحة والسياسة الحكيمة ، فهل من المعقول أن يتسرع الخليفة ويأخذ برأى مخبر جندى أهوج ويقيد سيف الله خالداً القائد العبقرى العظيم ذا الخدمات العظيمة والمواقف الشهيرة

لخدمة الإسلام .. وهل يوجد فى زمانه قائد يشبهه أو يلحق شأوه فى شجاعته أو نظره فى خطط الحرب أو إقدامه فى جبهات القتال الرهيبة .. لا والله ، أوفى إخلاصه أو فى تضحيته أو فى جرأته؟ لا ورب الكعبة .. فإذا كان خالد هو هذا البطل المغوار فهل يقاد بأعرابى بدوى من أجلاف العرب المرتدين الحمقاء .. وهل يقاس هذا بهذا ، كلا والله ثم كلا نعم ، هذه من أوليات أبى بكر الصائبة والسامية التى تستخف بها السقيفة ، فانظر يا صاحب السقيفة إلى سياسة أبى بكر وإدارته المحكمة المتقنة المبنية على مصلحة المسلمين قبل كل شىء ، ولا بد قد قرأت سير الحروب وتبين لك أعمال خالد الجبارة الخارقة قبل الإسلام وبعده وفى عهد رسول الله (ص) وعهد الخليفتين العظيمين أبى بكر وعمر (رضى) لا يغمطها إلا حاسد مكابر موتور .

عودة سيف الله خالد من جبهة الحرب

عاد خالد بن الوليد القائد الكبير (رضى) بجيشه منصوراً مظفراً فى قتال المرتدين مع الغنائم والسبايا ، فحضر عند خليفته وسأله الخليفة أبو بكر (رضى) عن الحادثة التى بينه وبين مالك ابن نويرة فشرحها القائد خالد كما وقعت بتمامها مفصلة ، وشهد له بذلك جنده فاطمأن عند ذلك الخليفة وارتاح ، وشكر خالدا على فوزه وتطبيق أوامره التى زوده بها .

أما إعطاء الدية من أبي بكر عن مالك بن نويرة فكان حسماً للشغب، وقطعاً للأراجيف، وتبرئة لساحة خالد مما يدور في خلد بعض أهل الظن.

محاورة متمم بن نويرة أخي مالك مع الخليفة أبي بكر

تحتج السقيفة ببيت من الشعر قاله متمم بن نويرة، يخاطب به الخليفة أبا بكر (رضى) وهو هذا:

أدعوته بالله ثم قتلتـــه ؟ لو هو دعاك بذمة لم يغدر

وأن الخليفة أجابه بقوله: (ما دعوته ولا قتلته) ولم يكذبه أبو بكر — هذا زعم السقيفة.

وأقول: يستبعد جداً صدور مثل هذا الخطاب من أسير مغلوب يواجه به الخليفة الأكبر أبا بكر الصديق (رضى)، وهو ذو القوة والسلطة، وجميع الجنود وقوادهم تحت إمرته وطاعته، وطوع أمره، وهذا الأسير الرقيق ينتظر رحمة السلطان في إطلاق سراحه وسراح قومه وإعتاقهم من قيود الذل والرق، وهم بين أمرين واقعين: إما السيف في الرقاب أو الإسلام، فكيف يعقل ويتصور أن يجرؤ هذا الرقيق على الكذب على الخليفة وجاهاً وبحضرته، ومن هو متمم، بل ومن مالك أخوه بالنسبة إلى الخليفة.؟

وعلى تقدير مجابهة الخليفة من هذا الجاهل بهذا الكلام، فإن الخليفة قد أجابه بغير هذا الجواب المزعوم، أجابه بقوله: «ولقد

كذبت يا متمم ، أنا ما قتلته غدرا ، بل دعوته بالله ، فأبى وجحد فرضاً من فروض الله الثابتة بنص القرآن ، فارتد وكفر ، فاستحق القتل فقتلته كفرا بسيف الشرع ، وهذا حكم كل مرتد . فإنه تكون عقوبته القتل ليس إلا » .

افتراء السقيفة على خالد سيف الله

تفترى السقيفة على خالد بن الوليد (رضى) القائد العام فى وقعة المرتدين بأنه قتل مالك بن نويرة ، وأخذ زوجته فنزا عليها ، كما افترى غيره قبله ممن هو على شاكلته على أصحاب رسول الله وأخذها الناس بعدهم من أهل الغفلة والتقليد الأعمى بلا محاكمة ولا روية ولا تحكيم عقل ، فهم يتلقون الأخبار من التواريخ المدسوسة ، والأحاديث من كتب الحديث المشوهة بلا تفكر ولا تدبر ، وكم راجت أمثال هذه على العلماء ، فضلا عن الأغبياء إلى يومنا هذا ، فما فاتحت عالما أو جاهلا بحديث أو خبر أريد أن أنبهه على وضعه وعدم ملاءمته للقرآن أو العقل أو المصلحة إلا وقف واجماً منكرا على رأيي وقد ساء ظنه بعقيدتى ودينى ، وذلك لأن هذه الأخبار الكاذبة والأحاديث الموضوعة المدسوسة ، من أهل الأهواء ، وبقية أهل الأديان والملل كالإسرائيليات وغيرها من سائر الأمم ، أصبحت راسخة فى عقولهم مرتكزة فى أدمغتهم ، تناقلوها على جهل ناساً بعد ناس ، وجيلا بعد جيل ، فتحكمت فى عقيدتهم وأذهانهم كالخرافات المألوفة اليوم بين طبقات

الناس التى ما أنزل الله بها من سلطان ولا ورد بها كتاب ولا أتى بها نبي ولا رسول ، فأصبحت من الدين واندمجت بين الفقه والتفسير والحديث ، كل ذلك بتيار الملاحدة الجارف وأعاصير اليهود السبئية ، فما لوث هؤلاء الأعداء هذا الدين الحنيف السمح المعقول والملائم لنظام الحياة ولسعادة البشر ، فى كل زمان ومكان إلا انتقاما منه ومن أهله وتشفيا لغيظهم الذى أكل قلوبهم ونخر عظامهم « قل موتوا بغيظكم » .

أقول كيف يتناسب هذا العمل مع مقام خالد وعظمته ومنزلته بين جنده ، بل بين قومه وصحبه ، وهو القائد ذو الشهرة البعيدة ، والصيت الطائر بين العرب والعجم والروم ، وهو من أصحاب رسول الله الأخيار ، وكبير بنى مخزوم وعميدهم وسيدهم وابن سيدهم ذو الجاه الرفيع ، والمكانة العليا فى قريش وهو من قواد رسول الله وسيفه المسلول ، وقد جربه الرسول ، وعرفه الخليفة الأكبر تمام المعرفة ، وكان أبو بكر (رضى) أعلم من غيره بالرجال ، كما شهد بذلك صاحبه عمر (رضى) ، وكان الخليفة يحرص عليه كل الحرص حتى ولاه القيادة العامة فى كل حروبه إلى أن توفى (رضى) ، ثم عزله عمر عن القيادة العامة لأمور عسكرية أو سياسية . وهو ابن خال عمر (رضى) كذا دفعه اجتهاده . ولم ينفصل خالد عن الجيش ولم يترك الحرب ، وقال : « أنا لا أحارب من أجل أبى بكر ولا لعمر بل أجاهد

فى سبيل الله ، وإعلاء كلمة الله ، هذا هو الإخلاص التام والإطاعة الصادقة ، وكان مظفرا فى كل حروبه مقداما مستميتاً ، لا يحسب للموت أى حساب ، وكان الجيش كلهم يستميتون تحت قيادته ورايته ، ويحبونه حباً عظيما ، ويطيعونه إطاعة قلبية ، وكان يتقدم أمامهم فى جبهات القتال ، فهو أبو سليمان تضرب بشجاعته وحروبه وفنونه وخططه العسكرية الأمثـــال ، ولقد لقبه الرسول (سيف الله) .

لا نابليون ولا القانونى سليمان

سل عنه فتوح الشام ووقعة اليرموك الشهيرة ، وسل عنه المتنبئين وجيشهم العرمرم الجرار ، وسل عنه وقائعه فى العراق ، وسفره الخطير منه إلى الشام فى سبعة أيام ، وهذا هو (حرب الصاعقة) اليوم . فهذا خالد وهذه بطولته وتضحيته . فأين أنت إذا ذكر هؤلاء المغاوير الكماة .. فاخلد أنت إلى حجرتك ولا تدن من الأسد يأكلك .

ولو اتفقت معك وسلمت بأن خالدا (رضى) أخذ امرأة مالك بن نويرة فما يمنع من ذلك ؟ ألم تقرأ عن سير الحرب وأحكام الغنائم والسبايا فى كتاب الله وكتب الفقه بأنه إذا استولى جيش المسلمين على بلد من بلاد الكفر قهراً وعنوة فللجيش الحق فى الغنائم والسبايا يوزعها القائد على أفراد الجيش بعد إخراج الخمس ، وتصبح الغنائم والسبايا ملكا للفاتحين ، والنساء والرجال

إماء وأرقاء ، وتملك الأمة ملك اليمين ولمالكها جواز الوطء بملك اليمين بلا عقد « أو ماملكت إيمانكم » ؟ أما تتبعت فتوح أمير المؤمنين عمر (رضى) لبلاد فارس والاستيلاء على ممالكهم وغنائمهم وسباياهم كيف أصبحوا ملكا للمسلمين يسمون (الموالى) أى الخدم . وهذا هو الذى أكل أكباد الأعداء الشعوبيين وحملهم على الانتقام بالطعن والقذع والزندقة .

الاجتهاد

تقول السقيفة : جعل أبو بكر الاجتهاد عذراً لمخالفة القانون الإسلامى .

أقول : قد تكلمنا آنفاً ونفينا كل مخالفة ، وهنا نريد أن نذكر طرفا عن الاجتهاد فنقول :

الاجتهاد هو بذل المجهود فى استخراج الأحكام من الأدلة الشرعية ، والقاعدة المقررة أن كل اجتهاد يحتمل الخطأ والصواب إذ أنه لم يكن صادرا عن وحى آلهى بل بحسب الرأى وبذل الوسع قدر الطاقة الإنسانية مع مراعاة الأدلة الشرعية . وها إنى سائلك يا صاحب السقيفة : متى كان اجتهاد المجتهد كله صوابا ، وإذا كان كله صوابا فمن أين تأتى هذا الاختلاف بين المذاهب بل بين المجتهدين فى مذهب واحد ، هذا يحرم شيئا والآخر يحلله والصواب على كل هو واحد لايتعدد ، حتى اجتهاد الأنبياء أيضاً إذا لم يكن عن وحى أو كتاب ، اقرأ قوله تعالى : « وداود وسليمان إذ يحكمان

فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ، ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما » .

ثم جاء فى مجلة الأحكام العدلية الموقرة فى مادة ١٤ تقول : (لا مساغ للاجتهاد فى مورد النص) وهو صحيح وأمر واقع ، ومن يحق له أن يجتهد تجاه النص القرآنى الصريح كقوله تعالى : « أحل الله البيع وحرم الربا » فهنا لا مجال للاجتهاد فى تحليل الربا تجاه هذه الآية الصريحة فى تحريمه ، ففى مثل هذا إذا اجتهد المجتهد يقال له خالفت القانون الإسلامى الصريح ، لا تلك المسألة التى نقدتها أنت ساخراً بها ومستخفا بصاحبها من غير رعاية لمقامه السامى وحرمته .

محاجة السقيفة فى الاجتهاد

فلو اتفق يا صاحب السقيفة وتحاججت أنت مع أحد من المسلمين ممن لا يقول بقولك ورد عليك بقوله : ما تقول فى اجتهاد المجتهد فى تحليل وطء الزوجة فى دبرها وإذا لم تطاوع الزوجة المسكينة إرادة الزوج السفيه فى هذا العمل القبيح تعد ناشزة لا نفقة لها كما هو معمول به عند بعض الناس . . ؟

فهل تعد هذا الاجتهاد موافقاً للنص الشرعى أو القانون الطبيعى أو القانون الاجتماعى ؟ ألم ينص القرآن الكريم على تحريم اللواطة كما اشتهر عن قوم لوط وكيف أنزل الله بهم عقوبة قاسية قاصمة .

ثم أين ذهبت عن الذاكرة هذه الآية الكريمة التى تنص وتحث على إتيان الزوجة من المحل المعهود المطبوع حتى عند الحيوانات أيضاً .

أظن أن المجتهد لم يتفهم المعنى المطلوب من قوله تعالى : « يسألونك عن المحيض قل هو أذى ، فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن ، فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله » . فهل يغفل أو هل يتغافل عن مراد الله بقوله : « فأتوهن من حيث أمركم الله » ؟ ألم يكن المقصود هو القبل والفرج ؟ فهل تقبل هذه الآية جدلا أو تأويلا أو اجتهادا .. نعم لم يحرج القرآن الزوج فى إتيان المحل المذكور على وضعية واحدة ولم يحصرها فى هيئة خاصة ، بل للزوج أن يأتى زوجته فى المحل المعهود كيفما يحب ويستذوق : استلقاء على الظهر أو على الجنب أو غير ذلك فقال تعالى محترزاً عن غلط الزوج وأنه ربما يفهم من الآية الكريمة غير المعهود والمطبوع : « نساؤكم حرث لكم » أى محل زرع تشبيهاً بالأرض التى تحرث للزراعة ويبذر الحب فيها للاستنتاج ، فكذا المرأة هى محل للاستيلاد والذرية ، ثم قال : « فأتوا حرثكم أنى شئتم » أى كيف شئتم كما تقدم تفسير الآية باعتبار الوضعية والكيفية لاغير فلفظة « أنى » هنا بمعنى « كيف » كقوله تعالى : « أنى تؤفكون » ، « أنى تصرفون » لا بمعنى من أين شئتم فهذا تفسير يأباه الشرع والطبع وتأنف عنه الغيارى من الرجال والنساء وتنفر عنه حتى البهائم .

فما موقفك يا صاحب السقيفة تجاه هذا الاجتهاد ، وماحكمك فيه ؟ هل تقول إنه موافق للقانون الإسلامى وإن اجتهاد أبى بكر مخالف للقانون الإسلامى ، كما ادعيت ؟ .

أوليات أبى بكر

يقول صاحب السقيفة : وهذه — أى اعتذار أبى بكر بأن خالداً اجتهد فأخطأ — من أوليات أبى بكر .

أقول : إن صاحب السقيفة لم يقف موقف المتأدب مع عظماء الإسلام العرب وملوكهم وقوادهم الفخام فى تعبيره ونقاشه ، نعم عرفنا أنه عدو للمسلمين وللعرب ولكن عدو عاقل خير من صديق جاهل كما يقال فى المثل ، فاعلم يا صاحب السقيفة أن لأبى بكر الصديق (رضى) أوليات فاضلة عالية رغم الحاسد البغيض وها أنا أعددها عليك إن كنت جاهلها أو غامطها :

فأبو بكر هو أول من أسلم من الرجال ، وأول من صدق رسول الله فسماه صديقاً ، وأول من بذل ماله إلى رسول الله ، وأول من هاجر مع رسول الله ، وأول من سماه الله صاحبا ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، وأول خليفة بعد رسول الله ، وأول من رقى منبر رسول الله بعده ، وأول من جمع القرآن ، وأول من سمى خليفة ، وغيرها مما يطول ذكرها ، فهذه من أوليات أبى بكر ، فهل ترى فيها من قصور ؟

مقارنة بين قتل الخليفة عثمان
وبين المرتد مالك بن نويرة

إنى أنشدك الله يا صاحب السقيفة — إن تجردت للحق — هل قتل الخليفة عثمان (رضى) أعظم وأكبر خطرا على المسلمين كما وقع ، أم قتل مالك بن نويرة المرتد ؟ فقد قتل عثمان (رضى) فى داره محصوراً مظلوماً فى مدينة رسول الله وعاصمة الخلافة العظمى — وهو أمير المؤمنين وختن رسول الله ومن كبار الصحابة ومن العشرة المبشرة — لدعايات كاذبة وأراجيف من سفهاء القوم بلا سبب ولا موجب شرعى يستحق به القتل سوى الغايات الشخصية لا غير ، وهل تأخير الحد أو تعطيل القصاص فى حق قتلة عثمان (رضى) وهم معروفون وحاضرون فى منازلهم على مرأى ومسمع من الناس كان عن اجتهاد موافق للقانون الإسلامى فيصبح دم الخليفة هدراً لا قصاص ولا دية ، واجتهاد أبى بكر فى أداء الدية لأولياء مقتول مرتد قتل فى ساحة الحرب ومحاربته للمسلمين يعد مخالفا للقانون الإسلامى ؟

عود على بدء

ترجع السقيفة إلى أمر النبى بإمامة الصلاة لأبى بكر فتريد أن لا تدع حجة لأبى بكر إلا وتكذبها بعد أن روت الروايات من كتب الحديث وشككت فى الأمر ونفت وتبجحت بردها ، فعن لها الآن أن تتم التكذيب والإنكار ، حيث لم يشف غيظها كل

ما تقدم منها فنقول : واستغرب توبيخ النبى (ص) لعائشة لما راجعته عن أبيها إذ قال لها النبي (ص) : « إنكن لأنتن صواحب يوسف » .

فأقول : إن هذه القطعة من الحديث موضوعة ، وضعها من دأبه شن الغارات على أصحاب رسول الله وأزواجه الطاهرات ، فأنا وكل ذى دين وغيرة على أنبياء الله وأصحابهم وأزواجهم الطاهرات ملزمون شرعا وأدبا بالذب عن كل مايمس شرفهم ويحط من كرامتهم ويشوه سمعتهم ؛ فنساء رسول الله هن أعلى قدراً من أن يشبهن بصواحب يوسف ، ورسول الله أغير رجل فى أن ينطق بهذا الكلام الذى لا يتناسب وأدبه وجلالة قدره ومنزلته الرفيعة (أدبنى ربى فأحسن تأديبى) وهو صاحب الخلق العظيم « وإنك لعلى خلق عظيم » .

فأزواج رسول الله المحترمات أمهات المؤمنين قد أنزل الله فيهن آية التطهير والتنزيه وهى (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء) ثم انتهى إلى الغاية المقصودة (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت — أى نساء النبي — ويطهركم تطهيرا) أى من كل دنس وشبهة وتهمة . فسياق الآيات هنا يدل دلالة صريحة قطعية جلية على أن نساءهم أهل بيته المطهرات الزاكيات فنحن بدورنا ننكر إنكاراً شديدا ونرد على كل من يتصدى ولو بكناية أو طرف خفى لمس كرامتهن ومنزلتهن ولا نقبل من أى محدث أن يروى هذا ونطعن فى روايته بل وفى عقليته وعقيدته .

من هم أهل البيت ؟

أريد أن أزيدك وضوحا بأن أهل البيت هم نساء رسول الله وأزواجه الكريمات ، اقرأ قوله تعالى ، بما يشبه هذه الآية بالنص والحرف فى حق زوجة إبراهيم صلوات الله عليه حين بشرت من قبل الملائكة أضياف إبراهيم قالت سارة : « أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً ؟ قالوا : أتعجبين من أمر الله ، رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت » الخ . فأهل البيت هنا زوجته سارة فقط وسموها أهل البيت .

ولعلك تريد أن تصرف الآية عن وجهها إلى وجه آخر بعيد بعود ضمير جماعة الذكور فأقول ذكر الضمير تعظيما وباعتبار لفظ أهل فإن لفظ الأهل مذكر فخوطبن بهذا الاعتبار ويشهد لذلك آية سارة وآية بنت شعيب زوجة موسى « ولما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً قال لأهله امكثوا إنى آنست ناراً لعلى آتيكم بخبر » الخ . فكان معه زوجته بنت شعيب فقط فخاطبها خطاب جماعة الذكور بالاعتبار المذكور .

صواحب يوسف

يسر السقيفة أن تعثر على مثل هذه الهنات لتتشبث بها وتنشط للتمسك بأذيالها ، ولو فيها طعن أو مس للمقامات العالية الرفيعة ، ألم تعلم أن صواحب يوسف فيهن امرأة العزيز التى

راودت فتاها عن نفسه ، والتى هددت يوسف بالسجن إن لم يفعل ما أمرته به ، وصواحب يوسف اللواتى سمعت بمكرهن ، واللواتى قيل لهن : إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم . فهل للرسول الكريم أن يشبه نساءه بالمرأة المراودة وبالكائدات الماكرات ، ذلك التشبيه البليغ بحذف الأداة ووجه الشبه .

وماهو الداعي القوى الذى حمل رسول الله على النطق بهذه العبارة النابية ؟ والرسول (ص) ما كان لعانا ولا فحاشا .

وإنما أرادت عائشة وزميلاتها (رضى) التثبت من النبي (ص) ليتأكدن من الأمر بالتنصيص على أبي بكر أو عمر فأكد رسول الله (ص) أمره ثانيا بقوله « مروا أبا بكر فليصل بالناس ويأبى الله ورسوله إلا أبا بكر » فهذا هو المقصود من مراجعة نسائه الطاهرات لرسول الله (ص) لا لأن عائشة (رضى) رأت أن الناس لايحبون رجلا قام مقام النبي(ص) أبداً وأنهم سيتشاءمون به فى كل حدث كان كما تزعم السقيفة فتؤول ذلك التأويل البعيد الكاذب

التشاؤم

إن رسول الله (ص) كان يعلم جيدا طبائع قومه ، ويعلم من يرغبون فيه ومن لا يرغبون فيه ، فلو كان عليه الصلاة والسلام يعلم أن القوم يتشاءمون من أبي بكر كيف يأمره بإمامة الصلاة وعنده غيره ممن يتفاءلون به خيرا ولا يتشاءمون منه ، هل كان

هذا غشا من رسول الله أو استبداداً منه ؟ حاشا رسول الله ثم حاشاه وهو الناصح والنبي الأمين ، ثم إذا كان النبي (ص) قد أهمل الأمر بالإمامة للصلاة فكيف أمّ أبو بكر الناس ورضوا به ، وكيف قدموه وهم يتشاءمون منه ! أليس ذلك مما يكذب صاحب السقيفة ؟ ويفند أخباره الضعيفة كقوله إن النبي أهمل الأمر بالصلاة .. وإذا صح وثبت أن رسول الله (ص) بعد ما أمر أبا بكر بإمامة القوم فى الصلاة ، وجد خفة فى بدنه فحضر المسجد وتقدم مصلاه وقد أمّ أبو بكر القوم فى الصلاة وأحرم بهم فأراد أبو بكر أن يتأخر إلى الصف وراءه ، فأشار إليه النبي (ص) بالدوام على صلاته ولزوم مكانه فصلى رسول الله (ص) بجنب أبي بكر جالساً والقوم يصلون وراءه بصلاة أبي بكر لأنهم لا يشاهدون حركات النبي (ص) وأبو بكر يصلى بصلاة رسول الله (ص) ، فهذا لا يشير إلى أن أبا بكر كان متبرعا بإمامته للناس أو أن الناس كانوا يتشاءمون منه بل لأن الرسول (ص) لما شعر بنشاط فى نفسه أحب أن يؤم الناس كعادته المستمرة . نعم والإمامة حقه وكان يرغب فى صلاة الجماعة ويفضلها على صلاة المنفرد ويرغب الناس عليها ، ولم يكن يتأخر عن صلاة الجماعة إلا لعذر موجب ، فهذا هو الدافع الوحيد لخروج رسول الله إلى الصلاة فى المسجد لا غير ، ويكذب ويفترى من يقول غير ذلك .

وأرجوك يا صاحب السقيفة أن تدلني على أحداث أبي بكر ، التي كان الناس يتشاءمون منها ، هل هي هجرته مع رسول الله في ذلك الوقت الحرج والوضع الخطر ؟ أم بذل ماله وما يملك وتقديمه إلى رسول الله في الحاجة الماسة ؟ أم جمعه للقرآن ، ولولاه لأصبح القرآن هدفا للاختلاف والوضع والغش كالأحاديث النبوية التي حرفوها وزادوا ونقصوا منها ، أمثال أحاديث السقيفة وغيرها ؟ أم إسلامه قبل كل الرجال ؟ أم تنفيذ جيش أسامة وأمر رسول الله .. أم حربه للمتنبئين أعداء الإسلام وأعداء رسول الله ؟ أم موقفه يوم السقيفة للحصول على الخلافة لقريش أهل الهجرة وأعمام رسول الله ؛ أم تصديقه للنبي وقد كذبه الناس ؟ أم قضاؤه على الثورات الداخلية الحمقاء ، ولولاه لفل ساعد الإسلام وذهبت هيبته وشوكته ؟ أم سوق الجيوش لساحات الأعداء فارس والروم وتنظيم الأسس العسكرية والعدلية والادارية وغيرها من مرافق الدولة وقوانينها الرئيسية ؟!

فهل هذه الأحداث كانت شؤما على المسلمين ؟ أم خيرا ورحمة للإسلام والمسلمين ؟ قاتل الله الوقاحة والصلف .!

كذب السقيفة

تقول السقيفة — ألا تراها أى عائشة كيف بعثت إلى أبيها تدعوه لما بعث النبي (ص) إلى علي يدعوه ليوصيه ، وكذلك صنعت حفصة لأبيها أى عمر ، ولكن النبي لما رآهم قد اجتمعوا أمرهم

بالانصراف وقال : « فإن تكن لى حاجة أبعث إليكم » وهذا قول من عنده ضجر وغضب باطن . أقول كذب راوى هذه الحكاية وافترى سواء كان مؤرخا أو محدثا ، ولا شك أنها موضوعة منتحلة على رسول الله ، فإن رسول الله كان يحب صهريه أبا بكر وعمر ويقدرهما ويقدمهما على الناس ، وكانا وزيريه ومشيريه فى مهام الأمور ، ولهما المنزلة المرضية عنده صلى الله عليه وسلم ، ولم يشتهر من كرامة وحرمة لأحد مثل ما اشتهر لهما .

فليس من اللياقة والآداب العمومية بين الناس فضلا عن الأنبياء أن يطردوا زائريهم أو يعبسوا فى وجوههم ، وهذه خلاف عادات الكرام بل والعرب جمعاء .. إذن فكيف يليق بمقام رسول الله — وهو الموصوف برحابة الصدر وحسن الخلق « وإنك لعلى خلق عظيم » ، « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » — أن يأمر زائريه بالانصراف .. وهل بلغ النبى الكريم هذه الدرجة من نكران الصحبة والأخوة والنسبة والجميل بينه وبينهم بلا سبب يدعو إلى ذلك الجفاء والجفوة .. وهل يريد أن يودعهما وهو فى آخر حياته (ص) بهذا الوداع المر ؟! حاشا وكلا . . فليس هذا من طبعه ولا من أخلاقه الكريمة عليه الصلاة والسلام ، وقد أساء الأدب مع رسول الله من نسب إليه هذه الرواية ؛ ثم لو فرضنا أن هناك وصية يريد أن يوصى بها لعلى كما تدعى السقيفة فلم لم يكتبها بحضور هذين الشيخين ويشهدهما على ما فى النص بتوقيعهما

وختمهما ليقطع بذلك طموحهما للخلافة وأملهما فيها ؟ فهل كان رسول الله يخافهما أو يخشى بأسهما فيحولان دون مراده وهو رسول الله الآمر المطاع ، وهو بين ظهرانى أعمامه وبنى أعمامه . . وإذا كان بنو هاشم يخشون أبا بكر وعمر فى حياة رسول الله فهم بعد وفاته أخوف ، إذن فما الفائدة من الوصية وأبو بكر وعمر أحياء فى الوجود . . ؟ من هنا نفهم أن أبا بكر وعمر كانت لهما شخصية عظيمة بين القوم ، ولها نفوذ وهيبة فى نفوس الناس يأتمرون بأمرهما وينتهون بنهيهما ؛ ثم لنفكر جليا أن أبا بكر وعمر ممن يعلمون أن دخول بيوت النبي (ص) محظور إلا بإذن واستئذان ، فلابد أنهما استأذنا من رسول الله (ص) «ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم » وبعد أن أذن لهما دخلا عليه (ص) — فكيف يناسب مقام النبي (ص) بعد هذا وكرم أخلاقه أن يأمرهما بالانصراف وهو فى بيت عائشة ومعها حفصة ، وكلتاهما من المحارم على الأبوين فلا يتضايق النبي (ص) من حضورهما . . وعلى فرض أنهما دخلا بلا استئذان لعلهما أن رسول الله فى بيت عائشة مدة مرضه ، وطبعاً معها حفصة بصورة مستمرة ، لتقوما بخدمة النبي وتمريضه ، وساغ لها الدخول ، فالرسول الأكرم لا يريد أن يواجههما بجفوة ولا جفاء وينسى خدمتهما له وجميلهما معه بالنفس والنفيس وهما عماه لأنهما أبوا زوجتيه عائشة وحفصة .

مناقشة الأخبار الواردة فى على (رضى)

مهدت السقيفة كلاما طويلا فى الاستشهاد بما ورد فى حق على (رضى) من أحاديث وأخبار ، وادعت أن هذه الأخبار كلها مما تطمئن إليها النفس، وهى مأخوذة من الصحاح، وأن لعلى (رضى) منزلة كبرى عند ابن عمه وقد حسدوه عليها ، حتى عائشة قالت فيه : « ما رأيت رجلا أحب إلى رسول الله منه ، ولا رأيت امرأة كانت أحب إليه من امرأته » .

أقول إن الأخبار والأحاديث التى استدل بها على إمامة على (رضى) واطمأن إليها صاحب السقيفة ، لا أطمئن أنا إليها وإن كان رواها فلان وخرجها فلان ، فأنا لا أنظر إلى من روى وقال، ولكنى أنظر إلى ما قال وأحاسب كل راو ومؤرخ الحساب الدقيق فقد ذهب زمان التقليد الأعمى والانقياد الجامد للمدسسين المغالين الهدامين ، نعم هذه أخبار راجت فى زمانها وتروج الآن أيضا على البسطاء العوام المغفلين، ممن عدموا التفكير والتدبر فى نقل الأخبار وأخذها ، وليس لهم ميزان حساس لمعرفة المنقولات من أخبار الآحاد حتى جهل فريق كبير من الناس حقيقة الدين وتعاليمه الصحيحة ، وتغاضوا عن معرفة بعثة الرسول والمهمة التى بعث لأجلها وأرسل إليها ، فالرسول (ص) كأنه بعث ليحتكر أو يشتغل بواسطة نبوته ورسالته ما يعود على بنى أعمامه بالنفع

الجزيل مادياً وأدبيا، ويخصهم دون المسلمين بامتيازات لم تكن من ضمن دعوته ورسالته .

« يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا » ، « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » (أي عامة)

« إن أكرمكم عند الله أتقاكم » قريبا كان أو بعيدا .

وهو الذى يقول : « الناس سواسية كأسنان المشط » .

ونحن ننزه الصحابة الكرام عن كل حسد يزرى بهم أو يثلم من دينهم ، على أن ليس هناك داعية لحسد الحاسدين ، فإن الصحابة كانت لهم المنازل العالية الرفيعة عند الله وعند رسوله ، فهم كلهم أخيار وخير الأمة ، نعم يجوز أن يختص كل منهم بفضيلة ومنقبة شريفة ، فلهذا كذا ، ولهذا كذا فلا موجب للحسد إذن ويجوز أن يكونوا جميعهم مشتركين فى نفس الفضيلة ، فإن علياً (رضى)إن كانت منزلته كبيرة عند رسول الله لكونه ابن عمه، فعبدالله والفضل وجعفر وعقيل أبناء عم أيضا ، بل والعباس الذى هو عمه وصنو أبيه ووارثه الشرعى لو كان الرسول (ص) يورث ، فهو أقرب من على بدرجة ، وإن كانت منزلته لكونه زوج ابنته فاطمة (رضى) فعثمان زوج ابنتيه الشقيقتين لفاطمة وهما رقية وأم كلثوم ، وإن كانت لمساعدته لرسول الله (ص) بالمال فعلى (رضى) ليس له شيء من المال ، وإن كانت لجهاده مع رسول الله

فالصحابة كلهم اشتركو معه فى ذلك ، فإن كان على اشترك بنفسه فهم بأنفسهم وأموالهم ، وإن كانت لعلمه فأبو بكر وعمر أعلم منه فإن أبا بكر وعمر قد ظهر فضلهما وعلمهما فى مدة خلافتهما وكيف قاما بأعباء الخلافة حق القيام فى سياسة وكياسة ، وتشريع واجتهاد ، وتدوين وإدارة ، وفتح وتدبير ، وتأسيس وبعد نظر ، أعجزت من بعدهم ، وأصبحت قوانين شرعية ومناهج قضائية وإدارية وأنظمة عسكرية . وإن كنت فى شك أو مكابرة ، فسل عنهم آثارهم وأخبارهم وما خلفوا لك من فتوح وبلاد واسعة وممالك شاسعة ، وعلوم جمة ، وثروة طائلة ، وعز باذخ ، ومجد شامخ أوفأتنى بواحد من مثلهم ، وإن كانت لشجاعته فهذا خالد سيف الله تشهد بحقه أبطال الروم وعلوج الفرس وفرسان العرب . فقد حارب وجاهد فى عهد النبي وخلافة أبى بكر وخلافة عمر ، ففتح بحروبه الحصون ودك القلاع ، وأباد جيوشا جرارة أقوى وأمنع من سد الصين : يوما فى الجزيرة ، ويوما فى العراق ، ويوما فى الشام كلها فى سبيل الله ، وكلها فى حرب الكفار أعداء الله ، فله يد بيضاء على الإسلام والمسلمين ، وهذا عدا خططه العسكرية ، وفنونه الحربية ، وتعبئاته المتقنة التى تقبلتها الأجيال جيلا بعد جيل كمناهج وأنظمة يستنيرون بضوئها ، ويتدربون على خرائطها ، وإن كنت فى ريب من قولى فسل المدارس الحربية والضباط المتخرجين فى مختلف الدول عنها . إذن فليس هناك شيء يدعو إلى حسد على (رضى) .

الاستشهاد بقول عائشة (رضى)

تستشهد السقيفة بقول عائشة وقد استغربنا ذلك من السقيفة ومن صاحب السقيفة، وإنه متى كانت أحاديث عائشة وأقوالها مقبولة معتبرة فى نظرك حتى تستدل بها وأنت نفسك تعترف وتقول: «على ما كان بين عائشة وبين على ماهو معروف»، أى من جفوة وجفاء وانحراف، فكيف تتنازل عائشة (رضى) وتتبرع بهذه الشهادة بلا سبب موجب.. اللهم هذا بعيد وغريب.!

وبالله عليك ياصاحب السقيفة لو كان الأمر بالعكس بأن قالت عائشة (رضى): «سئل رسول الله (ص) من أحب أزواجك إليك؟ قال: عائشة، قيل: ومن الرجال؟ قال: أبوها»، فهل تصدق ذلك وتعتبره صحيحاً؟ كلا.

ونحن لا ننكر حب رسول الله (ص) لابنته الكريمة (رضى) ولا حبه لعلى، ولكن المنافسة تدور حول الرواية عن عائشة وهى كذب صريح.

الأدلة

السقيفة تعدد الأدلة الواردة فى خلافة على (رضى)

١ — لما نزلت الآية الكريمة «وأنذر عشيرتك الأقربين» جمع النبي (ص) من أهل بيته أربعين رجلا فى قصة معروفة وكان ذلك فى مبدأ البعثة فعرض عليهم الإسلام، وضمن لمن يؤازره

وينصره منهم الأخوة له والوراثة والوزارة والوصاية والخلافة من بعده ، فأمسكوا كلهم إلا عليا فقد أجابه وحده، فأخذ برقبته وقال : «إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم — أو من بعدى — على اختلاف الروايات ، فاسمعوا له وأطيعوا » فقام القوم يضحك بعضهم إلى بعض استهزاء ويقولون لأبي طالب أبيه قد أمرك أن تسمع وتطيع لهذا الغلام ، يعنون ابنه عليا .

أقول : الرواية المشهورة عن رسول الله (ص) فى تطبيق هذه الآية ليست كما ذكرها صاحب السقيفة ولا فيها هذه الزيادات السخيفة وهى — حتى قام القوم يضحك بعضهم إلى بعض استهزاء — أى لأن فى هذا الإنذار مالا ينبغى لرسول الله — وهو الرسول المهيب الموقر والذى لا ينطق إلا بالحكمة — أن يجمعهم ليقص عليهم خلافة هذا الغلام وإمامته ووزارته ووراثته ووصايته .

فهذه روايات مختلقة تزرى بجانب رسول الله ، وتقلل من عقليته وحكمته وبعثته لمهام الأمور الجسام من : تبشير وإنذار وهداية وإرشاد وأحكام . إذن تبين من هذا على زعم السقيفة أن الآية غايتها بيان الوصاية والوزارة والوراثة والإمامة والخلافة لغلام هو ابن سبع سنين . وقد جمع الرسول الأكرم كبار عشيرته وزعماء بنى هاشم ليعلمهم ويعرفهم أن هذا الغلام من بين هؤلاء السادة كأبى طالب وحمزة والعباس وأبى لهب أعمامه بأنه هو الذى يكون كذا ويكون كذا ، وهذا مما يوجب الحط من قدر النبي (ص)

وكرامته فى نظر القوم ، ولذا أدى إلى استهزائهم به وضحكهم على مقالته هذه ، أما صاحب السقيفة فلا يهم مايقال فى صاحب الرسالة بل الذى يهمه إثبات الوصاية والوراثة والإمامة لعلى (رضى) وهو ابن سبع سنين وفى أول البعثة ، ولاندرى ما الذى أعجل رسول الله حتى أقدم بهذه السرعة على هذه الوصية ، وهو لايزال فى عنفوان دعوته وعلى فى إبان صباه ، فهل كان رسول الله (ص) يخشى قرب وفاته فبادر إلى هذا الترشيح والامتياز قبل حلول أجله ؟! ولعل صاحب السقيفة يعرف هذا السر وحده .

أما نحن فلا نتقبل هذه الحكايات الصبيانية التى هى إن أضحكت أعمامه فلأن تضحك أعداءه الأجانب بالأولى ، فنحن ننزه نبينا الأعظم بقلوبنا وألسنتنا عن هذه الأقاصيص المزرية .

نقل الرواية المشهورة عن النبى (ص)

أما الرواية المشهورة عنه (ص) فكما تروى عن ابن عم رسول الله (ص) عبد الله بن عباس قال : لما نزلت (وأنذر عشيرتك الأقربين) خرج رسول الله (ص) حتى صعد الصفا فنادى : «ياصباحاه فاجتمعوا إليه فقال : يابنى عبد مناف يابنى عبد المطلب أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقونى ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذبا ، قال : فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد »

حتى يروى أن عمه أبا لهب قال له : « تبا لك ألهذا جمعتنا »؟

ثم إن النبي (ص) من أين علم أنه يتوفى قبل على ، وعلى يكون خليفته ووارثه ، وعلى فرض أن الله أعلمه بذلك وعلم الله واقع وكائن لا محالة ، وإرادته غالبة ألبتة فلمَ لم ينفذ الله إرادته فى هذه الوصية لتكون طبق علمه ووحيه لرسول الله (ص) ويصبح على خليفة رسول الله بعده مباشرة ووارثه ووصيه ؟ وهل يعقل أن تغلب إرادة البشر إرادة الله تعالى ؟ ! كلا .

تقول السقيفة : وضمن لمن يؤازره وينصره الأخوة له والوراثة والوزارة والوصاية والخلافة .

فأقول : أما الأخوة فليست خاصة بالنبي وعلى ، لأن المؤمنين كلهم إخوة ، إنما المؤمنون إخوة ، فالمسلمون كلهم إخوان رسول الله .

وأما الوراثة فإن كانت وراثة مال فعلى ليس بوارث له مع عمه العباس وحمزة لو بقى حيا ، وإن كانت وراثة نبوة فليس بعد رسول الله نبى (ولكن رسول الله وخاتم النبيين) .

وأما الوزارة فعلى كان صبيا لم يتحنك بعد ولم يجرب الأمور والحوادث، وإنما وزيره من عركته الأيام واختبر الأمور واعتبر بالوقائع وذاق حلوها ومرها .

وأما الوصاية فلا أدرى على ماذا كان على وصيا ؟ أعلى مخلفات رسول الله الكثيرة ؟ أم على أيتامه القاصرين الصغار وإذا كانت ثم وصاية فعمه العباس أولى بها من على لتجاربه ومعرفته بأحوال الدنيا وتقدمه بالسن .

وأما الخلافة فقد تقدم الكلام عليها مستوفى ، فلا حاجة للإعادة فعليه ظهر أن لا صحة لهذا الخبر ، ولو فرضت صحته للزم منه أن تكون إجابة على الطمع فى الخلافة .

٢ — وفى غزوة الخندق لما برز على إلى عمرو بن عبدود قال (ص) : « برز الإيمان كله إلى الشرك كله »

أقول : إن قصة عمرو بن عبدود أشبه منها بقصة رأس الغول فى كتاب فتوح اليمن الموضوعة من قبل القصاصين الوضاعين ، وعلى فرض صحتها فمن هو عمرو بن عبدود ؟ إنه جلف من أجلاف العرب المشركين ، وقد قتل من هو أشجع منه وأشر وأكفر فى ساحات الحروب ، وميادين القتال من صناديد العرب وعلوج الروم والفرس ، وقد طوى ذكرهم ونسيت واقعتهم ولم تكن تتكرر على الألسن فى مناسبة وغير مناسبة ، نعم خرج على (ص) لمبارزة عربى مشرك ماذا يدعو رسول الله (ص) وهو أكمل الناس عقلا وأسدهم رأيا وسياسة أن يقول خرج الإيمان كله إلى الشرك كله ، إن فى هذه الشهادة من الرسول (ص) على فرض صحتها موجبا وداعيا إلى تنفير الصحابة فى وقت هو أحوج إلى التأليف بينهم واستمالة قلوبهم حيث جعل الرسول عليا الإيمان كله يعنى والباقين هم الإيمان بعضه فلم تبق لهم ثقة بإيمانهم رغم إخلاصهم وتفاديهم وجهادهم ونصرتهم لله ولرسوله ، وإذا كانوا قد فقدوا الثقة من أنفسهم تسرب اليأس إليهم ووهنت عزائمهم وفترت قواهم ونشاطهم فتنحل رابطتهم وتختل عندئذ صفوفهم وتتغير قلوبهم ،

وهذا خلاف المصلحة المتوخاة من البعثة وبذل الجهود فى تكوين كتلة المسلمين ونشر دين الله ، والرسول نفسه نهى عن العصبية فكيف هو يتصف بها .

على أنا لو سلمنا بصحة هذا الحديث فأين الدليل منه على خلافة على وإمامته ؟ وماهى مناسبة قتل رجل مشرك مع الخلافة ؟ فعلى هذا لو قتل سلمان (پاك) الفارسى مشركا من المشركين لاستحق أن يكون خليفة بعد رسول الله .

٣ — وفى غزوة خيبر باهى به الذين تراجعوا بالراية فقال : (إنى دافع الراية غدا إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) فدفعها إلى على .

أقول : لا يلزم إذا دفع رسول الله راية الحرب إلى رجل فى غزوة من غزواته أن يكون دليلا على خلافته فكم .. دفع الراية إلى قواد فى الغزوات والسرايا ، فهل يستحقون أن يكونوا خلفاء بعده ؟ فقد دفع الراية إلى مولاه زيد وإلى أسامة بن زيد وإلى غيرهما فى غزوات هى أهم من غزوة خيبر فهل يصح لهم أن يطالبوا بالخلافة بعد رسول الله . . لا . بل إنها لاتخطر لهم على بال إذ ليس حمل الراية من دلائل الخلافة ولا من لوازمها قطعا .

وأما محبة على (رضى) لله ورسوله ومحبة الله ورسوله لعلى فليست مختصة به بل إنها مشتركة بين جميع أصحاب رسول الله بل بين المسلمين عموما ، فكلهم يحبون الله ويحبون رسول الله ومن

لم يحب الله ورسوله فليس بمؤمن ، وكذلك من لايحبه الله ورسوله لأن الله لا يحب الكافرين، وكلنا نعلم حتى أنت أن أصحاب رسول الله هم المؤمنون حقا كما تقدمت الآيات فى حقهم « والذين آمنو أشد حباً لله »، « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » وكل أصحابه اتبعوه (ص) فيما أمر به . « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين » فكل مؤمن بطبيعة إيمانه يحب الله ويحب رسول الله ويحبه الله ويحبه رسول الله فليس فى هذا الحديث أقل إشارة على خلافة على (رضى) واختصاصه بها دون الصحابة من قريش ، أو أولويته بها .

٤ — ولما آخى بين المهاجرين والأنصار اصطفى علياً لنفسه فآخاه وقال : « أنت منى بمنزلة هرون من موسى » ولم يزل يكرر هذه الكلمة فى مناسبات كثيرة . أقول هذه الرواية لا صحة لها بل ولا أصل لها فإن الرسول (ص) هو الأب الأكبر والرئيس الأعلى لكل مؤمن ومؤمنة ، فهو قد آخى بين المهاجرين والأنصار لحاجة التآلف والتآخى بين القبيلتين المتباعدتين : العدنانيين والقحطانيين والمكيين والمدنيين ليصبحوا كلهم إخوانا لا فرق بين عدنانى وقحطانى ، مكى أو مدنى .

وليست هناك حاجة ملحة داعية للنبى (ص) ليتآخى مع على فهو ابن عمه كما يعلم القوم؛ ثم هذا التآخى مع فرض وقوعه لايدل

على أن عليا هو الخليفة بعده إذ لو كان التآخي بين القوم يستلزم ذلك لصار كل من يتوفى يخلفه بعده المتآخي معه على ماله وعلى مهنته وعلى وظيفته، وليس الأمر كذلك، فالتآخي هنا ديني لتقريب الغريب مع الغريب وتوكيد الصلة بين المؤمنين ليكونوا يدا واحدة تجاه العدو.

أما قوله «أنت مني بمنزلة هرون من موسى» فخبر ساقط الاعتبار لا يعول عليه، رتبه بعض المغالين فرواه السذج من الناس فهو خبر مطعون فيه إذ لا يتناسب مع مهمة الرسول وحكمته الحكيمة وشخصيته الموقرة أن يقضي أوقاته الثمينة في خصوصيات علي وما يتعلق بعلي؛ فمرة في تآخ ومرة في وصية وآونة في وراثة وأخرى في خلافة وحينا في إمامة وسيادة فالرسول (ص) كأنه بعث لرفع شأن علي فقط وليس له عمل سواه من تبليغ أحكام وإرشاد وتبشير وهداية وإنذار وإصلاح وتثقيف ووعظ، وغير ذلك مما تتطلبه رسالته وبعثته، فأصبحت مهمته الرئيسية كأنها خاصة بعلي لا غير.

ثم ما هي الأسباب الموجبة إلى هذا التشبيه البعيد بين هرون وعلي، فهرون أخو موسى وعلي ليس أخا رسول الله، وهرون نبي ومرسل وعلي ليس كذلك، وهرون توفى قبل موسى وعلي توفى بعد رسول الله، وهرون أكبر سنا من موسى وعلي أصغر سنا من رسول الله.

وعلى فرض أن عليا بمنزلة هرون فيقتضى أن يكون العباس من النبي بمنزلة اسحق من يعقوب (ص) وقس على هذا بقية بنى هاشم ، فهذه الأخبار مع الأسف مما يقلل من عظمة الرسول وسمو قدره وعلو جنابه بين طبقات الناس ، فيعتبرون أن مهمة الرسول الأساسية عبارة عن تقديم على وتفضيل على وترشيح على وعلى هذا الترتيب .

ثم تقول السقيفة لم يزل يكرر هذه الكلمة فى مناسبات كثيرة

أقول يعنى لم يكن للنبي عمل هام إلا الاعتناء بهذه القضية ولذلك لم يزل يكررها فى مناسبات كثيرة ، وربما أصبحت مملولة وممجوجة لا يصغى إليها قلب ولا تعيها أذن ؛ وحاشا رسول الله أن يكون كلامه جزافا مبتذلا . . كيف وهو المعلم الأكبر والمرشد الأعظم الذى يعتبر كلامه حكمة وحكما وكان يزن الكلام وزنا ولا ينطق إلا فى غرض صحيح معقول فيه مصلحة عامة ، ولو كان كما تقول السقيفة لاستدل بها على على خلافته ولشهد له بها الناس لأنها أصبحت مشهورة بين القوم ، قد سمعوها من النبي كثيراً فى مناسبات متعددة . إذن فما بالهم سكتوا وسكت؟ لا ندرى ، وإذا لم يطبقها على (رضى) ويطالب بها فهو إما ضعيف أو أنها ليس لها من الصحة شىء حتى يحتج بها ويؤيد بها دعواه .

ثم تقول السقيفة إن النبي (ص) أمر بسد الأبواب الشارعة إلى المسجد إلا باب على .

أقول إن هذا الخبر كذب يعارض بما روى وصح أن النبى (ص) قال : سدوا كل خوخة فى المسجد إلا خوخة أبى بكر . لأن النبى (ص) كان يقضى أكثر أوقاته مع صاحبه الحميم أبى بكر فى الحضر وفى السفر ، وكان يقدمه على الصحابة جميعهم ، وقد اصطفاه لنفسه صاحبا وخليلا ووزيرا وصهرا كريما وصديقا مفاديا وأخاً مخلصا فى السراء والضراء ، فقد واساه بماله وصحبه فى غاره ، وزوجه ابنته الطاهرة الكريمة حبيبة رسول الله العذراء التى لم يكن عند رسول الله فى أزواجه مثلها ولا أحظى منها ، وصدق رسول الله فى الغيب والشهادة حتى سماه الله صديقا «والذى جاء بالصدق وصدق به» ، وسماه صاحبا من دون المسلمين «إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا» ، وقد عاتب الله جميع من فى الأرض بهذه الآية وهى «إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا» ، وقد قام أبو بكر بنفقات هذه الهجرة من مركب وجهاز ومتاع ودليل يدلهم على الطريق ليلا ، وكان أولاد أبى بكر يراجعونهما فى الغار سراً فى أخبار قريش وما يلزم من مساعدة ومن ماء وطعام ، وقد حاق بهم الخطر والخوف ورجال قريش يتعقبونهم ويبثون العيون وراءهم . ألم تكن هذه التضحية كافية لصدق أبى بكر وإخلاصه لرسول الله ؟ وما الغاية التى كان يتوخاها أبو بكر من هذه الرحلة الخطرة ، وما الأمل الذى كان يسوقه إلى

هذه الهجرة الرهيبة ؟ تالله ليست له غاية ولا أمل إلا حب رسول الله والتفادى بين يديه والتفانى فى سبيل حياة رسول الله وراحته . فأين أعمامه وبنو أعمامه من هذه المجازفة ولمَ لم يصحبه أحد من بنى هاشم ؟ ولم لم يختر النبي (ص) واحداً من بنى هاشم وهم كثر وأقرب إليه من أبي بكر أليس كان ذلك ثقة منه (ص) بصاحبه وخليله أبي بكر واعتماداً على إخلاصه له ومواساته إياه بنفسه كما واساه بماله ؟ ومما يرجح روايتنا بقاء باب أبي بكر وخوخته النافذة إلى المسجد سوى الصحابة تقديمه لإمامة الصلاة بالقوم على اختلاف طبقاتهم ومنزلتهم ، ولا ينكر هذا إلا معاند استحكمت فيه العصبية فهو لا يسمع ولا يرى قد أعماه الحقد وأصمه الحسد والغيظ فجعل هدفه الوحيد بغض الإسلام والانتقام من العرب .

٥ — وقال : « لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق » وبعد ذلك كان يعرف المنافق ببغض على .

أقول : هذا أيضا من الافتراء على رسول الله إذ لم يأت فى كلام الله تعالى أن مبغض أى شخص من الناس غير الأنبياء يكون منافقا ، وهذا القرآن بين يديك اقرأه من أوله إلى منتهاه هل تجد أن محب على مؤمن ومبغضه منافق ، إنما المؤمن ملزم بمحبة الله ، ومحبة رسل الله وملائكته ، فحبهم إيمان ، وبغضهم كفر ، أما محبة على فلا دخل لها فى الإيمان ، وأما بغضه فلا يكون نفاقا لأن النفاق هو إظهار الإسلام على اللسان وهو فى الباطن

كافر جاحد ، وأما علاماته فقد ذكرها رسول الله (ص) بقوله : « علامة المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان » فعلى هذا لو أن رجلا آمن بالله وبما جاء به الرسول الأكرم ، وصدق بقلبه وأقر بلسانه ، وأحب الله ورسله وملائكته ، فهو مؤمن حقا سواء أحب عليا أم لم يحبه ، وسواء عرفه أم لم يعرفه . فمحبة على ليست من الإيمان قطعاً « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله » وعلى هذا فإن طائفة الخوارج الذين يبغضون علياً لا يسمون منافقين بالنظر لما بيناه ، بل هم طائفة من المسلمين خرجوا عن طاعة على لاجتهاد منهم ، سواء أكانوا مصيبين أم مخطئين كما أخطأت بعض الفرق والطوائف باجتهادها وخرجت عن الجماعة ؛ وهل كان مبغضو العباس أو حمزة عمى رسول الله يعتبرون منافقين ؟ وذاك هو الأولى ولم يقل به أحد . إذن فما هذه الميزة لعلى دون سواه ؟ وما هذه المغالاة التى حملتك على الكذب فى أحاديث رسول الله ؟ فعلى ليس من الأنبياء ولا من الملائكة .

٦ — وكان عند النبي (ص) طائر طبخ له فقال : « اللهم آتنى بأحب الناس إليك يأكل معى ، فجاء على فأكل معه » .

أقول : قبل كل شيء نطالبك بصحة هذه الحكاية وهى أشبه بحكايات ألف ليلة وليلة ، ونحاشى رسول الله أن نسميها حديثاً

عنه ، ألم تعلم أن رسول الله (ص) قال : « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » . وأنت قد ألزمت نفسك فى سقيفتك أن تعد كل حديث ورد فى حق أبى بكر وفضله أو النص على خلافته موضوعا مع أنها أحاديث معقولة أصح من أحاديثك هذه ، فكيف إذن تعتبر هذه الأحاديث وتعدها صحيحة وتستدل بها على خلافة على ، ثم على فرض صحتها فأية مناسبة بينها وبين الخلافة وإنما يراد للخلافة من يقوم بأعبائها بسياسة وكياسة وإدارة وتجارب كثيرة ، ونظر بعيد ، ورأى سديد وحكمة وتفكر فى عواقب الأمور ، ودهاء وحنكة ، وعقل واسع ، وحصافة وتدبير واجتهاد يلائم المصلحة العامة ، ولم نجد من الخلفاء والأئمة أحدا وفقه الله إلى هذه إلا أبا بكر وعمر الفاروق (رضى) ثم من روى لك هذا ومن شاهد أكلة الرسول المذكورة ؟ وما هو ذلك الطائر ؟ وفى أى بيت من بيوت النبى كان ؟ .

وإذا صح هذا فلم لم تكن أحب الناس إلى الله ابنته الجليلة فاطمة (رضى) فتحضر مع أبيها لتشترك معه فى هذه الأكلة الطيبة وكيف يهنأ لرسول الله هذا الطعام الشهى وابنته قد حرمت منه وهى بضعته وحبيبته الوحيدة ! أم كيف يتمنى أن يشاركه واحد من غير أهل بيته وهم نساؤه أمهات المؤمنين ، وقد طبخوه بأيديهم وهيأوه لحضرته حتى إذا بقى منه شىء اكتفوا به وسدوا حاجتهم وهم أولى وألزم لأنهم عياله وتحت كنفه وفى رعايته ؟ وهل ذهب عن

بال رسول الله ذلك كله ؟ اللهم لا. ثم لا ندرى لم كان على (رضى) أحب الناس إلى الله من سائر الصحابة العظام الفطاحل الفاتحين المجاهدين فى سبيل الله، الذين قطعوا البر وخاضوا البحر، وتسوروا الحصون وتسلقوا الجبال، وركزوا رايات الإسلام فوق شواهق الروابى والتلال ونشروا العدل والعلم والدين فى تلك البقاع القاصية وضحوا بأنفسهم الغالية ومهجهم العزيزة، وسهروا الليالى فى قارس البرد وحر الهجير، وغيرهم ممن خدموا الإسلام فى علومهم وسياستهم واجتهادهم وإنشاءاتهم العمرانية وإصلاحاتهم الكونية مما يعجز القلم عن سردها وتعدادها. إذن فما هى الميزة التى جعلته عند الله أحب الناس إليه دون هؤلاء العظام ؟

ولو صح أنه أحب الناس إلى الله لسهل له طريق الخلافة، ولأحبه الناس قاطبة بحب الله إليه وبايعوه، ولو كان أحب الناس إلى الله دونهم لوفقه فى خلافته كما وفق الرسول فى رسالته، وكما وفق أبا بكر فى خلافته، وكما وفق عمر فى إمامته وإمارته. هذه خلافة على ماذا جرى فيها وماذا حدث، هل تدرى ياصاحب السقيفة ؟ جرى فيها الاضطراب وحدثت الفتن والحروب والقلاقل وسفك الدماء بين المسلمين بدل أن يكون ذلك فى جهاد الأعداء، وفتح بلاد الشرك وتكميل ما خلفه الخلفاء الثلاثة قبله ؛ وقد مهدوا له الطريق فكيف لو كانت خلافته أول خلافة فى الإسلام، ماذا كان يعمل ؟ فقضية الخلافة أمر من الله اقتضت

إرادة الله وغيرته على الإسلام والمسلمين أن يتولاها أولا أبو بكر الحازم الإدارى ، ثم يتولاها بعده ذلك الإمام الجبار العادل والإمبراطور العظيم الفاروق ، ثم يتولاها عثمان الرحيم الرقيق ، ولكن لم يعرفوا فضله ولم يقدروا قدره فأنكروا جميله ورفقه بهم فقتلوه ، فسلط الله عليهم من أخذ بثأره فأبادهم وقضى عليهم القضاء الأخير .

٧ — وقال أيضاً : « أنا مدينة العلم وعلى بابها » .

أقول: وهذه أيضا من الأقاويل المختلقة والأحاديث المدسوسة من الشعوبيين جعلوها سلماً يرتقون بها إلى غاياتهم من نشر العداوة ، وبث الأحقاد بين المسلمين السذج ، وبالفعل قد لاقت رواجا من البسطاء ، وقبولا من الدهماء ، وهى لا تزال فى توسع وتقدم بين طبقات العوام .

فالرسول الأكمل (ص) مهما أوتى من علم لدنى أو إيحائى لا تحدثه يوماً ما نفسه الشريفة بهذه الدعوى وتلك الأنانية، وكيف يدعى هذه الدعوى وهو يعلم أن موسى عليه السلام حين سئل « من أعلم الناس ، قال أنا » فنسب العلم إلى نفسه ولم يسنده إلى الله ، فابتلاه الله باتباع عبد من عباد الله ومن أمة موسى وتابعيه فاتصل به بعد جهد ونصب الأسفار ، فطلب مصاحبته فأبى عليه كما فصلت قصته معه فى كتاب الله وبعد أن أراه من الأمور الغيبية والعلوم اللدنية التى كانت خافية على نبي الله ورسوله موسى

قال له : « ما علمي وعلمك بالنظر إلى علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر » ، « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » ، وقد أرشد الله نبيه (ص) أن يقول : « وقل رب زدني علماً » .

وقد اعترفت الملائكة المقربون فقالوا : « ربنا لا علم لنا إلا ما علمتنا » ، فأدب الرسول وتواضعه يأبيان عليه أن يغتر بعلمه ويقول أنا مدينة العلم ، وليس هذا من كلام الأنبياء ، ولا من كلام الأصفياء من أهل القلوب والسلوك ، وربما يقال إن هذا الكلام من باب التحدث بالنعمة « وأما بنعمة ربك فحدث » ، أقول ليس هذا من هذا الباب ، وللتحدث بالنعمة صيغة وعبارة أبعد عن الدعوى والافتخار كقول سليمان عليه السلام : « يا أيها الناس علمنا منطق الطير ، وأوتينا من كل شيء ، إن هذا لهو الفضل الكبير » وكقول عيسى عليه السلام : « إني عبد الله آتاني الكتاب ، وجعلني نبيا ، وجعلني مباركا أينما كنت » .

على أن هذا التشبيه ليس بالتشبيه الوجيه في مقام الأنبياء ، ولا بما يشبه كلامهم ، بل هو أشبه بكلام المدعين المغرورين .

فمن أدب الأنبياء أن يسندوا وينسبوا ما أوتوا من علم وفضل إلى الله « ألم أقل لكم إني أعلم من الله مالا تعلمون » .

ولو وافقناك وقلنا إن النبي (ص) مدينة العلم ، ولكن لم كان علي وحده بابها ؟ والقاعدة في تخطيط المدن وتأسيسها أن يكون لها أبواب متعددة . انظر إلى مدينة بغداد وإلى أبوابها : كباب المعظم

وباب الكاظم وباب الشيخ وغيرها (يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) فإن علم الرسول الأكرم علم غزير لاشك فيه ، ولابد أن يكون كمدينة واسعة الأطراف ، ولابد لمثل هذه المدينة من أبواب كثيرة ، إذن فأبواب مدينة علم رسول الله على سعتها : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الله ابن عباس وعبد الله بن مسعود وغيرهم من علماء الصحابة وفقهائهم الأفاضل ، ألاترى إلى علوم المسلمين الشرعية والمدنية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية وأنظمة الدواوين المالية والعسكرية وغيرها كلها من ذلك المعين الصافى والبحر الخضم الذى فاض حتى عم أقطار الدنيا ، وهل منبع هذه العلوم المختلفة العديدة من على وحده ؟ كلا لا يتصور ولا يمكن . على أن خلافة على فى مدتها القصيرة لم يستفد المسلمون منها ذرة من نفع ، بل تأخر المسلمون بسببها أحقابا طوالا . وإنما زهت الدنيا والعالم الإسلامى فى عهد الخلفاء الثلاثة قبله ، وفى قسم من خلافة الأمويين وطرف من خلافة العباسيين والدور الأول من حكومة الأمويين فى الأندلس والدور الأول من حكومة العثمانيين فقط .

فأبو بكر وعمر (رضى) بفضل صحبتهما للنبي (ص) المستمرة قد حصلا على كثير من العلوم النبوية والمعارف الإلهية حيث كشفت لهما الأسرار ، وانجلت لهما الحقائق ، فأصبحت خطاهم مسددة ، وأعمالهم محكمة متقنة ، فقد عاش المسلمون وبقية الأمم غير المسلمة فى ظلهما عيشة رغد وهناء ، وأمن وأمان، تحت رعايتهما

الأبوية ، وعدلها الوارف ، فإن لم تقر لها بهذا ولم تعترف به حسداً وعناداً وعصبية ، فهذه الآثار شاهدة ، وهذه تواريخ الدنيا ناطقة بالسن مختلفة ، ومن ينكر هذا فقد أنكر البديهيات

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

٨ — (أقضاكم على) : أقول نعم ورد فى حديث طويل أن رسول الله (ص) قال : « أرحم أمتى بأمتى أبو بكر ، وأشدكم فى الله عمر ، وأكثركم حياء عثمان ، وأقضاكم على ، وأقرؤكم أبي ، وأفرضكم زيد ، وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ » . فإن صح الحديث فليس فيه دلالة قطعية أو ظنية أو أية إشارة إلى خلافة على (رضى) وإنما أراد النبى (ص) أن يبين أن لكل رجل من هؤلاء الرجال المذكورين ميزته الغالبة فيه ، فذكر أن أبا بكر هو كذا ، وعمر كذا إلى آخره ، ولم يرد بذلك أن يعلن فى هذا أن علياً هو الخليفة من بين القوم ، بل أراد أن علياً غالبة عليه معرفته بالقضاء ، لا أنه مختص به من دونهم ، بل هؤلاء الأصحاب المذكورون يشاركون عليا أيضاً فى القضاء ، كما هو يشاركهم فيما غلب عليهم وفاقوا به ، فكما أن زيداً مثلا فرضى وأن أبياً قارىء فعلى أيضاً كذلك ، لأن صيغة أفعل التفضيل تفيد المشاركة فى الصفة والزيادة . ثم ليعلم أن القضاء غير الخلافة ، فإن مهمة الخليفة الأولى هى تدبير أمور المملكة ، وحفظ الثغور ، وتأمين الداخل ، ودفع الطوارىء الخارجية ، وتجهيز الجيوش وسوقها

إلى ساحات القتال والجهاد ، وتولية الولاة والعمال والقواد والجباة وتدوين الدواوين ، وتمصير الأمصار ، والنظر فى مصالح الأمة ، والقضاء وغير ذلك . ولكن لما كان الخليفة منصرفا إلى هذه الحوادث الجسام ، فقد ساغ أن ينصب قاضياً من قبله ينظر فى الدعاوى القضائية فيحسمها باسم الخليفة ، كما كان ذلك فى عهد الخليفة الأول والثانى والثالث ، وخلافة على أيضاً إلى يومنا هذا . على أن عليا لم يتفرغ يوما ما فى خلافته للقضاء إلا فى النادر القليل لانصرافه إلى الحروب الأهلية بين المسلمين فقط ، فأين القضاء إذن ؟ .

فقوله (ص) : « أقضاكم على » يعنى يترجح أن يكون على قاضياً لفصل الخصومات . وقد كان قاضياً بالفعل عند عمر (رضى) لا بمعنى أنه يترجح أن يكون خليفة . وأين القضاء من الخلافة والإمارة .. مع أن ظاهر الحديث هنا يدل على إمارة أبى بكر وعمر أكثر مما يدل على خلافة على ، لأن قوله (ص) : أرحم أمتى بأمتى أبو بكر . فيه دلالة على أنه إذا تولى الإمارة فإنه ذو رحمة ورفق فى رعيته ، وإلا فمن أين تظهر رحمته للأمة إذا لم تكن له سلطة وولاية عليهم فهو رجل من أفراد الأمة ؛ وكذلك عمر فإنه لا تعلم شدته فى الله إلا إذا ولى منصب الإمارة حتى يكون شديداً فى دين الله وفى تطبيق الأحكام الشرعية بلا هوادة ولا محاباة وقد كان كذلك فى خلافته .

٩ — (على مع الحق والحق مع على لن يفترقا حتى يردا على الحوض) أقول لا نسلم بأن مثل ذا الحكم الغيبي يصدر عن صاحب الرسالة ، وإذا صح وصدر فلا بد لأسباب داعية ، لأن الرسول لا يتكلم فى غير وعي وتدبر ، فالداعى إلى هذه الشهادة إما أن يكون قد وقعت خصومة بين على وبين أحد فى قضية شخصية فترافعا إلى النبي (ص) فتبين أن الحق فى هذه الدعوى كان بجانب على فقالها (ص) فى نتيجة هذه المرافعة الخاصة ، وإما أن يكون قد قالها (ص) فى حق على بصورة عامة ، فإن كانت من الشق الأول فلا دلالة فيها على أن الحق مع على وأن علياً مع الحق فى جميع قضاياه الخصوصية والشخصية فى كل زمان ومكان ، إذ علم مما تقدم أن ليس هناك بشر معصوم عدا الأنبياء ؛ إذن فيجوز أن يصدر عن الإنسان مهما كانت منزلته وديانته عمدا أو خطأ أو اجتهاداً مالا يكون الحق بجانبه كما انتقدت أنت اجتهاد القوم ، وعليه فقد أصبحت هذه الشهادة خاصة بقضية مخصوصة غير كلية ، وإن كانت من الشق الثانى فلا يصح لرسول الله أن يقدم على هذا الحكم الغيبي القطعى لأن الإنسان مجهول الخاتمة والعاقبة ، ومن الذى يضمن للنبي (ص) هذا التعهد حتى يبت بهذا الحكم المجهول ، والإنسان بطبيعته وجبلته معرض لأغراض دنيوية ومنافع شخصية ربما أدت به إلى الخروج عن دائرة الحق ؛ على أنك قلت فى أول السقيفة إن المسلمين انقلبوا بعد وفاة رسول الله . نعم ولو تنازلنا

معك وقلنا بقولك إن المسلمين كلهم من غير استثناء طبعاً ولا تخصيص انقلبوا أى قريشا جميعهم، والأنصار كلهم لأن الآية عامة والخطاب عام (انقلبتم على أعقابكم) لم تستثن علياً، ولا قرشياً ولا أنصارياً: فهل يكون هذا الانقلاب من على حقا؟ وهل الحق فى الانقلاب مع على؟ وكل ما قيل فى هذه الشهادة أنها لا تدل على أن علياً هو الخليفة بعد رسول الله. فالصحابة (رضى) كلهم كانوا صلحاً أتقياء يعرفون الحق والحق يعرفهم ويدورون مع الحق ويدور الحق معهم، وكذا فى كل أدوار الدنيا لا بد فيها ممن هو كذلك.

أما تذييل الحديث بقوله (ص) لن يفترقا حتى يردا على الحوض: فكم من أمثال هذه الزيادات قد ملئت بها الكتب وصرفت لها أوقات وقضيت فيها أعمار ما أفادت علياً بشىء، فإنها كلها حدثت بعد الوقوع والأمور سارت على طبيعتها، والذى تقدم تقدم، والذى تأخر تأخر. اللهم نعم فقد أفادت الشعوبيين فى تفريق وحدة العرب، وتشتيت شمل الأمة الإسلامية، وبعث الفتن وبث العداء بينهم، فهذا صحيح وهذه هى الغاية المهمة المتوخاة من هذا المبدأ، وقد سماها المسلمون الصادقون أهل العقيدة السلفية (بالعوامل الهدامة وأهل الأهواء).

وخلاصة القول أن هذه زيادة فى الحديث من قبيل وضع على وضع، إذ كيف يتعهد رسول الله فى أمر غيبى لا يعلمه إلا الله،

ألا ترى على زعمك أن المسلمين انقلبوا بعد وفاة رسول الله . . بعد أن سجل الله لهم إيمانهم الحق، ورضى عنهم ورضوا عنه، ووعدهم النعيم المقيم والسعادة الأبدية، وقد جاهدوا مع رسول الله واستشهدوا وبذلوا الغالى من نفس ونفيس، ومع هذا كله فقد تخلف عهد الله ووعده لهم بالجنة وبأنهم المؤمنون حقا، فانقلبوا وارتدوا بعد وفاة رسول الله على لا شيء، فكيف بعهد النبي (ص) ووعده لشخص من جملة القوم والنبي عبد مخلوق (والأمر كله لله) (ليس لك من الأمر شيء) « والأمور بخواتيمها ، وإذا صح قول النبي (ص) أن عليا مع الحق والحق مع على ، فالخلافة تصبح طبعاً فى جملة حقه على دعواك ، فلم لم يطالب بحقه ؟ أعن ضعف وجبن أم أنه يعرف أنه ليس له فى الخلافة حق ؟ فإن قلت لم يطالب بحقه خشية تفريق الكلمة كما اعتذرت أنت سابقاً بأن علياً بايع أبا بكر خشية تفريق الكلمة وحدوث الفتن . أقول لا أعتقد أن ما كان سيحدث من الفتن وسفك الدماء بمطالبة بالخلافة أكثر مما حدث فى حربه مع معاوية حين طالبه معاوية بإقامة الحد على قتلة عثمان (رضى) فسكت على وأعرض عن تنفيذ القصاص ، وقد كان قتلة عثمان بين يديه وتحت قبضته . فهل على فى هذا التأخر عن القصاص مع الحق والحق مع على ؟ لا أدرى .

١٠ — لكل نبي وصى ووارث ، إن وصيي ووارثى على بن أبى طالب . وقال له على مرة : ما أرث منك ؟ قال : (ص) « ما ورث الأنبياء من قبل : كتاب الله وسنة نبيه » .

أقول : إن هذين الحديثين لا أصل لهما وهمـــا من وضع المغالين الـكذابين .

فأنت ياصاحب السقيفة تنتقد عائشة (رضى) وتقول إنها تلز الفضل لأبيها لزاً .. نعم ذلك لأنه أبوها ولـكن أنت تلز الفضل لعلى لزا ، وتسوق الأدلة الـكاذبة والأحاديث الضعيفة والأقيسة المعوجة بكل مالديك من قوة ووقت ، كل ذلك بداعى العصبية والطائفية ، وأنت غريب عن على وعلى غريب عنك ، لارأيته ولا رآك ، ولا انتفعت منه بقشر بصلة ، ولا هو منجيك من الله إن كنت عاصياً أو مذنبا ، وليس له من الأمر شيء « والأمر يومئذ لله » . إذن فقدر أنت الفرق بينكما .

ثم من أين ثبت أن لـكل نبي وصيا ووارثا ، فهل كان ليحيى (ص) وصى ووارث .. ومن هو وصيه ووارثه ياترى؟ وهل كان لسليمان (ص) وصى ووارث .. ومن كان ذاك؟ وهل كان لعيسى (ص) وصى ووارث .. ومن هو وصيه . هل هو ابنه أم أخوه؟ فأحاديثك كاذبة وتؤيدها بأحاديث مثلها فلو أجبت واستدللت بقوله تعالى: «ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى إن الله اصطفى لـكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون» فنقول: الوصية هنا يرادبها التمسك بالملة الحنيفية ملة الإسلام ودين الله لا الوصية بالخلافة أو الإمارة ، وكذا قول زكريا : « فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا » أى يرثنى النبوة كيلا تنقطع من آل يعقوب

لا أنه يرثى الخلافة والإمارة . فهؤلاء كلهم أنبياء ورثوا النبوة عن آبائهم الأنبياء ، أما على فليس مثلهم ، فانه ليس نبيا حتى يرث من رسول الله النبوة ، بل ولا هو وارث مال أيضاً لأن العباس عمه يحجبه ، والعبرة فى وراثة الأقرباء غير ذوى الفروض بقرب الدرجة .

ثم لم كان هذا الاختصاص إلى على دون بنى عمه وعمه وهم لحمة واحدة ؟ ألكونه صهره وزوج ابنته ، أم لأن الناس كانوا لايميلون إليه بطبعهم فأراد الرسول أن يحببه إليهم ويستميلهم إليه ؟!

ثم إذا كان على يعرف يقينا ومتأكداً من هذه الأدلة بأنه وصى ووارث فما الذى حمله على الاستسلام والسكوت عن حقه ؟ وإذا كان هو راضيا فما بالكم ياصاحب السقيفة لاترضون برضاه .. وهلا وسعكم ماوسعه وما هذه الفائدة المترتبة على هذا الدفاع عن على وإثبات شىء هو خيال ؟ هل تقدرون أن تعيدوا الخلق ثانية وتقفوا محامين بجانب على وتنصبوه خليفة من جديد .. هيهات هيهات ، ولعله قد صح عندكم ذلك إذ تعتقدون بالرجعة وهى أمنية المغلوب .

وأما قول على لرسول الله : «ما أرث منك .. إلى آخره » ، فهذا شىء ليس خاصا بعلى وحده ، بل كل المؤمنين ورثوا من رسول الله كتاب الله وسنة نبيه منذ دخلوا فى دين الاسلام إلى يومنا هذا . فهذا كتاب الله يتلى فى مساجدهم وبيوتهم ، ولاسيما عند الطائفة

السلفية لايعرفون غير كتاب الله وسنة نبيه، أما عند غيرهم فتتلى التعازى والمآتم، وتروى القصص الكاذبة يبكون عليها كالنساء فى تعازيهن . ولم نجد إلى يومنا هذا أحداً منهم يحسن قراءة القرآن أو تجويده وكلما احتاجوا إلى تلاوة القرآن استنجدوا بغيرهم فهذا مما يدل على أن غيركم هم وارثو القرآن، وكذلك سنةالنبى (ص) فقد قاموا بحفظها وخدمتها وتنقيحها رغم دس الدساسين ووضع الكذابين ، فهذه كتب الأحاديث المسماةبالصحاح قد ملأت آفاق العالم الاسلامى . فالطائفة السلفية هم ورثة كتاب الله وسنة نبيه حقا، وقد جعلوا العمل بكتاب الله وسنة نبيه شرطا من شروط الخلافة ساعة البيعة .

فليس فى هذا الكلام دلالة ماعلى أن عليا يكون خليفة بعد رسول الله، لأنه أمر عام يشترك فيه غيره أيضاً. ولو أن الرسول (ص) يشير بكلامه هذا إلى الخلافة لقاله باللفظ الصريح الدال على خلافته قطعا ، بأن يقول له ترثنى الخلافة أو الإمامة ، وممن كان يحذر (ص) لوصرح لعلى بها ؟

١١ — وقال إن عليا منى وأنا من على لايؤدى عنى إلا أنا وعلى

١٢ — وقال إن عليا منى وأنا من على وهو ولى كل مؤمن بعدى

١٣ — وقال أنت ولى كل مؤمن بعدى .

أقول : هذه الأخبار التى تسمونها بزعمكم أحاديث رسول الله أشهد أنها موضوعة بعيدة عن الصحة ، بعيدة عن الصدق كل

البعد ، وكأن الإشادة بعلي أصبحت من أولى واجبات النبي (ص) الدينية . على أن ليس هناك باعث رئيسى على ذلك ، ولا هو من ضمن دعوته الأساسية ، نعم كل واحد منا يعلم أن للنبي أعماما وبني عم فماذا يترتب على هذا ، أيريد رسول الله أن يفرض على الناس ولاية على وحده من بينهم فرضا ؟ وماسبب هذه العناية الكبرى والاتجاه الزائد ، وهم كلهم لحمة واحدة ووشيجة واحدة ، وفيهم من هو أقرب رحما منه كعمه العباس ، على أن هذا ليس من متعلقات رسالته وفروع نبوته ، والمسلمون كلهم قريبهم وبعيدهم فى نظر الدين سواء إلا بالتقوى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » كما أنه لايفيد عليا شيئاً ولا يؤيد خلافته ، لأن النبي من على ، كالنبي من عبد الله بن عباس ، ومن الفضل بن عباس وجعفر وعقيل ، والنبي إلى العباس أقرب من على ، إذن فما الموجب لهذا بأن يقول : أنا من على وعلى منى .. فهذا كله تقول على رسول الله فكيف تتشبثون بأساليب واهية مخجلة ، ليست من شأن النبوة ولا من ملاءماتها .

ثم الفرية كل الفرية أن يسندوا للنبي قوله لعلى : « أنت ولى كل مؤمن بعدى » لأنه لايعقل ولايمكن أن يفوه رسول الله بشيء غير مطابق للحقيقة والواقع ، لأن الولى هنا إن كان بمعنى السيد أو الناصر فليس لعلى حظ منهما بعد وفاة رسول الله ، فعلى لم يساعد المسلمين ولم ينصرهم فى وقعة ما من الوقائع الحربية ،

وكذلك إمارته لم تكن للمسلمين فتحاً ونصراً ، بل كانت بؤساً وشقاء وتأخراً ، كما أنه لم يكن سيدهم ووليهم بعد رسول الله ، وأنى له أن يكون سيدهم ووليهم وقد أخروه إلى الدرجة الرابعة ، ومن يسلم له منهم بهذا وهم عظماء القوم وزعماء الصحابة ووجهاؤهم من قريش والأوس والخزرج .. ولو كان سيدهم حقاً لأعطيت بيده مقاليد الخلافة والسيادة ، وأصبح الناس منقادين إلى سيدهم ووليهم ، ولم يسمع أن أحداً منهم خاطبه بقوله : ياسيدنا ياولينا ، فهذه أخبار سوقية عادية لا ينبغي أن تنسب إلى رسول الله ولا تليق بشأن النبــوة والرسالة ، ولو كان على حياً لخجل منهـا واستحى .

١٤ — وسد أبواب المسجد غير باب على ، فكان يدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره . قال عمر بن الخطاب : لقد أعطى على بن أبي طالب ثلاثا ، لئن تكن لى واحدة أحب إلى من حمر النعم : زوجته فاطمة بنت رسول الله ، وسكناه المسجد مع رسول الله يحل له مايحل له فيه ، والراية يوم خيبر . هذا خط السقيفة — (لئن تكن لى واحدة أحب) .

أقول: هذه الأخبار المنافية لآداب المسجد ، ولقدر رسول الله لانقبلها البتة . ألم تخجل ياصاحب السقيفة أن تذكر دخول على المسجد بهذا اللفظ وهو قولك (جنباً) ونسيت أن زوجته بنت رسول الله الأغير ، أما تغار على فاطمة أن تتلفظ بهذا اللفظ

السمج ، ثم قد سددت عليه الطرق إلا طريق المسجد ، هل كان المسجد خانا أو جادة مرور ؟ وهل فى هذا فضيلة تستحق الذكر والامتياز ؟ وهل كان مسجد رسول الله طريقا للجنبين ؟ فقد لوثت مسجد رسول الله وحططت من قدره ، فمسجد رسول الله أسس للعبادة وذكر الله وتلاوة كتابه وإقام الصلاة ، فهل يصح أن يكون محل سكن لعلى يحل له مايحل لرسول الله فيه ، أى بأن يعمل فيه كل شىء حتى مايكون بين الزوجين ، وتستشهد على ذلك بقول عمر وتفترى عليه بهذه الأكذوبة ، ومتى صح عندك قول عمر وخبر عمر ، وعمر نفسه حتى تختاره للشهادة من بين قومه وسائر صحبه ، ولكن تختار من بين القوم من هو أكبر نفساً وأعلى همة ولو كان عدوك لتستدل به وتغفل به البسطاء السذج ، بأن هذا الرجل العظيم كان يتمنى منزلة على وما أوتيه من فضل وميزة امتاز بها على الناس . وأنا أشهد بالله العظيم ، أن عمر لايقول هذه ، ولايتنزل أن يقولها . أما زواجه من فاطمة فهى كأختيها الشقيقتين زوجتى عثمان بن عفان لا أكثر ولا أقل ، وأما الراية فقد أعطى رسول الله الرايات لمواليه وعبيده وغيرهم كأسامة بن زيد وزيد أبيه ، وأما سكناه المسجد فهذا خلاف أدب محمد رسول الله ، بل خلاف آداب المساجد عامة : فمسجد رسول الله لم ينشأ مسكنا لعلى ولا بيتاً يؤويه ويتخذه محلا للطعام والمنام . كيف والله تعالى يقول فى حق بيوت الله رافعاً شأنها : « فى بيوت

أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة ، إلى آخره ألم يكن لعلى بيت يؤويه ويضمه وأهله ؟ فبيوت الله محترمة ولاسيما بيت الله وحرم رسوله وبجده الأعز . فهذه الأخبار لاتتناسب وقدر رسول الله ومكانته ، وهو الشهم الأغير ، أن يجيز لعلى أن يتصرف فى مسجده مايشاء ويحل له مايحل للناس فى كل شىء .

١٥ — ويوم الغدير قام النبى (ص) خطيبا على مائة ألف أو يزيدون وبعد أن نعى نفسه إليهم ذكر الثقلين كتاب الله وعترته وأنهما لن يفترقا ولن يضلوا بالتمسك بهما أبداً أخذ بيد على وقال : أيها الناس ألست أولى منكم بأنفسكم قالوا بلى يارسول الله قال فمن كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله . فلقيه عمر بن الخطاب فقال له : هنيئاً يا ابن أبى طالب أصبحت وأمسيت حول كل مؤمن ومؤمنة أو أصبحت مولاى ومولى كل مؤمن ومؤمنة .

أقول : بهذا الرقم المكذوب تنتهى أخبار السقيفة الموضوعة والأقوال المزورة على رسول الله (ص) جمعها المهضومون الذين هم يبكون ويتباكون ، أعلى الحظ العاثر أم يبكون على بلادهم الضائعة وأوطانهم المسلوبة ؟ لاأدرى نعم إنهم يبكون على أمر لايخصهم ولايعنيهم قد مضى عليه أكثر من ألف وثلثمائة سنة .
إذن فلينظر الأجنبى إلى هذه العقول وهذه النفوس التائهة .

كيف تفترون على النبي (ص) الكذب وتسندون له هذه الأخبار المخجلة المنافية لمقامات الأنبياء والرسل ، وهل سبقه أحد من إخوانه النبيين أن نادوا فى قومهم كما نادى رسول الله فى قومه (على دعواكم وزعماكم) وهل ادعوا كما ادعى واستغلوا لأنفسهم ولأبناء أعمامهم كما استغل النبي الأمين (على دعواكم) حاشاه ثم حاشاه . وبيان المراد بقوله تعالى :

« النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم » أن النبي (ص) أرفق وأشفق وأولى بهم من أنفسهم وأقدم فهو دائماً يريد لهم الخير ويدلهم على طرق الهدى وسبل السلام، فكأنه أبوهم الحميم الرءوف الرحيم وكان بالمؤمنين رحيما فهم أبناء رسول الله وأزواجه أمهات لهم يحرمن عليهم كما تحرم الأمهات « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ».

وكان (ص) يعلم طبائع العرب ونفسيتهم وشممهم وإباءهم حتى أن قسماً من أعمامه وبني عمه أبوا أن يؤمنوا به ويخضعوا لأوامره وينقادوا لشرعه وتعاليمه استنكافاً وكبرياء وقد قاسى منهم ماقاسى حتى شرح الله قلوب قوم منهم فاعتنقوا الإسلام، وبعد أن أنسوا منه كرم الأخلاق وحسن السيرة والتواضع واللطف والرفق واطمأنوا لجانبه، وعلموا أن دين الإسلام دين الحرية والعدالة والمساواة يفاجئهم فى آخر حياتهم بشىء لم يعهدوه حيث يقف

بينهم وينادى بأعلى صوته آخذا بيد ابن عمه على فيقول : من كنت سيده ومولاه فعلى أيضاً سيده ومولاه ويدعو له بهذا الدعاء : « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » يعنى أن النبى (ص) لم يكفه وحده أن يكون مولى القوم وسيدهم ، بل طمع وأشرك معه ابن عمه الفتى ونسى قوله تعالى : « واخفض جناحك للمؤمنين » « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » كيف وقد عاتبه الله تعالى من أجل الأعمى « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » .

أليس هو الذى قيل له كيف نصلى عليك يارسول الله قال : قولوا « اللهم صل على محمد » بلا ذكر سيادة ولا آل ولاقريب أو بعيد .

« قل إنما أنا بشر مثلكم » وكان صلى الله عليه وسلم يخاطب الأعرابى بقوله : (يا أخا العرب) ولئن رضى الأصحاب بأن يكون النبي سيدهم ومولاهم فلن يرضوا بأن يكون على سيدهم ومولاهم كيف وعلى مثلهم بل وكثير منهم يرى نفسه أكبر وأفضل وأرجح من على كما شوهد ذلك عند تولى الخلافة . ثم كيف يريد النبى (ص) أن يرجع بهم إلى عادات الجاهلية من سيد ومسود وأنانية واحتكار وهو الذى نعى على النعرات والعادات القبيحة وأخلاق الجاهلية وكان يقول : « يا أيها الناس أنتم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

إذن فهل يتصور للنبي (ص) أن يتحكم في حرياتهم ورقابهم فيجعلهم أرقاء بعد أن كانوا أحراراً زعماء، فإن هذا يتنافى مع بعثته الشريفة (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

أما الخطبة التي كانت في حجة الوداع فمن جملة فقراتها (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وسنة نبيه لن يفترقا حتى يردا على الحوض) وهذا هو الأنسب وهو المعقول ، والمراد بالثقلين هنا الشيئان الحسنان ، ولا شيء أحسن منهما للمسلمين : فالعمل منوط بهما من عبادة ومعاملة وقضاء، وهما باقيان إلى يوم القيامة : إذ هما من أصول الإسلام الأربعة الرئيسية : الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وأصل هذه الأصول الكتاب والسنة ، ولا وجه للمناسبة بين الكتاب والعترة . فنحن الآن ندين الله ونتعبد بكتابه وسنة رسوله الصحيحة الخالصة من الخرافات والدس والوضع ، وكذلك من قبلنا ومن بعدنا « ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » فكيف ألصقتم الموتى بالقرآن الكريم وتركتم وأعرضتم عن سنة رسول الله، وما الوجه الجامع بين القرآن العظيم وبين الناس الموتى ؟ على أن الرواية الأخرى : إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً (كتاب الله) وهو الصحيح المقبول لأن القرآن هو دستور المسلمين وقانونهم الأساسي المبين وهو باق محفوظ إلى يوم القيامة « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

ومما يدل على كذب هذا الخبر استشهادكم بقول عمر بن الخطاب : هنيئاً لك يا ابن أبي طالب الخ — وهل يتصور أحد في الدنيا أن عمر ذلك القوى العزيز كبير النفس وأبي الضيم، أن يتنزل ويخاطب عليا بهذا الخطاب ، وهو الذي كما تدعي في سقيفتك أخر عليا عن الخلافة يوم بيعة السقيفة وبايع أبا بكر بكل جرأة وإقدام ، وكسر سيف الزبير ، ودفع في صدر المقداد ، ووطيء سعد بن عبادة ، وحطم أنف الحباب بن المنذر ، وتوعد من لجأ إلى بيت علي ، وقال لعلي لأحرقن عليك بيتك إن لم تبايع ، وأخذه قسراً للمبايعة أفمثل هذا الليث الهصور تسمح له نفسه ويخاطب عليا بهذا الخطاب المستكين.. كلا والله ثم كلا، ولكن كثيراً ما تستشهدون بأقوال هذا البطل العظيم لتروجوا أكاذيبكم على البلهاء بأن عمر نفسه شهد واعترف لعلي بهذه المرتبة ؛ فهذه من جملة الخدع التي تعرفون كيف تدلسون بها على البسطاء الغفل من الطائفتين .

ثم لو كان علي مولى الناس وسيدهم لما أخره قومه إلى الوراء وهل يعقل أنهم كلهم كانوا أعداء له ، وما الذي كان بينهم وبينه ؟ ولكنهم كانوا يعرفون الأجدر والأحرى والأليق بهذا المنصب ، وحقاً فهم أعرف بذلك وأدرى .

الآيات النازلة في حق عليّ عَلَى زعم السقيفة

قالت السقيفة : قال ابن عباس : نزلت في عليّ ثلثمائة آية من كتاب الله تعالى . أقول : أظن أنك غالط يا صاحب السقيفة

فى الحساب ، لأن الآيات التى نزلت فى على أكثر وأكثر من هذا لكنك تنازلت إلى هذا العدد وقللت منه ، لأن القرآن العظيم بطوله وبعرضه ، وفصاحته ، وبلاغته ، ووعده ، ووعيده ، وقصصه وأمثاله ، الذى نزل به جبريل الأمين من السماء على رسول الله ، كان الغرض المهم منه التنويه بشأن على وتعداد فضائله وذكر أعماله والثناء عليه لا غير ! ..

وما بقى من الآيات أنزلت ثانيا وبالعرض فى حق المسلمين عامة ، وهذه ياصاحب السقيفة قسمة جواد سخى ! . فإذا كان هذا القدر من الآيات نزل فى حق على وحده ، من ذلك القرآن العظيم الذى نوهت عنه الكتب المقدسة قبله ، وأصبح معجزة باقية أبد الآبدين ، ودهر الداهرين ، والذى أعجز البلغاء ، وأخرس الفصحاء ، فلم لم ينزل عليه رأسا ويصبح رسولا إلى الناس من بين قومه دون رسول الله محمد (ص) ؟ ، وعلى هذا فلو صنفنا الآيات الواردة فى الأحكام والتشريع وجمعناها ، فماذا يبقى بعدها لرسول الله وللمسلمين بعمومهم وخصوصهم ، إذن كان الرسول واسطة بين الله وبين على بوجه خاص . وبين الله وبين المسلمين بوجه عام .

واعلم ياصاحب السقيفة أن القرآن العظيم لم ينزل لحساب أحد ، أو لخاطر أحد بخصوصه ، بل لمنفعة الأمة عامة فى جميع أغراضه ومواضيعه ، أنزل لبيان الأحكام وتشريع ملة الإسلام

على سبيل العموم بخطاب عام كقانون ودستور إلهي يرشد الناس إلى عبادة الله وتوحيده ، وتهذيب النفوس وتربية العباد التربية الشرعية ، وتثقيف عقولهم وتنويرها ، وإصلاح أمورهم الدينية والدنيوية ، لكي يصبحوا خير أمة أخرجت للناس ، وليصدق عليهم قوله تعالى : « كنتم أمة وسطا » ، هذه هي الغاية والمقصد الأسمى والمهم لبعثة رسول الله ، ولإنزال الكتاب العظيم الذي استمر نزوله في سنين حتى انتهى بقوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً » لا غير .

تختار السقيفة من هذه الآيات المتقدمة النازلة في عليّ على زعمها ثلاث آيات :

١ — آية « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » وقد نزلت فيه إذ تصدق بخاتمه وهو راكع في الصلاة فأثبت الولاية له كولاية الله ورسوله على الناس .

أقول : هذه تمنيات وتأويلات لا مساس لها بالصحة ، ولا مناسبة لها مع على وحده ، ولا دخل لها معه بخصوصه بقدر الذرة ، وإنما زها بها المغالون وهي من بدع التفاسير الساقطة بل الآية يشهد الله عامة في كل مؤمن يقيم الصلاة وهو خاضع خاشع لله ، وكل مؤمن يؤتي الزكاة وهو خاشع متواضع لله بلا غرور ولا جبروت ، وهي صادقة على كل مؤمن متصف

بهذه الصفة إلى يوم القيامة . فاللفظ عام يراد به كل من اتصف بهذه الصفة العالية من إقامة الصلاة وأداء الزكاة ، آتياً بهما على أكمل وجه وأتمه ، فالله ولى المؤمنين أصالة ، والرسول والذين آمنو يقيمون الصلاة بأركانها ، ويؤتون الزكاة بتمامها ، خاضعين لله متواضعين خاشعين لعظمته ، متجردين عن كل أنانية وغرور وسمعة ، هم أولياء المسلمين تبعا .

فهذا مقصود الآية الكريمة ، نزلت فى مدح هؤلاء المؤمنين ولكنكم أبعدتم وأولتم الآية على غير وجهها ، وصرفتموها عن ظاهرها لمجرد التشهى والتمنى تلاعباً فى كتاب الله حسب المبدأ والنزعة لا لتبين الحقائق وإظهار الغرض الصحيح من كتاب الله.

ثم أقول : متى كانت هذه الآية صادقة على علىّ وحده دون المؤمنين وخاصة به من بينهم ، ومتى ملك على من المال ما تجب به عليه الزكاة ؟ ثم إذا كان هو متلبسا بالصلاة فما هى الضرورة الملجئة لنزع خاتم إذا لم يكن له شىء من المال ؟ وكيف يتحرك بهذه الحركات وهو مستغرق فى عبادته ؟ وهل كان وحده فى المسجد ولم يكن معه أحد يكفيه عن نزع خاتمه أثناء الصلاة ؟ ومتى كلف الله الناس أن يزكوا أو يتصدقوا وهم فى صلاتهم وما هذه العجلة والمبادرة بهذه الصورة ؟ فقوله تعالى : « وهم راكعون » هذه الجملة قيد لإقامة الصلاة وأداء الزكاة كما تقدم تفسيرها، أى وهم خاشعون خاضعون، لا أنه هو راكع فى الصلاة

وتصدق بخاتمه ، فالركوع هنا عام بمعنى الخضوع والخشوع ؛ وعليك أن تراجع اللغة والتفاسير الصحيحة إن كنت تغالط أو لا تطمئن بهذا ، ثم ما هو الدليل الذى خص عليا بهذه دون غيره من المؤمنين ولعلها كانت قد نزلت فى حق أبى بكر الغنى الذى سخا وجاد بماله الكثير لرسول الله ، أو عثمان المثرى الكبير الذى جهز جيش العسرة واشترى بئر رومة وتصدق بها على المسلمين ، أو عبد الرحمن بن عوف صاحب الثروة الطائلة والمال الوفير وغيرهم من أغنياء الصحابة.. فهؤلاء الذين تجب عليهم الزكاة وقد مدحهم الله على ذلك ، فإنهم قد أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وهم خاشعون لله لا يريدون بها إلا وجهه .

ثم ما قيمة خاتم لا يساوى درهما حتى ينزل فيه قرآن ؟ وإذا كان الأمر كذلك لجدير بأن ينزل قرآن على أبى بكر الذى تصدق بجميع ماله حتى قال له رسول الله : (ما أبقيت لأهلك ؟ ! قال : أبقيت لهم الله ورسوله) ولا ينكر أن أبا بكر كان تاجراً غنيا ، وكذلك عمر بن الخطاب (رضى) أتى بنصف ماله ، وعثمان بن عفان (رضى) كان يساعد رسول الله (ص) من وقت لآخر طيلة حياة رسول الله (ص) وكل أحد يعلم أن عثمان كان ثريا كثير المال سخيا حتى قال فى حقه (ص) : ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم : فقد صرف على المسلمين وعلى جيوش رسول الله آلاف الدنانير ، وهذا أمر لا ينكر ، وكذلك باقى المسلمين

كانوا يساندون النبي (ص) بما يملكون كل على قدر طاقته واستطاعته : وقد نزلت فيهم آيات شكر ومدح وثناء بأسلوب عام ، وإن شئت فأمعن النظر فى كتاب الله تجد ذلك حقاً واقعاً .

٢ — آية التطهير إذ جمع النبي (ص) علياً وزوجته وابنهما معه فى كساء واحد، فنزلت الآية بإذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم وهذه العصمة التى تشترط فى الإمامة .

أقول : هذه أشبه بالتعابير منها بالتفاسير ، وأظنك يا هذا بعيد عهد عن كتاب الله ودراسته ، ولو أنك تتبعت آياته وتلوتها بتدبر وإمعان ونظرت فى سياق نظمه المنسجم لما أقدمت على مثل هذا التأويل البعيد والتفسير النابي الذى لا يلائم نظم القرآن ولا مراده . نعم إنه يلائم مبدأك وهواك فقد أولته برأيك من غير ورع ، ولا توقف، وهذا هو الذى يسميه المفسرون ويعبرون عنه بقولهم : (من بدع التفاسير) .

اقرأ إن أردت الوقوف على حقيقة الآية والغاية منها ، سورة الأحزاب ، تعرف حينذاك أن آية التطهير فيمن نزلت وبمن خصصت، وتعلم من هم أهل البيت، ألا ترى أنها نزلت فى نساء النبي (ص) وأزواجه الطاهرات كما قد تقدمت الإشارة إلى تفسيرها آنفاً، وقد وفينا الكلام حقه فعد إليه إن شئت . إذن تحقق من سياق الآيات ومنطوقها أن أهل البيت هم أزواج رسول الله وحرمه المحترم المصون، وآية التطهير نزلت فى حقهن فقدطهرهن

الله من الأرجاس والأدناس ، وصار هذا اللقب خاصا بالأزواج كما استشهدنا على ذلك بزوجة إبراهيم (ص) أما الرجال فلا نصيب لهم فى هذه التسمية ولا يشملهم هذا التركيب الإضافى ، وكيف يرضى على وابناه — وهم رجال — أن يلقبوا بلقب النساء فيصبحوا فى عداد الزوجات؟ وكيف يسمى النبي (ص) عليا والحسن والحسين (رضى) أهل البيت وهو الذى أنزل عليه القرآن وقد علم بجمله ومفصله ومراده وتفسيره وتأويله .. فحاشا رسول الله أن يجهل أو يتجاهل أو يتحدى مراد الله من كتابه ويذهب به مذهبا بعيداً عن الحقيقة والواقع . وعليه فقد تبين من هذا أن الخبر لا أصل له وأنه ليس هناك عباءة أو كساء ومن العجب أن هذه الأخبار قد لاقت قبولا من الناس وتلقوها على جهل وغفلة منهم ، وأن المغالين كيف أشهروها وبثوها بين الجامدين والجهال حتى أصبحت كأنها حقيقة من الحقائق ، ومن الغريب أيضاً أن الشعوبيين كيف لفقوها ودسوها فى كتب الأحاديث والتفاسير وصار الناس يروونها ويتحدثون بها ، وربما صدقوا بها بل صدقوا بالفعل وانطلت عليهم من غير مراجعة القرآن ومن غير محاكمة وبلا ترو وتدبر وبلا نظر وقياس . اللهم أيقظنا من سنة الغفلة وبصرنا فى فهم كتابك ووفقنا للوقوف على الصحيح من حديث نبيك فقد اختلط الصادق بالكاذب والصحيح بالسقيم .

ثم ما هى الحاجة الماسة إلى اتخاذ هذه الوضعية من النبي (ص)

حيث جمع علياً وزوجه وابنيهما معه فى كساء أو عباءة كما يعبرون هل كان يخشى وقوع مطر عليهم أو يخشى أن يتسرب إليهم أحد من أبناء عمه أو غيرهم فضمهم تحت الكساء ، أو خاف عليهم فسترهم عن العيون ، أو خاف أن يتفرقوا عن أعين الله فلا تحيط بهم ولا يعمهم الدعاء لحصرهم تحت العباءة ، لا أدرى .

ومن المؤسف أن تصاغ هذه الحكايات الباردة وتروى عن رسول الله كحديث نبوى ، ورسول الله فى جلالة قدره ، وسمو نفسه ، وعلو همته بعيد وبعيد عن مثل هذه الأعمال ، وهو هو فى حشمته ومهابته ورفعة منزلته وعظمته فى أعين أمته وقومه ، ونحن بدورنا نغار على رسولنا ، ونقدر قدره ، وننكر على كل من يروى عنه خبراً لا يتناسب ومقامه الرفيع ومكانته السامية ، فلا يجوز لمسلم أن يتخذه غرضاً أو وسيلة لهواه ونزعته فهو أجل من ذلك وأجل .

وخلاصة القول أن هذه الآية لم يثبت نزولها إلا فى نساء النبى (ص) وإذا كان كذلك فلا تثبت العصمة لعلى ، وعليه فلا تشترط فى الإمامة قطعاً . وهل يتصور أحد أو يعتقد إنسان بأن أحداً من البشر معصوم إلا الأنبياء والمرسلين بصورة خاصة لأن الله اختارهم لدينه واجتباهم لرسالته واصطفاهم لتلقى وحيه ، وجعلهم أئمة يهدون بأمره والناس كلهم تبع لهم يسيرون بسيرهم وينهجون على منهاجهم . وقد أوجب الله على الناس الإيمان بهم

والاقتداء بهديهم ، وجعلهم رؤساء البشر وقادتهم ، لذا عصمهم ونزهم وأيدهم بمعجزات خارقة فوق طاقة البشر . إذن فأين على وهو رابع الخلفاء من هؤلاء الأنبياء ؟

٣ — آية المباهلة . إذ باهل باهل بيته أولئكم نصارى نجران فى قصة مشهورة وجعل علياً بنص الآية نفسه .

أقول : ورد أن النبى (ص) دعا وفد نجران للمباهلة فأبوا وقالوا لئن كان نبياً فلاعنتا لا نفلح أبداً ، ولكن نعطيه ما سأل فبعث النبى (ص) معهم أبا عبيدة وقال هذا أمين الأمة ، ولا شك أن الذى يفهم من الآية أن النبى (ص) أمره الله أن يدعو المحاجين والمجادلين فى شأن عيسى (ص) من أهل الكتاب إلى الاجتماع رجالا ونساء وأطفالا ، ويجمع هو أيضاً المؤمنين رجالا ونساء وأطفالا ويبتهلوا إلى الله تعالى بأن يلعن الكاذب فيما يقول عن عيسى .

وهذا نص الآية « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » .

فمراد الآية هنا أن يطلب النبى (ص) من نصارى نجران المباهلة إن جادلوه فى عيسى وذلك ثقة منه (ص) بصحة دعواه وقوله ، وأنهم فى دعواهم كاذبون ، ومن المحقق أن ينزل عليهم العذاب حالا لو باهلوه لذلك قال تعالى يأمر النبى أن يطالبهم بالمباهلة :

« قل تعالوا ندع أبناءنا » إلى آخره ، حتى يتبين الصادق من الكاذب ، وهذه مسألة مهمة تتطلب اجتماع جمع كثيف من الطرفين* من المؤمنين ومن النصارى ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حي عن بينة فقال (ص) تعالوا أى اعزموا وتأهبوا بأن ندعو أبناءنا من المؤمنين ، وأبناءكم من النصارى ، ونساءنا المسلمات ونساءكم المسيحات وأنفسنا أى رجالنا كهولا وشيوخا وأنفسكم كذلك ، ثم نبتهل إلى الله فنجعل لعنة الله على الكاذبين منا ومنكم .

ولما سمع وفد نجران هذا توقفوا عن المباهلة وصالحوا النبي (ص) وانصرفوا . فهذه خلاصة حادثة المباهلة . فمن أين لفقتم هذه الرواية ، وخصصتم بها علياً وابنيه وفاطمة (رضى) والآية بظاهرها عامة غير مخصصة ، وألفاظها لا تساعد على مطلوبكم لأنها وردت بصيغ الجمع والعموم فقوله أبناءنا جمع يراد به أبناء الأمة لأن الرسول فى مثابة أب لهم والمسلمون أبناؤه ، كما لو حدث حادث عند قبيلة فيقول : الشيخ (خبروا أولادنا لأمر كذا وامنعوا نساءنا عن فعل كذا) فهذا أمر مستعمل عند كبار القوم بصفتهم زعماء أو كآباء لهم ، وهم فى منعتهم وتحت رعايتهم فكأن الرسول قال ندع أطفالنا ونساءنا ورجالنا فنجتمع ونخاطر بهم وهم أعزاؤنا وأنتم يا نصارى نجران افعلوا كذلك مثلنا ونرى من ينجيه الله ومن يهلكه ويهلك أبناءه ورجاله ونساءه . فلفظة الأبناء والنساء والأنفس كلها جموع يراد بها ما فوق الإثنين ،

وفاطمة واحدة وابناها اثنان ، والنبي وعلى اثنان : فما الحاجة إلى استعمال صيغ الجمع فى هذا من غير ضرورة ولا داع وإنما الأمر بالعكس فكلما كان العدد أكثر كان الخوف والحذر عليهم أكثر وذلك لضعف الأمة بهلاكهم ونقص عددهم تجاه المقابل ، وهذا هو الصحيح والجدير بالقبول ، لأن النبي (ص) ليس له أبناء حقيقة والحسن والحسين ليسا ابنى رسول الله بل هما ابنا على وعلى أبوهما ثم إن من خصائص الأساقفة والقسوس فى طقوسهم منع التزوج وإذا كان كذلك فمن أين له أبناء والخطاب كان مع الأسقف الذى هو كبيرهم وعميدهم ، وأين له زوجة أو نسوة أو بنت ، حتى يقال المراد زوجة الأسقف أو نساؤه فقوله أنفسكم يعنى أنت ومن فى معيتك من قومك وهم ليسوا نفس القس وليسوا نفس الأسقف كما قلتم فى النبي وعلى وعليه فالمراد بناء الأمة ، ونساؤها ورجالها وكذلك فى الطرف المقابل ، لا كما فسرتموه وأولتموه على ذوقكم ورأيكم تفسيراً ملتويا وتأويلا معوجا ، أو كلما حدثت حادثة أو واقعة قدمتم بها علياً وجماعته ، وكلما كانت مهمة خصصتم بها علياً وحده وهكذا فكأن الدنيا ليس بها غير على : فهذا غلو ومغالاة ربما ترجع على صاحبها بالعكس ، فاعتدلوا أيها المغالون ، واتزنوا فى كلامكم واعتقادكم «لقد جاءكم رسول من أنفسكم» فرسول الله من نفس المؤمنين والمؤمنون من نفس رسول الله .

خلط السقيفة وسوء أدبها

تدبير النبي (ص) لمنع الخلاف :

١ — بعث أسامة : لقد خلطت وخبطت وأسأت الأدب ياصاحب السقيفة ، مع مقام رسول الله ، ومع أصحابه الكرام الذين رضى عنهم ربهم ، وأثنى عليهم ، واختارهم أصحابا لنبيه ، وأصهاراً وأنصارا .

ولكن أنت لم ترض عنهم ، ونزههم بكتابه ، ولكن أنت طعنت بهم ، وجعلهم من المؤمنين حقا ، ولكن أنت اعتبرتهم منافقين ، وبرأهم من كل سوء وتمرد وعصيان ، ومدحهم على ذلك وأثنى عليهم فى عدة آيات ، ولكن أنت وصفتهم بالتمرد والعصيان ، وجعلت رسول الله لعانا يلعن أصحابه المؤمنين وإخوانه وأنصاره ، وما كان رسول الله لعانا ولا فحاشا ولا سيء الأخلاق ، ووصفت رسول الله بالمكر والكيد والخداع حيث جهز جيشا وضم إليه شيوخ الصحابة من مهاجرين وأنصار . كأبى بكر وعمر وعبدالرحمن بن عوف ، وأبى عبيدة ، وسعد بن أبى وقاص ، وأسيد ابن حضير ، وبشير بن سعد وغيرهم ، ليذهبوا لملاقاة الموت ، فيبعدهم الرسول عن المدينة ، ويزيحهم عنها ليخلو الجو إلى ابن عمه على وبنى هاشم خشية أن يزاحم هؤلاء العظام على منصب الخلافة ، هذا ظنك السيء برسول الله فمتى كان رسول الله قبل هذا البعث ، وهو النبي المعصوم وبالمؤمنين رءوف رحيم ، أن يكون ذا كيد

وخداع ومكر ، حتى أراد أن يخدع الصحابة ويسوقهم تحت لواء أسامة لا طلبا فى جهاد الأعداء ولا فى سبيل إعلاء كلمة الله، وإنما يريد أن يدفعهم عن وجهه ، وتخلو المدينة من منازعتهم لعلى فى الخلافة . فقد وصفت ياهذا نبينا الأكرم بسوء النية والقصد وبعمل لم يرد به وجه الله ، وهل يعمل هذا من هو أقل منه منزلة ودرجة فيخون أصحابه وإخوانه الذين واسوه ونصروه وخدموه وضحوا معه كل غال ونفيس ، فيرتكب الرسول الكريم هذا الغدر والختل (وحاشاه عن ذلك) ويجهز جيشاً صوريا لمحاربة العدو لا فى سبيل الله بل لتبعيد أصحابه ، ليصفو الجو ويتم الأمر لابن عمه ويستأثر بالخلافة له مع حداثة سنه وقلة تجاربه فى سياسته وإدارته، كما شاهدنا ذلك حين ولى الخلافة وهو ابن ستين سنة كيف ارتبكت عليه الأمور وقامت الثورات وحدثت الاضطرابات وتمزق المسلمون ، وارتاح أعداء الله الأجانب فى مدة خلافته ،وصار بأس المسلمين بينهم فقتل منهم عدة آلاف هدراً فى سبيل الفتن ، وحوبة أمير المؤمنين عثمان المقتول ظلما بدعايات وأراجيف وأطماع ، فإذا كانت سياسة على على هذا الوجه وهو ابن ستين ، فكيف لو تولاها وهو ابن الأربع والثلاثين ماذا كان لقى المسلمون ؟ وهل يبقى مسلم على أرض الجزيرة ؟ أو تبقى مكة أو المدينة ، أو مسجد أو قرآن يتلى ؟ ثم كيف يخفى أمر على وحاله على رسول الله وهو معه فى بلده

والنبي كان يعرف أحوال أصحابه وقابليتهم ومستواهم وكفاءتهم لمهام الأمور وهو الذى يوحى ويقول : « من استعمل رجلا على عمل وفى رعيته من هو خير منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين » ، ثم متى وردت الأخبار ونقلت التواريخ أن أصحاب الرسول قد تمردوا أو عصوا أو خالفوا نبيهم فى أمر أو إرادة ، بل هم أطوع له من ظله وأحدب عليه من بنى عمه وعمه ، وكيف يقعد على وابناه وبنو عمه وهم شباب بنى هاشم ويتخلفون عن الالتحاق بجيش أسامة الذى حث عليه رسول الله ولعن من تباطأ أو توقف عن الحركة كما تزعمون ، وعلى وبنو عمه كانوا أولى وأحق بالاشتراك فى جهاد أعداء الله وأعداء رسوله لأنهم أقاربه ، والاقتداء بهم يكون أطوع ، وأولئك بعيدون عنه فكيف يجند الرسول البعيد ويعفى القريب يمرح ويسرح فى المدينة ، بينما غيرهم يلاقون الموت وطعن الرماح وضرب السيوف ، وبنو هاشم آمنون فى بيوتهم وعند أهليهم ، وكيف يبعث النبي الشيوخ والكهول ، ويدع الشباب القادرين على حمل السلاح وملاقاة الحروب ومقارعة الأعداء ، فنحن بدورنا ننزه الرسول عن هذه النيات والاستئثار والمخاتلة البعيدة عن العدالة والمساواة .

وما يدريك يا صاحب السقيفة إذا صح قولك بأن القوم تمردوا وعصوا أن ذلك لعدم اشتراك على وأبناء أعمامه فى مساهمة الموت ولقاء العدو معهم ، وهل كان النبي (ص) بعث

بهؤلاء الرجال للتنزه أو الاصطياف ؟ كلا إن هو إلا الموت والاستشهاد إذن كان غرض النبي (ص) قتل أصحابه بصورة خفية لا يكون مسئولا عنها ، وحاشا رسول الله أن يرتكب مثل هذا ثم إذا كانت هذه السرية لجهاد الكفار حقا . فقد فضلهم الله على القاعدين أجراً عظيما ورفعهم عليهم درجة ، وذلك حسب ما جاء فى القرآن الكريم . اقرأ آيات الجهاد تر ذلك واضحا ، واعلم يا صاحب السقيفة أن حب أصحاب رسول الله وتفاديهم لرسول الله هو الذى أوقفهم عن الحركة عموما ، وذلك حرصاً على حياة رسول الله وحبا فى بقائه بين ظهرانيهم ، وقد ذهلوا وشغل بالهم مرض نبيهم خشية أن يصيبه ويفاجئه القدر المحتوم فهم أشفق عليه منك ، وأحرص فأين أنت منهم فلا خدمتك له كخدمتهم له ، ولا جهادك فى سبيل الله وسبيله كجهادهم ، ولا مواساتك له كمواساتهم ، ولا قربك منه كقربهم منه ، ولا صحبة لك كصحبتهم له ، ولا إطاعتك له كإطاعتهم له، ثم قد تبين بشهادتك أن هؤلاء الرجال هم كبار الصحابة ، ولهم أهمية عظيمة ومكانة سامية ومنزلة رفيعة وكلمة نافذة مسموعة فى القوم لذا أبعدهم الرسول عن المدينة على زعمك خشية أن يحولوا بينه وبين مراده من تنصيب على للخلافة .

إذن يظهر من كلامك ويفهم أن عليا ليس ذلك الشخصية المستحقة لهذا المنصب الكبير، ولا لتولى إمامة المسلمين عامة وفيهم

مثل هؤلاء الرجال العظام كبار العرب وزعماء قريش ، والأنصار من ذوى التجارب الطويلة والنضوج الفكرى والعقلى . يشهد بذلك قيام أبي بكر (رضى) بأعباء الخلافة خير قيام ، وكذلك الفاروق عمر بن الخطاب فانظر أنت الفرق ، وكن حكما عدلا ، ولكن أنى ذلك والحقد قد ملأ قلبك . أما قيادة أسامة وهو صغير فالنبي (ص) أراد جبر خاطره حيث قتل أبوه فجعله قائدا مكانه .

ثم إذا كان النبي (ص) يريد أن يولى عليا الخلافة فمن له حق بأن يعارضه أو يمانع أمره وهو النبي المطاع وقد أمر الله المسلمين أن يطيعوه كما يطيعون ربهم ، وكيف تظن بأصحاب رسول الله سوءا ، ومتى جرب النبي (ص) على أصحابه تمرداً وعصيانا لإرادته وأوامره منذ بعث إلى أن توفاه الله ، ثم من أين علمت أن النبي (ص) بعث هؤلاء الأصحاب إلى الموت ليتسنى له نصب على للخلافة ؟ هل ألهمت أم نزل عليك وحى بذلك ؟ أم هذا حدس وخيال ؟ وهل تريد أن النبي (ص) كان طول حياته مشغولا بقضايا على ليكون منه رجلا عالمياً إذا لم يكن بنفسه حائزا للصفات المؤهلة والنبوغ ! أفيفرض النبي (ص) عليا فرضا على الناس ويقسرهم قسراً على الانصياع والاعتراف بأهليته وكفاءته ؟ فمرة تقولون أوصى له ومرة تقولون أعلن النبي (ص) بأنه مولى الناس وآونة تقولون جعله نفسه ، وحيناً تقولون أخاه فقط . إذن

فالنبي (ص) طيلة بعثته الشريفة كان كما تتوهمون منصرفا لأمر علي وإعلاء شأنه فيتشبث بكل وسيلة على زعمكم وقولكم حيث نسبتم له المكيدة والخدعة لصرف وجهاء القوم عنه في بعث أسامة ليتم الأمر إلى علي .

تقول إن أبا بكر وعمر وفلانا وفلانا ، وقد عددت رجالا كبارا كانوا في بعثة أسامة وتحت قيادته . أقول أراك قد وهمت ووهم من نقل لك هذه الأخبار وروى هذه الروايات المدسوسة وروجها على الناس ، بل كان الجيش مؤلفا من شباب المسلمين المجاهدين ذوي البأس والسواعد المفتولة ، لا من الشيوخ الطاعنين في السن ولا الكهول . وكيف يتصور أن يجند الرسول الشيبة ويدع الفتيان النشاوى القادرين على مجابهة العدو ومصاولة الأقران مرحين يتمتعون في المدينة ، ويوجه إلى الحرب رؤساء القوم ومشايخ الصحابة فهذا ليس من أنظمة التجنيد ولا من سننه وأصوله إلى يومنا هذا ، وكيف يهون على رسول الله أن يفارق أبا بكر وعمر وهما صاحباه الحميمان ، ووزيراه ومشيراه وخليلاه المخلصان له ورفيقاه في الحياة وفي الممات ، وهذا من علامات أخوتهما الصادقة وحسن توفيقهما .

تقول خالف الصحابة الصريح من أمر النبي (ص) هذه المدة الطويلة من غير حياء ولا خجل ولا خوف من الله ورسوله وتوطنوا على غضبه ولعنهم جهارا فتمردوا عليه .

أقول : لقد كذبت وبئس ما تفوهت به ، أأنت تخاف الله ورسوله ؟ وأصحاب رسول الله السلف الصالح والرعيل الأول المجاهد السابق ، وقادة الأمة المحمدية لا يخجلون ولا يخافون الله ورسوله فاستحقوا اللعنة من رسول الله ، وهلا علمت أن اللعنة على المسلم سواء كان معينا أو غير معين ، لا تجوز بكل حال اللهم إلا عندكم فقد جوزتم لعن أصحاب الرسول والمسلمين ، ألم تعلم أن رسول الله لم يبعث لعانا ولا فحاشا ؟ وكيف استهنت بحق هؤلاء رجال الإسلام واستهجنت حالهم وهم أصحاب رسول الله وإخوانه وأنصاره ، والسابقون إلى الإسلام ، والمجاهدون الفاتحون ، والذين شهد الله بحقهم خير الشهادة ورضى عنهم وأثنى عليهم ، وخاطبهم بلذيذ خطابه ورقيق كلامه ، وأنت قد خالفت كتاب الله ووصايا رسول الله فيهم ، كيف يلعنهم وهم أحباؤه وأصهاره وعشيرته ، لقد افتريت على رسول الله .

تقول قد علم رسول الله (ص) بوقوع الفتن كقطع الليل المظلم . أقول نعم تلك الفتن التى حصلت بسبب قتل عثمان بن عفان الخليفة الثالث بدعايات عبد الله بن سبأ اليهودى ، وإشاعات محمد الماكر ابن أبى بكر وتوسعت فى خلافة على بن أبى طالب وتجسمت فعمت المسلمين وأخرتهم وبددت شملهم ، ولم تزل مستمرة حتى اليوم ، ولم تقع فتنة بين المسلمين أفظع وأعظم من هذه الفتن فهذه هى الفتن التى كان النبى (ص) يتخوف منها وكل ذلك كان

بدافع الاطماع والأغراض والمنافع الشخصية والدسائس السبئية اليهودية، أنت تعترف وتقول : أن يؤمر الفتى مع ذلك على شيوخ المسلمين الذين فيهم القواد المشهورون فى الحروب ورؤساء القبائل وأصحاب النبي (ص) الذين يرون لأنفسهم مقاما أسمى ومنزلة رفيعة ويرشحون أنفسهم لمنصب الخلافة الذى هو أعظم من منصب قائدهم الصغير هذا . فأقول لقد اعترفت وأقررت بأن هؤلاء الاصحاب كانوا بالمقام الأمثل والمكانة الرفيعة وهم رؤساء الصحابة وقواد الحروب العظام ، فهل بعد هذا ينقادون تحت لواء مولى وهو أصغر سنا وأدلى مقاما ومنزلة منهم، ولذلك فقد كان لهم كل الحق إذا ما تذمروا على زعمك مع علمهم بأن النبي (ص) يريد إقصاءهم « وحاشاه » عن المدينة ليتفرغ لتنصيب على خليفة عليهم وهم يرون أنفسهم كما تقول أجدر وأحق بهذا المنصب من أن ينضموا تحت قيادة مولى صغير يخضعون لأوامره لغرض لم يقصد به وجه الله ولا مصلحة الأمة ، بل لمصلحة شخصية ، ومنفعة فردية لا غير .

تقول : ولو أن القوم امتثلوا الأمر لأصابوا خيراً كثيراً ، ولتبدل سير التاريخ ومجرى الحوادث تبدلا قد لا يحيط به حتى الخيال .

أقول : إن القوم امتثلوا أمر النبي (ص) فى بعث أسامة ، ولكن توقف القائد عن المسير ، وتوقفوا معه ليروا نتيجة مرض

النبي (ص) ؛ وكيف يتركونه وهو فى مرض يخشى عليه منه الوفاة؟ وكيف يفارقونه وهو فى هذه الحالة الخطرة ؟ وما هو الدافع القوى للعجلة والسرعة فى مغادرة المدينة ونبيهم فى مرض الموت؟ هل هذا الأجفاء منهم فى حقه لو ساروا وتركوه ثم تأتيهم الأخبار بنعيه (ص) فتفتر عزائمهم ويستولى عليهم الذهول والاندهاش ، وربما يكون ذلك سببا لانكسارهم وخيبتهم أمام العدو المحارب ، ويفشل المسلمون وتضعف معنويتهم ، ويصيبهم الخذلان والذل ، فكان من المصلحة تأخرهم وتباطؤهم حتى يروا نتيجة نبيهم (ص) وهو ملازم الفراش ، وكيف يقوون على ملاقاة العدو ، وقلوبهم وجلة ، وأفكارهم منشغلة من أجل رسول الله (ص) وهو حبيبهم وأحب إليهم من آبائهم وأبنائهم . وتقول : لأصابوا خيراً كثيرا إلى آخر المقال . أقول : وأى خير يصيبون أكثر مما أصابوا فى خلافة الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبى بكر (رضى) وخلافة الإمام العادل البارع عمر بن الخطاب وكذلك فى خلافة الإمام عثمان بن عفان ، وأين الخير الذى أصابوه فى خلافة الخليفة الرابع على بن أبى طالب (رضى) إن هو إلا الشقاء وسفك الدماء بين المسلمين وإبادة النفوس والويلات التى أخرت الإسلام إلى الوراء عدة سنين ، ولولاها لتقدم المسلمون فى مدة خلافته فى السنوات الأربع إلى أوروبا وإلى حدود الصين واليابان وسيبريا وتركستان كما تقدمت الفتوحات فى عهد الخلفاء الراشدين

قبله وامتد مداها وتكدست الغنائم والأموال على اختلاف أنواعها ، وأصبح المسلمون فى خير كثير ونعمة وافية ، وأصبحت كلمة الله وكتابه فى ربوع آسيا وأفريقيا ولانجرت إلى ماوراء البحار لولا هذه العقبة الكأداء التى أصابتهم فأخرت الفتوحات ولاقى المسلمون من ورائها مالقوا ، إذن فما هو الخير الذى أصابوه فى خلافة على (رضى) حتى نقول لأصابوا خيراً كثيراً ، ولتبدل سير التاريخ ومجرى الحوادث تبدلا قد لايحيط به حتى الخيال . فأين هذه المزاعم الفاشلة ، والظنون الخائبة .

هذا وعلى (رضى) قد جاء فى نوبته والأمور ممهدة وطرق الإمارة معبدة والمناهج منظمة فكيف لو جاء وهو فى سن الأربعين والأمور غير منسقة والأنظمة غير مدونة ، والأحوال فى الدولة لاتزال غير مرتبة ، والمتنبئون قد حشدوا جنودهم الجرارة الكثيفة والأعراب ارتدوا وانقلبوا ، والروم هيأوا جيوشهم واستعدوا لضرب المسلمين والفرس يريدون القضاء على العرب وإخماد حركتهم قبل أن يستفحل أمرهم . لرأينا مجرى الحوادث والتبدل الذى لايحيط به حتى الخيال ! . فدع عنك هذه المبالغات والمغالاة.. فأصحاب الرسول هم أعرف برجالات المسلمين وقابلياتهم وكفاءاتهم ، على أن مجرى الحوادث هو خير شاهد لنا والرسول أكثر منهم معرفة وفراسة فى نفوس قومه ومراتبهم ودرجاتهم لايقدم ولايرشح إلا من تفرس فيه الكفاءة والمقدرة

ولذلك قدم أبا بكر لإمامة الصلاة رمزاً وإشارة لخلافته وأهليته وأرجحيته على قومه لهذا المنصب المهم الخطير ، فالقيام بأعباء الخلافة وإدارة كفتها ليس بالأمر السهل والشيء التافه حين يتساهل النبي (ص) في أمرها ، فهو (ص) يقدم ويؤثر مصلحة الأمة على مصلحة الأشخاص ولو كانوا أقرباءه وبني عمه بل وعمه أيضاً وإلا كان خيانة . وحاشاه ثم حاشاه عن ذلك ، وحقاً لقد قام أبو بكر بإدارة الخلافة وسياسة الأمة والحكم خير قيام ، وقد صدق عليه قول الشاعر :

ولقد أراد الله إذ ولاكها   من أمة إصلاحها ورشادها

تستشهد السقيفة بقوله تعالى : «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » فتريد أن تجعل أصحاب رسول الله المؤمنين المتقين السابقين إلى الإسلام والمجاهدين في سبيل إعلاء كلمة الله ودين الله والفاتحين والشهداء منهم مثل هؤلاء أهل القرى الذين كذبوا وكفروا وقتلوا ، أنبياءهم، فبئس ماقصدت به وفلج قلبك ، كيف تجرأت على أصحاب رسول الله وصيرتهم أمثال هؤلاء فقد كذبت كلام الله وكذبت الرسول في حقهم ، وقد تبين أنك تريد الحط والانتقام من أصحاب الرسول وإخوانه وأنصاره لمرض في قلبك ونزعة أجنبية، وإلا فمن يجرؤ ويتجاسر من المسلمين العرب أن يتكلم على أصحاب رسول الله، ويطعن في

إيمانهم وتقواهم ودينهم إلا الأجنبي الذى لايمت إليهم بصلة، والموتور الذى يريد أن يشفى غليله منهم بالسب والقذف، والله يعلم المفسد من المصلح.

إن هذه الآية تنطبق على أمثالك من الشعوبيين المبغضين ممن رضى باستهجانك لأصحاب رسول الله، وارتاح لشتمك لهم، أأنت مثلهم فى تقواهم ودينهم وإيمانهم وصلاحهم وجهادهم وتضحيتهم ومواساتهم، كلا ثم كلا، وهيهات هيهات. قيل لليهود من أحب الناس إليكم قالوا أصحاب موسى، وسئل النصارى من أحب الناس إليكم قالوا حواريو عيسى، وسئلتم أنتم من أبغض الناس إليكم قلتم أصحاب محمد.

(ب) ائتونى بكتف ودواة.

أقول: كلما انتهيت من أكذوبة انتقلت إلى أخرى أكذب منها بل أشنع، وقد وجهت سهامك المسمومة نحوهم، ولكن كلها أخطأت وردت فى صدر مرسلها وفى نحره، فقد تفرغت ياهذا وصرفت أوقاتا طويلة لشتم الكرام، ولم تدع طريقا، ولا أسلوبا فى تسفيه أحلامهم وحط كرامتهم إلا وسلكته، وسوف تلقى جزاء غيك من الله.

وأنا أعلم حقاً أن هذه المهاجمة منك فى سادات المسلمين السابقين الأولين انتقام وتشفى موتور، ولكن لا ينهض بك هذا ولا يشفى غليلك، ولا ينفس عن كربك، فالأمور قد جرت

طوع مرادهم وحسب إرادتهم ، وقد سبقت مشيئة الله واقتضت حكمته ، وهو أعلم بالمصلحة والحكمة أن تكون مراتب الخلفاء على هذا الوجه رغم أنفك .

فقل ما شئت أن تقول . واكتب ما شئت أن تكتب ، فلا ينفعك ذلك شيئاً .

تزعم أن النبي (ص) أراد أن يكتب كتابا ، ولكن حال دون ذلك حائل ، وقد استهدفت عمر بن الخطاب (رضى) لرد النبي (ص) وأنه قال : حسبنا كتاب الله ، وقد زدت أكثر من هذا بأنه نسب إلى رسول الله (ص) الهجر ، وحاشا الفاروق الأديب والكامل النجيب أن يرد على رسول الله أو يقاطع كلامه ، أو ينسب إليه هجرا من القول ، ولكن ليست هذه أول مرة منك ، فقد تكرر أن جعلت هذه الشخصية الوقورة هدفا وسلما لهواك أينما دار ودارت المصلحة لغرضك ، فمرة تحط من قدره ومن علو جنابه ، ومرة تستشهد بقوله وتعتبره شاهدا وحجة تحتج بها حسب الحاجة صيفا وشتاء فى وقت واحد .

وهل لك أن تعلمنا بحق ماذا كانت الغاية من الكتاب الذى أراد رسول الله (ص) أن يكتب ، فإن كان فى وصية المسلمين بالتمسك بكتاب الله فقد حث القرآن وحض وكرر فى مواضع كثيرة منه على الاعتصام بكتاب الله والاستمساك به ، وكذا قد أكد الرسول أيضا فى جميع مجالسه على الاهتداء بهدى كتاب

الله وسنته ، لأن الكتاب هو حبل الله الممدود بين السماء والأرض ، وهو العروة الوثقى لا انفصام لها .

فهذه حجة الوداع قد وقف فيها الرسول خطيبا ، وتطرق فى خطبته إلى النقط المهمة الأساسية وكان من جملتها أن قال : « إنى تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا ، كتاب الله »

وفى رواية : « إنى تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وسنتى » إلى آخر كلامه كما تقدم منا قريبا هذا البحث .

وإن كان الكتاب فى وصية الخلافة لعلى بن أبى طالب ، فما مناسبة قول عمر : « حسبنا كتاب الله » ؟ ثم إذا كانت معارضة عمر حائلة دون الكتاب لأنها وصية فى خلافة على كما تزعم ، وقد خرج عمر وبقية القوم من عند رسول الله ، فما كان يمنع رسول الله لو أمر بكتابة الكتاب حين خلا البيت من عمر ؟ أليس بإمكان النبي (ص) أن يأمر عليا أو بنى عمه من بنى هاشم أن يكتبوا الكتاب ويختمه رسول الله ويوقع عليه بقية القوم من بنى هاشم وغيرهم ؟ فهل كان عمر ملازما لبيت رسول الله ورقيبا عليه ليل نهار ؟ ثم ما منع بنى هاشم أن يقفوا دون عمر ، وأين بطولتهم ورجولتهم وسيوفهم ؟ وهل كان عمر بهذه القوة والمنعة حتى حال دون كتابة الكتاب ؟ وإذا ثبت هذا فعمر عظيم وعظيم جداً ، ثم ألم تكف خطبة الغدير بحضور مائة ألف أو يزيدون على حد تعبيرك ، فما الحاجة إلى الكتاب بعدها

وقد حضرها هذا العدد الكثير ؟ ثم متى أمر رسول الله مدة حياته النبوية بأن يكتب كتاب فى وصية ، أو حكم ، أو تشريع ، أو موعظة ، أو فى فتوى مهمة ؟ اللهم إلا كتاب العهود والمعاهدات ، أو الكتاب الذى يرسله إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام . نعم تقول : يريد النبي (ص) أن يؤكد الأمر الشفهى بالتحريرى ، أقول : لم يؤكد ذلك إلا قبل مرضه بزمن ، وقد كان يعلم بقرب أجله ، وقد نعى نفسه لأصحابه ؟ أفلا كان من الأحوط أن يكتب كتاب الوصية الذى له أهميته فى حال صحته وقوته كيلا يحول دون طلبه حائل على قولكم ، وما هو إلا أسطر يسيرة تكتب فى دقائق من الوقت ، فما الذى أخره إلى قبيل الوفاة وضيق الوقت ؟ .

وإذا صح هذا الحديث بأن أمر رسول الله بدواة وقرطاس فإن عمر (رضى) أراد أن يخفف على النبى (ص) ويهون عليه حرصه على أمته إذ خاف أن يضلوا بعده ويتخذوا القرآن ظهرياً كما اتخذه بعض الطوائف وتمسكوا بالحكايات والأقاصيص الخرافية الموضوعة من قبل القصاصين الكذابين يبثونها بين العوام والخواص الغفل الجهال . فأراد الفاروق وهو النبيه الألمعى أن يطمئن الرسول بأن كتاب الله حسبنا وكافينا فنتمسك به ونجعله إمامنا ودستورنا ونضعه نصب أعيننا لأن الله قد أتم الدين وأكمله فى هذه المدة الطويلة من بعثته حتى قبيل وفاته (ص)

قال تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » وقال : « مافرطنا فى الكتاب من شيء » وقال تعالى : « تبياناً لكل شيء » فقد شمل القرآن وجمع بين دفتيه مهام القضايا الرئيسية والأمور الحيوية الكافلة لسعادة الإنسان فى حياته وبعد مماته .

وقد فصل النبي (ص) مجمله وفسر مبهمه وأول المشترك فيه وبين المراد منه ، وقد انتهى كل شيء فلم تبق زيادة لمستزيد ، على أن خطبة الرسول فى حجة الوداع كانت قريبة عهد بالقوم ، فما الحاجة إلى أن يجهد النبي (ص) نفسه ويأمر بكتب كتاب قد علم مافيه وفهم من قبل ، وقد قيل وتكرر ، ثم من أين علمتم ، أن الكتاب أعد لوصية الخلافة لعلى ؟ بل هناك قرائن تدل على أن الوصية كانت لخلافة أبي بكر ، حيث سبقت الإيعازات من قبل إلى أبي بكر وأشارت صريحاً أو من طرف خفى أو رمزاً ، وعلى كل فالكتاب أريد للنص على خلافة أبي بكر قطعا . لأن النبي (ص) قدمه واختاره لإمامة الصلاة دون سائر الصحابة ، ثم روى فى الصحيح أن عجوزاً جاءت إلى رسول الله وهو فى صحته قبل مرض موته فطلبت من مال الله فأعطاها الرسول (ص) ولما أرادت الانصراف قالت لرسول الله ، أرأيت يارسول الله أن جئتك من قابل ولم أرك ؟ قال لها : ائت أبابكر . وفى الصحيح أيضاً أن النبي (ص) قال لعائشة (رضى) ادعى لى أباك وأخاك

حتى أكتب لها كتابا فإنى أخاف أن يتمنى متمن ، أو يقول قائل ويأبى الله ورسوله إلا أبا بكر . فكان هذا الاجتماع فى بيت رسول الله لهذه الغاية ، وقدعلم عمر بن الخطاب ذلك وفطن للأمر وكان ذكيا واعيا ، فأراد أن يبين للنبى (ص) أن ماتريده وتقصده سيقع حسب رغبتك وإرادتك فلا تكلف نفسك بكتاب ، ومن جانب آخر فنحن متمسكون بكتاب الله معتصمون به ، وهو حسبنا وكافينا والله يتولى الصالحين ، فهذا هو الذى أراده الفاروق ، وهذا حسن ظننا بأصحاب رسول الله ، وأنهم كلهم إخوان أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود .

وأنت تقول : كانت بينهم نفرة فى القلوب ، ونزوان بغضاء فى النفوس ، فما ندرى هل أنت أصدق أم الله ؟ .

تقول : وحق لابن عباس أن يبكى عند تذكرها حتى يخضب دمعه الحصباء ، ويقول إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب .

أقول : لا داعى لهذه الحالة من البكاء وصب الدموع ، أكان يبكى ابن عباس على ظلامة النبى (ص) وحاشاه أن يكون بهذه الحالة ، أم غلبت عليه العصبية والعاطفة لابن عمه على بن طالب كما تزعمون حيث حيل دون كتابة الوصية بالخلافة ، فصار يبكى ويذرف الدموع على الحصباء شأن المستضعفين والمغلوبين ،

وعلى كل فهذه الأخبار لا صحة لها ، وأسانيدها مرتبة مصنوعة من قبل المدسسين المدلسين ليوغروا صدور الناس على أصحاب رسول الله ، فأخذوا يضعون الأحاديث ويذهبون بها كل مذهب لتغيير قلوب السذج والعوام من الناس على سادات المسلمين ورؤساء الصحابة النجباء ذوى الدين الصحيح ، والعقيدة السالمة ، والقلوب النقية ، والنفوس الزكية ، المجاهدين الفاتحين ، فتلقاها المحدثون وسجلوها فى كتبهم من غير تفكر وترو ، بل بمجرد أن رواتها فلان وفلان بأسماء منتحلة كاذبة ، فموهوا على الجامدين وأغفلوهم فتقبلوها بحسن نية وسلامة صدر ، وظفر هؤلاء المحتالون بما أرادوا بأهل السنة المغفلين البسطاء .

تقول : إن الإمامة باختيار الله ، وأن الخلافة فى آل البيت بما أنزل الله وليست تابعة لاختيار قريش وكراهتهم .

أقول : نعم إن الإمامة باختيار الله وأن الله اختار أبا بكر أولا وعمر ثانيا وعثمان ثالثا وعليا رابعا ، ولن تغلب إرادة المخلوق إرادة الخالق ، ولا اختيارهم يسبق اختياره ، إذن فاختيار الخلافة على هذا الترتيب هو باختيار الله ، فلينقطع كلامك وضع فى فيك التراب .

وتقول : إن الخلافة فى آل البيت بما أنزله الله إلى آخر زعمك

أقول : لم ترد بها آية صريحة أو نص قاطع ، ولم ينزل الله فى ذلك شيئاً أبدا ، فأتنى بآية واحدة تنص على خلافة على وإمامته ، وهذا

القرآن بين يديك أسبره من أوله إلى آخره . أما ما استدللت به من آيات بعيدة عن غرضك بعد المشرفين فليست مقبولة ولا مسلمة كما مرت الإشارة إليها ، ثم لماذا لم تكن الخلافة تابعة لقريش ؟ وهم أصل الإسلام وأئمة المسلمين وأهل الحل والعقد ، وهم أعرف وأدرى بمصلحتهم منك وبينك وبينهم قرون عديدة ، وهل ترى أنهم لو كانوا أحياء فى زمانك أو كنت مخلوقا فى عهدهم هل يستمعون لخلافك ؟ وما قيمتك فيهم وهم الزعماء والرؤساء والأمراء ، وصناديد قريش ، وأساطين الأمة ، فمن تكون أنت نسبة إليهم وهم الذين زعزعوا قياصرة الروم وقضوا على أكاسرة الفرس حتى تنفى عنهم الاختيار والإرادة وتسلبهم حقوقهم الطبيعية المكتسبة فيما يعود إليهم أو عليهم .

أنت تنسب للصحابة ظلم آل البيت حسب تعبيرك بأخذ الخلافة منهم .

وأنا أقول : متى كانت الخلافة إرثاً لعلى وأبنائه ، أو حقا مفروضا من الله فى كتابه لهم حتى يصح أن يقال إنهم أخذوها منهم وظلموهم فى أخذها ، بل الخلافة حق لقريش كلهم ، ولكن يولى الخلافة الأرجح فالأرجح ، والأكيس فالأكيس ، لأنها أمر خطير لا يتولاها إلا ذو الكفاءة والمقدرة وهم أعرف برجالهم منا ، فكلامك هذا ساقط من أصله .

تقول : وطعن النبى (ص) بتلك الطعنة النجلاء فلم يجد روحى فداه إلا أن ينهرهم وينبههم إلى خطأهم .

أقول : أراك قد تحننت هنا على النبي (ص) وتألمت وتحزنت عليه . وتقول متباكيا إنه طعن بتلك الطعنة النجلاء من قبل قومه روحى له الفداء ، فهذا التحزن الصورى ، وهذا التألم المصطنع نحن نعرفه جيدا ، أتريد أن تخدع الناس العوام والجهال بهذا ؟ نعم وتجعله وسيلة وسلما لتصل به إلى غايتك المعلومة وهى الغاية التى تصديت لنشر هذه السقيفة الخاوية لأجلها من التشهير بأصحاب رسول الله ، وإظهارهم بمظهر أناس ظلموا عليا وخالفوا أمر نبيهم ، فتريد أن تخدع الجهلة بتحزنك هذا على رسول الله حتى وددت فداءه بروحك العزيزة وياليت كان ذلك ، ولم تبق حيا لتستطيل بلسانك السليط على أصحاب رسول الله فتحمل عليهم الحملة الشعواء ، بل الشنعاء بكل ما تعود لسانك عليه من سب وشتم ، فأنت لهم الخصم الألد الذى يثأر لقومه وبنى جلدته ، ولكن أين الثريا من يد المتناول ، وقد اتضح من تعابيرك فى هذا الكتاب أنك متلون حسب المقام والمقتضى ، فهنا تتظلم على النبى (ص) وفى موضع آخر تعتبره ماكرا كائدا خداعا قد احتال على أصحابه فى بعث أسامة ليبعدهم عن المدينة ، فيقتل من يقتل ، ويجرح من يجرح ، ويؤسر من يؤسر لتخلو المدينة منهم ويتفرغ لتولية على للخلافة التى جعلتموها همه الوحيد وشغله الشاغل . ومرة تصفه بالضعف وتقول فيه : ولكن لا أمر لمن لا يطاع ، وهنا تقول : وطعن النبى (ص) بتلك الطعنة النجلاء فجعلته

مستضعفا مغلوبا ، وحاشا مقام رسول الله عن ذلك ، فقد عاش عزيزا مكرما مطاعا إلى آخر نفس من أنفاسه يفديه أصحابه بأرواحهم وأنفسهم وهم صادقون قلباً ولساناً كما وقع ذلك في غزواته وحروبه فعلا لا تلفظا باللسان فقط ، فهذا ممن كاذب وتفدية لسانية لاصميمية وقلبية ، والرسول (ص) لو كان حياً وسمع ذلك منك لرده عليك وأنف وأبى من وصفه بهذه الخلال المتناقضة

تقول : إن علياً لم يبايع أبا بكر حتى ماتت فاطمة فبايع مقهوراً ولم يدخل فى حرب قط على عهد الخلفاء الثلاثة .

أقول : قد أخللت بحق على ونقصت من شهرته التى طالما تغنيتم بها وفخرتم وتفاخرتم ، إذ جعلته مقهورا منصاعا ، وذلك لأنه لم يجد له ناصراً ومساعداً أو صديقاً يأخذ بيده أو قريباً يعززه ، ولا سيما بعد وفاة زوجه فاطمة (رضى) حيث رأى الوجوه قد انحرفت عنه وتغيرت عليه ، وربما حسبوا تخلفه عن بيعة أبى بكر خروجا عن الجماعة ، وشقا لعصا الطاعة فانصرفوا عنه ، وقد كانوا قبل وفاة بنت نبيهم يراعونه لمنزلتها فى نفوسهم ، ولما رأى من القوم ذلك انصاع قهراً لمبايعة الخليفـة .

فعلى هـذا يتجلى لنا من إقرارك واعترافك بأن عليا بايع مقهوراً بغير رضاه ، أنه كان غير مرغوب فيه من قبل القوم ولا محببا فى قلوبهم ، وليس لهم اختيار فى توليته الخلافة ، إذ لو كانوا له وهو سيدهم ومولاهم كما ادعيتم ، لما رأى منهم ذلك ، ولما

لووا عنه رءوسهم وولوا عنه وجوههم ، إذن فاين الوصية وأين ذاك السعى المتواصل ، وأين غدير خم ، وأين حجة الوداع ، فقد ظهر بالأخير أن لا أصل لهذا كله ، ولو كان فى هذه واحدة صحيحة لغير سير انتخاب الخليفة واسيطر على قسم مهم كبير فى الجماعة ، فهل كلهم أجمعوا على مخالفة النص والوصية ، وانحازوا لأبى بكر ؟ وهل إطاعتهم لأبى بكر ألزم من طاعتهم لنبيهم (ص)؟ كلا ، فهذه محاولات منك فاشلة ، ولو لم تحرك ساكنا لكنت فى غنى عن هذا ، ولكن فى تحرشك هذا ظهرت الحقائق ، وكان مسكوتا عنها ، ومدلولا عليها ستار من الجهل ، وكان الحق مغموطا وسمعة الصحابة مشوهة ، فالآن جاء الحق وزهق الباطل ووضح الصبح لذى عينين ، وإن عدتم عدنا .

تقول : لم يدخل على فى حرب قط على عهد الخلفاء الثلاثة .

أقول : إن عدم دخول (على) فى حرب على عهد الخلفاء الثلاثة المتقدمين يحمل على وجهين : إما أن يكون معتقدا بصحة خلافتهم أولا . فإن كان معتقداً بها فلم لم يشترك فى الجهاد لإعلاء كلمة الله ؟ ويلتحق فى جبهة من جبهات الحرب ، وحينئذ يكون قد أدى واجباً كبيراً فى جهاده فى سبيل الله ، فيتطوع ويقود جيشاً تحت إمرته وقيادته ، ويكون قد أرضى الله وأرضى المسلمين وهو الفارس المشهور ، وكان يعلم حاجة المسلمين إلى قائد مثله كما يعلم أن الله فضل المجاهدين والغازين على القاعدين درجة . فهذا حله موكول إليك .

وإن كان لا يعتقد بصحة خلافتهم فكيف كان يصلى وراءهم ويأخذ من غنائمهم حتى أنه أخذ امرأة مسبية من سبايا بنى حنيفة وهى أم محمد بن على ويكنى بابن الحنفية ، وغير هذا أيضاً فقد صح أن عليا كان قاضياً للخليفة الثانى عمر بن الخطاب ، فقد ولاه القضاء للفصل بين الخصوم ، وكان يخاطب أبا بكر بقوله ياخليفة رسول الله ، وعمر يقول له : يا أمير المؤمنين ، وكذلك للخليفة الثالث عثمان ، فهذا كله بمقام اعتراف منه وإقرار بصحة خلافتهم وأظنك تقدر أن تعتذر عن على فتقول : كانت هذه منه تقية ، ولكن هو أرفع من هذا ، ولا يقبل منك هذا العذر . . فالتقية نفاق وذلة ، وهو أجل من أن يتصف بواحدة منهما .

المحاورة بين عمر بن الخطاب وابن عباس

أما المحاورة التى دارت بين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وبين عبد الله بن عباس فلا أصل لها قطعاً ، والذى روى هذه الأقصوصة مغفل لا يفرق بين الدس والغش وبين الصحة والصدق ، فأثبتها فى كتابه ورقمها مع أخباره الخليط فهو كحاطب ليل ، وإما أن يكون مدنسا مدسسا وضاعا ، وضعها وصورها ثم دسها فى كتب الأحاديث والأخبار ، ورتب سندها عن فلان ، وعن فلان فجاء المحدثون من غير تدبر فرووها وحدثوا بها ثم عقبهم الحفاظ ، فحفظوها غفلا وسذاجة . وحاصل الكلام أن مثل عمر بن الخطاب فى عظمته ومهابته وشدته ، وأنه الأمير

المسلط الذى تخافه وتخاف درته رجال الدولة وقواد الحروب . والشعب كبيرهم وصغيرهم ، هل يصح منه أو يناسب مقامه الرهيب أن يحاور غلاما ويناظره فى شىء لايخصه ولا مساس له فى إدارة الدولة ، ولا فى شئون المملكة ، ولا فى سياسة الحكومة ، ولا فى فتوى علمية ، ولا خطط عسكرية ، بل كان فى نقاش وجدل شخصى لاأهمية له ولا فيه مسيس حاجة ، وربما يثير الإحساس والشعور وهو غنى عنه ، وأمر قد مضى وانتهى ، فلا ضرورة فى إعادته وذكره . وعمر السياسى المحنك والخليفة الإدارى العاقل الحذر الذى عركته الأيام وجرب الأمور ، كيف يتنازل مع غلام من رعيته ويدخل معه فى هذا المدخل الذى هو فوق مستوى ابن عباس وقابليته ، ثم على فرض وقوع محاورة من أمير المؤمنين مع بن عباس ، فلابد أنها كانت بسيطة بعيدة عن هذا المأزق الحرج على ابن عباس فى مقام هذا الملك الذى تخشى غضبه وشدته رجالات العرب ، وملوك الفرس والروم . على أن ابن عباس كان أثيراً عند أمير المؤمنين عمر وله وجه ، وكان الخليفة أيضاً يخصه بود وتوجه ولطف أكثر من غيره ، وكان أبوه العباس كثيراً ما يوصى عبد الله ابنه بأن يلازم الأدب مع أمير المؤمنين . ويكتم سره إن أسره بشىء من أسرار الدولة ، وأن يحسن الجواب معه ، ويتلطف فى السؤال والكلام بين يديه ، وكان يقول له إن أمير المؤمنين يقبل عليك بوجهه ويسارك فى

بعض الأمور ويخصك من بيننا بالقرب لديه واللطف . فعليك يابني بالمحافظة على منزلتك عنده ، فلا يصدر منك ما يغير قلب الخليفة عليك . فإذا كان هذا أدب عبد الله بن عباس فى حضرة الخليفة ، وهذا مقام الخليفة الرفيع . فكيف تدور بينهما هذه المحاورة الجافة مع خشونة فى كلام ابن عباس وخروجه عن حدود الأدب الذى لايتناسب مع أمير المؤمنين الذى طالما قربه وخصه بمداولات أدبية . ومنحه لطفه ووده ، وعدا هذا فإن عمر بالمنزلة التى لايجرؤ أحد أن يرد عليه أو يجادله ، مكابرة أو جدلا بالباطل أو عناداً ومغالطة ، وما يروى من بعض الحكايات والروايات من هذا القبيل ، فكذب موضوع لاصحة له إنما ذكرها بعض المؤرخين ، وبعض القصاصين من أعدائه وحساده . فهو أرفع وأرفع بكثير عن نسبة هذه الأقاصيص السخيفة ، والحكايات الساقطة ، ومن جملتها هذه المحاورة المصنوعة . فقد رصف جملها وسؤالها وجوابها صانع ماهر فى صنعته . فراجت على الجهال والبله . واعلم أن قريشاً لم تكره أن يجمع بنو هاشم النبوة والخلافة ، وهم بعيدون عن هذه الفكرة كل البعد ، ولكن رأوا أن أبا بكر أحق وأهل للخلافة فبايعوه حباً فى صالحهم ومصلحتهم ، ولم يفكروا فى الأشخاص فى قربهم أو بعدهم . بل آثروا المصلحة العامة وتدبير المملكة وإدارة دفة الدولة وكلهم أقرباء رسول الله وصحابته . فعمر (رضى) لايقول هذا ولايريد

أن يقوله . ولا أن يقال ، ويترفع فى أن يخوض فى حديث سفساف كهذا .

فقريش لم يصرفوها عن على ظلماً وحسداً حتى يشيعها ابن عباس كما زعمت . ويسأله عنها عمر ويجيب ابن عباس عنها بجواب قد لايتناسب مع مقام الخليفة . ولا يناسب أدب ابن عباس فى حضرة الخليفة وبين يديه . ولا يريد ابن عباس أن يجيب بجواب يغضب منه مليكه فيطرده من حضرته ، وهو المقرب عنده وله الحظوة الكبيرة لديه فيسقط من نظره بل من نظر الناس عموما إذا هو سقط من نظر الخليفة ، وأى خليفة هو . هو عمر العظيم . وخلاصة الكلام أن هذه المحاورة التى دارت بين الخليفة عمر (رضى) وعبد الله بن عباس . موضوعة مرتبة بجميع ماجاء فيها من سؤال وجواب . ولكن كما تقدم منا قد خصصتم عمر من بين الأصحاب فنصبتموه إما شاهداً لكم أو عليكم فى أكثر المواضيع الجدلية منكم ، وهذا مما يدل على عظم منزلته من بين قومه وأنه الرجل المشار إليه بالبنان فيعتبر قوله حجة لكم أو عليكم . وهذه السقيفة كثيرا ماتعرضت لذكره واستشهدت بقوله أو عمله ، وتطرقت لمواقفه فكأنه الهدف الوحيد . أو العدو الأكبر الوحيد . فقد رأينا أن السقيفة يهمها كثيراً وكثيراً جداً الإشهار بعمر أو التنديد بعمله أو إلصاق تهمة به مما تشين قدره . وإنا نعرف السبب فى ذلك جيدا ، فإن عمر هو الذى شد أزر أبى بكر

للخلافة وكافح المخالفين كما تقوله السقفية، وأن عمر هو الذى أخر علياً وصده عن الخلافة وتمالأ على (على) وأمثال ذلك من اللغو والهذر من السقيفة .

تقول : ما معناه أن عمر عجز عن جواب ابن عباس فزجره بقوله : إليك عنى فختمت به المحاورة .

أقول : هل يوجد أحد فى الدنيا ممن يعلم حقيقة عمر أن يصدقك بهذا ؟ وكل الناس يعلمون حقيقته جيدا ، وليس فى الدنيا أحد يجهل شخصيته لأنه أبرز خليفة وأعظم إمام وأشهر ملك جاء إلى دست الحكم حتى سارت بذكره الركبان وضربت بعدله وإدارته الأمثال وأصبحت جميع الملوك والحكومات يترسمون خططه وينهجون على مناهجه ويتبعون آثاره إن وفقوا لذلك . وكان حقاً مثال العدل والقوة والحزم والشدة .

فقد فتح الفتوح ودون الدواوين ومصر الأمصار ، ونظم رسوم الجبايات وحاسب العمال وراقب الرعية وسهر على مصلحتهم وأمنهم وسعادتهم . فأمنت الناس فى عهده ، وارتاحت لحكمه . وسعدت بعدله وأثرت من فتوحاته وغنائمه ، وكان من المهابة والوقار بمكان حتى كان القوم والمسلمون يهابونه ويسمعون لقوله وأوامره من قائد عام إلى عامل كبير . كأبى عبيدة وكخالد ابن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وسعد بن أبى وقاص ، ومعاوية وغيرهم من فحول الرجال وكبار القوم . فاذا كان عمر هو هذا

فهل من المعقول أن يرد عليه حدث من أحداث المسلمين فى محاورة عادية فيعجز عن جوابه ويزجره ويخرجه من عنده بقوله إليك عنى . . .

وهل يصح أن يتنازل عمر مع هذا الشاب فيحاوره فى أمر ليس له جدوى ولا طائل فيه ، وعمر ذلك الرجل المهيب الرهيب فأنت تريد أن تنسبه إلى العجز والعىّ فى الجواب ، وهيهات ذلك فالدر در برغم من جهله .

اقرأ خطبه ومناشيره وكتبه ومحاوراته مع شعبه وعماله ومناقشاته فى الأمور القضائية والاقتصادية ووضع الرسوم المالية والمراسيم الإدارية والخطط الحربية .

خلاصة السقيفة

تقول : والخلاصة أن الكتاب الذى أراد أن يكتبه النبى (ص) ومن قرائن الأحوال المحيطة بالقصة أن المقصود النص على خليفته من بعده وهو على بن أبى طالب ، لا سيما أن كل خلاف بين المسلمين وكل ضلال وقع ويقع فى الأمة هو ناشىء من الخلاف فى أمر الخلافة فهو أس كل ضلالة .

ثم تقول : ليس بالبعيد أنه (ص) امتنع عن التصريح شفاها أو كتباً بعد هذه القصة . بالنص على خليفته لئلا يأخذ اللجاج بالبعض إلى الخروج على الإسلام ، وهذا ما حدا بعلى إلى المجاراة والمماشاة .

أقول : هذا خرص آثم وكذب ناقم ، فإنه ليس هنـاك أية قرينة دالة على أن المقصود النص على خليفته من بعده ، وهو على بن أبي طالب ، لأن قول النبي (ص) على فرض صحة الحديث (لن تضلوا من بعده) ليس فيه دليل على أن الخليفة هو على كما وأن جواب عمر (رضى) (حسبنا كتاب الله) لا يتلاءم مع الدليل وإنما يدل أنه كان هناك كتاب ، على أن الرسول يريد أن يكتب شيئاً لا يخرج عن دائرة الموعظة والوصية بالتقوى والقيام بالواجبات الشرعية وأمثال ذلك ، كما سلف فى حجة الوداع ، أما الوصية على الخلافة لعلى فليس لها أى ذكر فى الموضوع ، ولوكان النبي (ص) بصدد النص على خلافة على لأعاد الكرة ثانيا وأصر عندما خلا البيت من عمر ومن تابعه ولأملى كتابه على عمه وبنى عمه ووقعه بخاتمه الشريف كما كان من أبى بكر حين كتب ولاية العهد لعمر وتلاه على القوم عثمان فامتثلوا لأمره وكتابه فالنبى (ص) أولى والصحابة لأمره أطوع ولكتابه أسمع ، فما الذى منعه عن ذلك ؟

نعم أجب أنت عن السؤال المحرج ! بقولك : امتنع النبي (ص) عن التصريح شفاها أو كتباً بعد هذه القصة بالنص على خليفته لئلا يأخذ اللجاج بالبعض على الخروج على الإسلام . وهذا الذى حدا بعلى إلى المجاراة والماشاة .

أقول : إذا كان النبي (ص) يتخوف على قومه من الخروج على الإسلام لو نص على خلافة على فلم لم يتخوف حين قال من

كنت مولاه فعلى مولاه! أليس هذا مما يوجب التخوف لما فيه من إيغار الصدور وتهيج الشعور فى أصحابه حيث جعل علياً مولاهم وهو أصغر منهم وجعلهم مسودين له وهم شيوخ الصحابة وفيهم الزعماء والأمراء والرؤساء وكبار القوم من صناديد قريش وعمداء الأنصار ، ألم يخش النبى (ص) الفتنة على قومه حين قال على زعمكم : سأعطى الراية غداً إلى رجل يحب الله ويحبه الله ، وهو على بن أبى طالب ، ألم يحذر النبى (ص) اللجاج على أصحابه وهو النبى الكامل والسياسى المدبر أن يقول : خرج الإيمان كله إلى الشرك كله ، يريد بهما علياً وعمر بن ود ، أليس فى هذه المواضيع تنقيص لقدر الصحابة وإيمانهم ، ألم يخش النبى (ص) على قومه الخروج على الإسلام كما تقول حين بعث كبار الصحابة وشيوخهم تحت لواء أسامة المولى الصغير وشدد عليهم اللحاق به وحثهم على السير ليقتلهم بسيوف الروم حتى تخلو المدينة منهم ويتفرغ النبى (ص) لنصب على للخلافة ، وقد عرفوا منه ذلك فتذمروا كما تدعى وهم أشداء قريش والأنصار وسادات قومهم ، أفلا كان النبى (ص) قدر هذ الموقف الحرج وإذا كان فى عزمهم ونياتهم شىء وهم بريئون منه فمن يصدهم وهم كثر وجند مدرب على الحروب وملاقاة العدو فتلاشى كل ما بناه رسول الله بحكمته وسياسته وحسن خلقه فهل من المصلحة أن يقع مثل هذا أو يغيب عن رسول الله خطره . كلا .

ثم إن فى حذر الرسول إذا نص على علىّ خروج الصحابة

على الإسلام لدليلا كافياً على أن وجهاء القوم وكبار الصحابة ليس لهم رغبة فى إمامة على وإمارته العامة عليهم ، ولا يودون أن تكون له فى أعناقهم بيعة وهم فى الحياة ، ومما يؤيد ذلك أن علياً لما جاء إلى نوبته الرابعة للخلافة أبى عن البيعة من أبى ونقض البيعة من نقض وخرج عن طاعته من خرج ، ثم لم يكتفوا بهذا فقط بل نازلهم ونازلوه وحاربهم وحاربوه فسفكت دماء وأزهقت نفوس لا تحصى وكانت شؤما على المسلمين .

وملخص الكلام أن النبي (ص) لم يكن له أى رأى فى تولية على للخلافة بل ولا يريد أن يتطرق لمثلها وقد اكتفى بالإشارة حين أمر أبا بكر بأن يصلى بالناس فكانت دليلا لتولى الإمامة الكبرى والإمارة العامة، وقد اتفق القوم ورضوا بإمامته وخلافته وكانت خلافته مباركة على المسلمين وأساساً متيناً لقواعد الدولة الإسلامية وطريقاً معبداً لإمبراطوريتها الضخمة التى وسع دائرتها ورقعتها الامبراطور الكبير سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وسار على منواله الخليفة الثالث سيدنا أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، ولو لم يصبهم القدر المحتوم لفتحوا أوروبا واستولوا على ممالكها جميعاً . وهنا يقال لتبدل سير التاريخ ومجرى الحوادث تبدلا قد لا يحيط به حتى الخيال .

أقول : لقد صدقت وأقررت بهذا ، وحقا إن جميع الفتن وإن كل خلاف ظهر بين المسلمين ونتجت منه الطوائف المغالية ، والفرق المعادية وصارت سببا لتفرقة المسلمين وفل شوكتهم ،

وتمزيق شملهم وضعفهم حتى أصبحوا مستعمرين للأجانب هو ناشيء كله من تدخل المتأخرين من الشعوبيين والغرباء من البلاد المفتوحة أعداء العرب والمسلمين ، وتطفل بعض الجهلة فى أمر الخلافة وهو أمر لا يعنيهم ولا يخصهم ، وليس هو من حقهم ولا من واجبهم وأمر قد مضى عليه وقت مديد ، على أن هذا الأمر لا يسألون عنه عند الله ، ولا هو من أركان الدين ، بل هو أمر يعود إلى أهله السابقين ، وهم أدرى وأعرف من غيرهم الذين جاؤا بعدهم بسنين طويلة ، فهل يحق لهؤلاء المتأخرين البعيدين والقرباء الموتورين أن يحكموا فيمن هو أحق بالخلافة ، وينتصبوا للجدل والنقاش مع أهل الخلافة ، وأهل الحل والعقد من السلف الصالح وسادات الأمة ؟ وأى حق لهم فى هذا ومن الذى وكلهم أو فوضهم لهذا وهم أجانب عن القوم وغرباء أباعد لايمتون إليهم بأى صلة ؟ فما هو إلا خلاف اتخذوه مركبا للوصول إلى غاياتهم الانتقامية فصوبوا سهامهم نحو هذا الهدف وأصابوا المرمى ، وطعنوا فى دين الإسلام ، وشوهوا وجه الشريعة وجهموه ثم إذا جارى على وماشى كما تقول كيلا يخرج بالبعض على الإسلام ، وكان شفيقاً على المسلمين بهذه الدرجة فلماذا لم يجار أهل صفين والجمل والخوارج كيلا يخرجوا على الإسلام فيكون هو سببا فى ذلك ومسؤولا عند الله ، وهم أولى بالمجاراة من أولئك الأصحاب الراسخين فى عقيدتهم والثابتين على إيمانهم ثبوت الجبال

الراسيات ، إذن فسكوته عن المطالبة بحقه لم يكن مجاراة ولا مماشاة بل لعدم مستمسك يحتج به ، أو وصية أو نص أو وثيقة تكفل له طلبه ، فهذا هو الصحيح الذى لا غبار عليه ، لا ما تزعمه منذ اليوم فهو زعم باطل آثم .

ولست تقدر أن تقول إن القوم الذين حاربهم على كانوا كفاراً ، كلا بل كلهم مؤمنون وكان حربهم معه وحربه معهم لأمور اجتهادية هم فى زمان ونحن فى زمان بعيد والله أعلم بهم ولسنا مسئولين عنهم ، تلك أمة قد خلت والقرآن سماهم مؤمنين ، قال تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما » فتطفلك وتدخلك فى هذه المواضيع أمر لا يعنيك ولا أنت مسئول عنهم عند الله .

بيعة السقيفة

الدوافع لاجتماع السقيفة

هذا عنوان صاحب السقيفة . ولقد أطال القول وأسهب فى فلسفته الخيالية ، وقد نورها بشىء من علم النفس وعلم الاجتماع وكلها أوهام وأحلام ليس تحتها مادة ولا فائدة ، وهذا شأن المغلوب الوهن يتشبث بكل حيلة وكل وسيلة ليشفى مرض قلبه ، ولكن هيهات فقد فاز من فاز وحرم من حرم . فلا يفيدك هذا ولا يبرد من ضرام قلبك ياصاحب السقيفة ، وقد فاتك أن النجاح للقوة ، والنصر للقوة ، والعز للقوة ، والحق للقوة ، وهذه سير

الرجال العظماء من النبيين والسياسيين ، والرجال العسكريين والمدنيين لو اطلعت عليها لوقفت على سير الأمور ولكسرت قلمك الذى أتعبته فى هذه المغالطات وانزويت فى إيوان تدرس فيه أساطير الأولين ، ألم تر إلى رجال العهد والمجددين والمنورين فى أوربا وغيرها من البلاد الناهضة ؟ وأنت لا تزال متمسكا بهذه القصص والحكايات الخرافية كأنك لست من هذا الزمن فإلى متى هذا الجمود وهذه الدعايات المفرقة المسمومة بين صفوف المسلمين فى شىء لسنا مسئولين عنه ، وسترها أفضل من ذكرها ، على أنك قد نبهتنا بتعرضك وتحرشك هذا إلى شخصيتين كبيرتين وهما قطبا قريش وعماداها ، والخليفتان العظيمان ، والزعيمان الخطيران أبو بكر وعمر فإنهما بوقفتهما يوم السقيفة قد عارضا جبهة قوية ونازعا حيين كبيرين حتى تغلبا عليهما وذلك بفضل قوتهما ، وسداد رأيهما ، وسمو جنابهما ، وبلاغة قولها وبدهائهما وجرأتهما فلم يغادرا السقيفة إلا وأبو بكر خليفة المسلمين وإمامهم عامة وصاحب الأمر والنهى ، وقد دانت له العرب كلها عدنانيها وقحطانيها .

« المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف » حديث شريف فهذه وايم الله همم عالية ونفوس أبية كبيرة .

أنت تعرض بأبى بكر كيف استمال الحيين بخطابه ليباعد بينهما الخ . أقول : نعم يحق له ذلك ويحق ماقال فهذا الدهاء وهذه

الحنكة ، وكيف أخذ الحق عن يريد اغتصابه ، وإن قريشاً أحق بالإمارة وأحق من هذين الحيين الأوس والخزرج . ومن العجب ياصاحب السقيفة أن تصبح صديقا للأنصار تذب عنهم وأنت من الناقمين على أصحاب رسول الله والطاعنين فى إيمان المهاجرين والأنصار جميعاً وإن الأصحاب قد انقلبوا على زعمك يعنى ارتدوا بعد وفاة نبيهم (ص) ولكن ما أردت بدفاعك عنهم حبا فيهم ، بل ضداً لأبى بكر وعمر (رضى) وكنت تتمنى لو يحصل عليها الأنصار ويتمتع بها سعد بن عبادة ولا تكون لأبى بكر وعمر ، ولكن على رغمك ورغم سعد والحباب فاز بها هذان الأسدان المصوران وصارت بعدهما لباقى قريش فالفضل والله يعود لهما على قريش عامة وخلفائهما خاصة ولولاهما ما تمتع بها عباسى ولا علوى قط .

ثم لو كان سعد يعلم حقاً أن علياً أحق بها من بين قريش وأن له نصا من النبى (ص) لما قدم نفسه لها ، ولأوعز لبنى عمه بالبيعة لعلى .

تقول : إن الأنصار أرادوها لأنفسهم خوفا من أن يتسلط عليهم الموتورون من بعد وهم بنو أمية . أقول : هذا تأويل بعيد وظن فاسد ، وإنما طمح لها سعد كما تطمح النفوس ليصبح خليفة وأميرا مطاعا وله بيعة فى أعناق المسلمين عامة ، ثم يتناولها من بعده أولاده وأحفاده فيحكمون قريشا والعرب وباقى الأمم وتكون

لهم الإمارة المطلقة على الناس كافة . أما الحروب التى جرت من قبل فقد ذهبت بوقتها وتنوسيت وأصبحوا كلهم مؤمنين متآخين ولم يبق لها أثر ما بعد الإسلام فلا ترة ولا ثأر فقد حسن إسلامهم وجاهدوا فى سبيل الله جميعاً جنباً لجنب وصفا واحدا .

وتقول : لما رأى الأنصار أن الخلافة ستكون نصيب قريش أرادوا بيعة على وقالوا : لا نبايع إلا عليا .

أقول : هذا خبر لا يقبل الصحة والتصديق به خلاف العقل فإذا كان الأنصار عازمين على هذا حقا فلم لم يبايعوا عليا ؟ وأين كان على حين البيعة لأبى بكر ، هل كان غائبا عن المدينة ؟ وما بال الأنصار إذا كانت لهم هذه النية أن يتأخروا ومن ثناهم عن البيعة لعلى ؟ لا بد أنهم خافوا من عمر وأبى بكر أو أن قولك هذا عار عن الصحة ، لأن جميع الأنصار بايعوا أبا بكر ولم يتخلف منهم أحد ما من الأوس ولا من الخزرج . أما قولك : إن الأنصار كانوا يتخوفون أن يليها من بعد بنو أمية ، وبنو أمية موتورون من الأنصار فيسيئون إليهم ، وقد كان ذلك بالفعل كوقعة الحرة فقد جرى فيها ما يخجل الإنسانية إلى آخر كلام السقيفة .

أقول : إن الأمويين أهل شهامة وغيرة ومجد عريق وكانوا مخلصين للعرب جداً وكانت دولتهم عربية قحة غير مصبوغة بصبغة أجنبية كغيرهم وقد حافظوا على العادات العربية وكانت حكومتهم إسلامية محضة وحضرية شبه بدوية فلا يعقل أن يصدر

منهم ما يخدش شرف العرب أو يمس كرامتهم أو يهضم حقوقهم بل لم يكن لهذا حظ من الصحة قطعاً بخلاف غيرهم .

فقد أساءوا إلى أبنـــاء جلدتهم العرب وجفوهم وأضروهم واعتمدوا على الأجنبي وكاد الأجنبي يهدم كيان دولتهم وفعلا فقد سعى بكل طاقته ووسعه للقضاء على العرب وقد فعل ، فبدأ بالقيام بالثورات بإيعاز من بعض المنافسين الطامعين فى الملك لا يهمهم أن يخذل العربى أو تهتك حرمته أو تضعف شوكته تجاه غرضه وغايته التى بذل لهـــا جهوداً ودعايات وشغبا وأراجيف ليستولى على منصة الحكم ويتمتع بملاذ الدنيا وشهواتها

أما وقعة الحرة فكان أهلها هم البادين بالثورة ونقض العهد والخروج عن طاعة أميرهم لمجرد المنافسة والأطماع والدسائس وليس من المعقول أن تقف الحكومة موقف الضعيف بل من واجبها وواجب الأمن فى البلاد أن تضرب على أيدى الثائرين وتؤدبهم وتقمع كل فتنة تقوم ضـد الأمن والسلام فهذا ديدن الحكومات وهذا شأنها منـذ تشكلت الحكومات على وجه الأرض حتى يومنا هذا ، ثم لا يصح ولا يتصور أن يقع من عرب مؤمنين فى زمن هو من خير الأزمان بعد عهد الصحابة أن يهتكوا حرمة أبناء عمهم وبنى عشيرتهم وأقربائهم . فسكان المدينة بنو هاشم وبنو تيم وبنو أمية وبنو عدى وبنو مخزوم وغيرهم من قريش من البيوتات الكريمة والعوائل المحترمة الشريفة ،

ولو وقعت هذه الحادثة فرضاً مع عدو أجنبي فمن السياسة ومن الشرف العسكرى ومن سمعة الدولة المحتلة لم يكن ليتهاون فى استعمال ما يتصوره المغرض الذى أذاع وأشاع هذه التهمة على الجيش العربى المسلم وعلى أميره العربى القح وهو من بنى جلدتهم وأولئك المنافسون أو الثائرون هم من قومه وبنى عمه وهم مسلمون مثله ، فهذه من تهم الشعوبيين الناقمين على دولة العرب انتقاما وتشفيا لغليلهم المتوهج فى القلوب والأكباد ، والخزى كل الخزى على أبناء العرب الذين يصدقون هذا ويتقبلونه من هؤلاء الغرباء أعداء العرب الفاتحين ويشتركون معهم فى طعن أجدادهم العرب وبغضهم وكرههم وهم شرفهم وفخرهم وعزهم ولولاهم لكان العربى اليوم فى نظر هؤلاء الغرباء ، كعبد مملوك ، أو خادم منبوذ ، وقد سلط الله عدواً جباراً عليهم لعقوقهم لآبائهم وأجدادهم العرب وطعنهم فيهم فاستعمرهم وأذلهم بل واستعبدهم وأذاقهم الخزى المرير .

نقول : خرج الحباب بن المنذر يقول وكلنا نخاف أن يليهم بعدكم من قتلنا آباءهم وأبناءهم وإخوانهم .

أقول : لم تثبت ولم تصح هذه القولة من الحباب بن المنذر قطعاً وإنما هى من زيادات الكذابين فإن قريشاً باختلاف أفخاذه وبطونها لما أخذت إدارة البلاد بيدها لم تعــامل الأنصار إلا بالحسنى .

ولم يسمع أن أحد الملوك القرشيين أو قوادهم أو عمالهم أساءوا إلى الأنصار ، وأما وقعة الحرة فقد بينا أسبابها الموجبة والبادى أظلم .

تقول : إن النبي (ص) خاطب الأنصار بقوله : ستلقون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض .

أقول : إن صح هذا الحديث فإنه صادق على الأثرة بالخلافة حتى على خلافة على (رضى) لأنه عام بلفظه لايخص أموياً أو عدوياً أو غيرهم . بل يطلق على أثرة قريش كلها على الاطلاق والصحيح أن هذه الفقرة كاذبة لم يقلها النبي (ص) وكيف يطعن بامارة قريش وأثرتهم على إخوانهم الأنصار وهم أعمامه وأقرباؤه وقد كانوا كلهم يداً واحدة على الكفار والحقوق فى عهد الخلفاء متساوية لافرق بين مهاجرى وأنصارى فى كل الأمور سوى الخلافة فانها حق قريش فقط ، ثم كيف يخاطب الأنصار بهذا وهو الذى يقول الأئمة فى قريش ، وإذا ثبت هذا وصح فكان من اللازم على علىّ أن يتنازل لإخوانه الأنصار ولا يستأثر بها عليهم خشية أن يليها الأمويون الموتورون أعداء الأنصار وأعداء بنى هاشم على زعمكم وتسلم الأمة من هذه الفتن والخلافات المهلكة المفنية ولا ستقر عبد الله بن سبأ اليهودى وسكنت حماة محمد بن أبى بكر فهذان قد أشعلا نيران الفتن والثورات حتى أدت إلى قتل الخليفة عثمان ولكل من هذين الخبيثين غاية معلومة

تقول : كان علي محسوداً من العرب وهي موتورة له ، فلا تمكنه العرب وقريش خاصة من أمورهم . فالانصار والحال هذه قد لايرون كبيراً ثم في تطاولهم لمنصب الخلافة مادامت خارجة من معدنها أي من علي ولما أيسوا منها لأنفسهم قال كلهم أو بعضهم . لانبايع إلا علياً .

أقول : لم يصح ماجئت به ولم ينقله الثقات ، وإنما نقله ورواه أمثالك ممن لايتورعون في نقل الأخبار وروايتها مهما كان سندها وذلك لغرض تأييد المبدأ والنعرة لاغير .

ثم إذا كانت الأنصار تعلم أن معدن الخلافة عليّ فلم تطفل رئيسهم سعد ورشح نفسه لها وهو يعلم أنه لاحق له بها ، وأن معدنها الوحيد هو عليّ فقط ؟ ثم كيف تسابق الأنصار على بيعة أبي بكر بعد أن علموا أن الخلافة قد خرجت من أيديهم . وأن معدنها عليّ . وعليّ حاضر في المدينة لم يغادرها وشخصيته لم تغب عنهم ولم تخف عليهم ! . ألم تعلم أنهم بعد أن تمت البيعة لأبي بكر كيف أصبحوا شعباً طائعاً وجيشاً له سميعا ، راضين خاضعين لأوامره برغبة صادقة ، وطاعة تامة ، فأين قولهم : لانبايع إلا علياً . تقول وإذا نحن تفهمنا هذه الحقائق استطعنا أن نعرف السر في استباق الأنصار بهذه العجلة إلى عقد اجتماعهم سراً في سقيفتهم واستطعنا . لماذا كان سرياً بلا مشورة للمهاجرين ، ولا باقي المسلمين إلى آخر كلامك .

أقول : هذا القول لايتلاءم مع ما قبله ، فلا ندرى على أى نعول . فهذا من قبيل الهذر ، ثم لاندرى حتى الآن ولم يتضح لنا جليا سبب حسد العرب وقريش خاصة لعلى وحده دون الصحابة الباقين . ولذلك لم تمكنه على زعمك من تولية الخلافة ، فإنما هى أعذار بعيدة يتعلل بها من لاحجة له ولا برهان ، يريد أن يستر على الناس محاولاته ويظهر بمظهر المحق ، ولكن لا يخفى هذا على أولى الألباب والعقول . أما على البلهاء فنعم وكثير ماهم .

اتهام عمر بعدم موت النبى (ص)

تقول السقيفة : ولكن . . . ولكن عمر بن الخطاب الحديدى صاحب رسول الله أبى على الناس تصديقهم بموت نبيهم إذ طلع صارخا مهدداً وقد قطع عليهم تفكيرهم وهواجسهم وراح يهتف بهم : ما مات رسول الله ولا يموت حتى يظهر دينه على الدين كله ، وليرجعن فيلقطعن أيدى رجال وأرجلهم ممن أرجف بموته ، لا أسمع رجلا يقول مات رسول الله إلا ضربته بسيفى . .

أقول : هذه أخبار لا تختلف عن نظائرها من الأخبار السابقة فى الكذب والوضع والدس وقد تضمنت مهازل لا يمكن أن تنسب لأقل صحابى، فكيف بعمر العظيم الحديدى الذى فاق أقرانه بالمهابة والرزانة والشدة والصرامة أن ينزل إلى هذه

الدرجة في حالة يعاب عليها وتقل قيمته فيها وهو عميد بنى عدى ورجل الصحابة وعمادهم ، وكيف يتكلم بكلام لو تكلم به رجل عامى لرد عليه وكيف وهو العالم الفاضل والمجتهد الكبير تخفى عليه وفاة رسول الله أو يعتقد بالرجعة ، وإنما يعتقد بالرجعة بعض الطوائف الجاهلة الحمقاء ، وكيف يظهر بمظهر المدهوش وهو المنزه عن تعبيرك بالخبل وهو الألمعى الأحوذى ، فثقافته العلمية وشخصيته الجبارة تقفان حداً دون ما تتهمه وتنسبه إليه . وإنما هذا شأن المختالين الضعاف والهزلين ممن لا يبالون بمروءتهم وكرامتهم ، أما عمر الصارم القدم فبعيد وبعيد جداً عن الرعونات والخفة وهو الراسخ رسوخ الجبال ، فتعبيرك عنه بالخبل سوء أدب ، على أن أمر الخلافة قد تأكد لديه وتحقق عنده وأصبح أمراً مفروغا منه بأنها لأبى بكر لا محالة ، ومن الذى يعارضه وينازعه فى هذا . . أليس هو الذى وقف تلك الوقفة الرهيبة فى سقيفة بنى ساعدة أمام حيين كبيرين يحسب لهما كل حساب وبايع بها أبا بكر ؟ وفشل سعد وبنو عمه ، أليس هو الذى كسر سيف الزبير وكما ذكرته أنت فى سقيفتك ؟ فهل يخشى مثل هذا الليث من أحد حتى يظهر بمظهر الخبل أو المدهوش ؟ وهل يبالى بأحد . كلا .

ثم إن عمر لم يدر فى خلده ولم يفكر يوماً ما بأن أحداً ينازعه أو يقاومه على الخلافة ، وقد ظهرت شجاعته وبطولته وتهديداته

الجريئة يوم السقيفة ، وقد كان كل الصحابة مؤمنين ومسلمين بالخلافة إلى أبي بكر لم يتجه رأيهم إلى غيره . يشهد لذلك إطباقهم على بيعته وانقيادهم لأمره فلو كان هناك منازع لأبي بكر وله حق في الخلافة لما تأخر عن المطالبة ولو بالقول . ولكن بحمد الله وفضله لم يقع أي شيء مما يعوق سير الانتخاب أو يكدر صفو الخلافة وتمت البيعة بكل هدوء وسلام .

فنسبة هذه الأوضاع والحالات المخلة بشخصية رجل عظيم مثل عمر الهمام لا يساعدك على التصديق بها ولا على قبولها إلا الحمق والجهلة والحساد أعداء المسلمين . نعم يحتمل أن سيدنا عمر اعتراه شيء من الدهشة والحزن على حبيبه وصهره كما اعترى بعض الأصحاب بفقد نبيهم وحبيبهم ، ولكن ليس بالصورة المخلة والوضع الشائن ولا بالقصد الذي أولته وفسرته في سقيفتك أنت مفتخراً ومتبجحاً بأنك الوحيد الذي عرفت مرماه ومغزاه دون العلماء أو المؤرخين أو المسلمين . أما خفت أن تصاب بالعين على هذا التفسير الصائب البديع إذ فطنت له دون غيرك ، فما حملك على هذا التفسير إلا عداؤك وغلك الذي أكل كبدك ، ونخر قلبك .

تقول : وبعض الناس قد جهلوا عمر بهذا وأبعدوا فقالوا : من يجهل مثل هذا الأمر الواضح المعلوم بالاضطرار جدير بألا يكون إماماً راعياً للأمة .

أقول: لم يقل هذا إلا أعداؤه الشعوبيون من البلاد المفتوحة التى اكتسحها منهم بالسيف وثل عروش ملوكهم وقضى على دولتهم فأصبحوا موالى وخدما للمسلمين العرب، وصارت بلادهم ملكا للمسلمين العرب يتمتعون بنعيمها ويستخدمون أهلها، فامتلأت لذلك صدورهم غيظاً وحقداً وانتقاما، ولما لم يقدروا أن يشفوا غليلهم بالسيف اتجهوا إلى أخذ ثأرهم بتحريف الأحاديث والأخبار، وبث الدعايات السرية، ومالوا إلى طرف واحد يتمسكون به صوريا ليموهوا على البسطاء ثم توسعت هذه الدعايات فأصبحت سلاحهم الوحيد ضد الفاتحين، بل تعدت إلى جميع المسلمين من عهد الصحابة حتى يومنا هذا، أفهؤلاء الأعداء الأعداء يستشهدون بقولهم؟ وهم الذين ملأوا الكتب بالطعن والسب، والذى يكذب قولهم هذا أنه كان فى إمامته وخلافته إماماً عادلا قوياً مجاهداً فاتحاً سياسياً عبقرياً، وملكا مدبراً، وأميراً مخلصاً. نظم أمور الممالك، ودون الدواوين، ومصر الأمصار، وساق الجيوش، وعين القواد والعمال، وقبض على دفة الحكم بيد من حديد، لم يجرؤ أحد فى خلافته أن يثور، أو ينقض بيعته، أو يخرج على سلطانه، أو يتمرد جندى من جنوده، وقد كان عفيفاً زاهداً جدياً، حاسب العمال وراقب الأعمال بدقة ولباقة وكياسة، وكانت خططه السياسية والمالية والحربية كلها متقنة محكمة طبق المصلحة والحكمة، فلم يسجل عليه التأريخ

إلا أعمالا جساما أعجزت من جاء بعده من الملوك وقد سطرها له بأحرف من نور ، وكانت صحائف تأريخه بيضاء نقية ، فهذا عمر وهذا عهد عمر ، سل عنه تأريخ كسرى وقيصر ، وهو الذى حمل الناس على الحق الابلج ، والمحجة البيضاء فى هذه المدة الطويلة التى ملأ بها الدنيا عدلا وفتحا ، وإسلاماً وثروة ، وأمناً وعزاً ، لا غيره كما تظنه ياصاحب السقيفة فإنه مكابرة وادعاء .

تقول : وليس هناك من تحوم حوله الأفكار إلا على للنص عليه كما تعتقد ، أو لأنه أولى الناس حتى كان عامة المهاجرين وجل الأنصار لايشكون أن علياً هو صاحب الأمر بعد رسول الله

أقول : قولك هذا تخمين ووهم ، ولو كان كذلك لبايعه واحد فقط من المهاجرين ليس عامتهم ولبايعه واحد فقط من الأنصار لاجلهم فهذا دليل يكذب تخمينك ووهمك . واعتقادك أنه أولى الناس اعتقاد خاص بك فقط ، ولكن قومه لم يعتقدوا اعتقادك ولو أنهم كانوا يعتقدون كاعتقادك لانحاز إليه قسم منهم ولبايعه حسب اعتقاده ، ولم يتأخروا ويخيبوا اعتقادهم ، ويخونوا فى مبايعة غير الأولى ، وأما النص فقد ناقشنا صحته ، إذن فلا أفكار تحوم حول على .

تقول : ويلاحظون كراهة قريش لاجتماع النبوة والخلافة فى بنى هاشم ، فيبجحون على قومهم بجحا بجحا كما يراه عمر (رضى) فى محاورته مع ابن عباس . أقول : قد تقدم منا تكذيب المحاورة

التى دارت بين أمير المؤمنين عمر (رضى) وبين ابن عباس ، وأن عمر (رضى) لا يراه ولا يعتقده ولا يقول به ، وأما كراهة قريش لاجتماع النبوة والخلافة فهذا حدس وزعم لا حقيقة له ولا دليل عليه ، ولو كانت قريش تكره ذلك فلم بايعت علياً فى نوبته الرابعة ؟ وكان يمكنهم أن يبايعوا عبد الرحمن بن أبى بكر أو عبد الله بن عمر ، وهؤلاء أمراء وأبناء الخلفاء ، أو سعد ابن أبى وقاص ، أو معاذا أو غيرهم ، وليس بشرط إذا كان النبى من بنى هاشم ، وهو الذى اختاره الله دونهم ، وارتضاه لرسالته ، وهو المثل الكامل فى الأوصاف والأخلاق ، الله أعلم حيث يجعل رسالته ، أن يكون بنو هاشم مثله فى كمالاته ومستواه وأخلاقه وعلمه وسياسته وإدارته ، حتى يكون لزاماً أن يكون الخليفة أيضا منهم فالرسول (ص) اختص بمواهب ليست لبنى عمه ولا لأعمامه فهو منفرد بها (ص) وحده ، فيجوز أن يكون فى قريش عدا رسول الله (ص) من هم أقدر وأدرى وأعلم ، وأرجح منهم ، وقد كان ذلك فعلا وظهر للعيان .

تقول : وأعجب من ذلك كله وقوفك بعد يوم معتذراً فتقول : فإنى قلت بالأمس مقالة ما كانت إلا عن رأيى وما وجدتها فى كتاب الله ، ولا كانت عهدا عهده إلى رسول الله إلى آخر الاعتذار . أى اعتذار عمر .

أقول : يريد صاحب السقيفة أن يذكر اعتذار عمر وبيان

خطئه ، وهو يعلم الله اعتذارا لا أصل له ، لأن الكلام الذى أسنده إليه سابقاً كان كذباً محضاً ، وإذا سقط الأصل سقط الفرع ، فهذا اعتذار مصور كاذب ، فعمر أكبر من أن يخلط فى كلامه ثم يعتذر عنه ، ولو أن مقالته الأولى كانت مدفوعة بدافع الدهش والخبل كما تزعم ، كيف يعتذر بهذا الاعتذار ، وكان الأجدر أن يعتذر بقوله : إنى قد أصبت بدهشة وألم استولى على مشاعرى ، وفقدت مداركى من أجله ، فلم أعد أفرق وأميز فى كلامى لشدة الحزن لذى تغلب على ، فيصح أن يكون هذا عذرا يلائم كلامه الأول ، إذن هذه المقالات التى تقال عن مثل عمر داهية قريش وسندها ، كلها كاذبة موضوعة من قبل الأعداء وضعت لتشويه سمعة عمر وحط منزلته عند الناس ، ويأبى الله إلا أن يعلو اسمه ويرتفع ذكره ولو كره المغرضون . فمن أنت يامسكين حتى تعجب وتخاطب هذا الملك القرم ، والامبراطور الصنديد الخطير ، والأمير العظيم الذى كسر الجبابرة ، وأباد الملوك الصيد وقضى عليها القضاء المبرم ، فلا كسرى ولا قيصر فائت من باب . وقال السهى للشمس لونك حائل .

تقول : ويشهد لتأثير كلامه على سامعيه التجاء أبى بكر لما جاء من السنح أن يكشف عن وجه النبى ليتحقق موته ، ثم يخرج إلى الناس مفندا مزاعم عمر .

أقول : إن أبا بكر لم يكن شاكا من قولة عمر حتى يحتاج

إلى أن يتحقق الخبر ، ولكن من عادة الإخوان والأحباء إذا جاءوا متأخرين عن ساعة الوفاة أن يكشفوا عن وجه حبيبهم ويقبلوه حباً له وشوقاً إلى رؤيته ، ومن المعلوم أن أبا بكر كان حبيب رسول الله وخليله الصدوق ، فأراد أن يودعه بقبلة حارة ويكشف عن وجهه الشريف ليتمتع برؤيته ، وهى آخر رؤية وآخر مقابلة مع حبيبه ، لا لأن مقالة عمر شككته فأراد أن يستطلع الحال بنفسه ، فهذا تأويل نشأ عن جهل بحقائق الأحوال أو تجاهل تريد به نقد عمر وتجهيله ، وهيهات أن يجهله مثلك أو ينقده ، ثم إن أبا بكر خطب الناس بصورة عامة وكلهم كانوا فى دهشة وذهول وحزن عميق كاد يأخذ بعقولهم وألبابهم، لالقولة عمر وحدها أولدهشته وحده ، بل منهم من أقعد ومنهم من أخرس ومنهم من أدهش لأن مصابهم كان أليما ورزأ جللا يحق لهم أن تعتريهم دهشة أو تصيبهم غشية ، وعمر إن صح فمن جملة من تأثر وتألم وحزن حزناً شديداً يكاد أن يسيطر على إحساسه، ولكن عمر كان قوى الإرادة يقدر أن يملك نفسه فلا يدع لحزنه سلطاناً على عقله وإرادته وحشمته بين قومه مهما كان حزنه بالغاً مبلغاً كبيرا . أما قول أبى بكر له أيها الحالف على رسلك ، فكذب لا أصل له تقوّله الأعداء عليه ، وقولك : أخذ أبو بكر يخطب الناس وعمر مستمر وقد تركه الناس ، فبعيد عن الصحة والقياس . وقولك : إن عمر لما سمع خطبة أبى بكر صعق إلى الأرض

وصدق حينئذ بموت النبي (ص) بعد أن تحقق أن الآية من القرآن كما يقول ، فهذه أكذب من الأولى وأعظم زورا ، وهل مثل عمر لا يعرف القرآن أو آى القرآن ؟ حتى يسمعها من أبي بكر وهو قد حفظ القرآن كله وكان ورده فى الليل والنهار ، ثم هو أجل من أن يصعق وإنما يصعق ذوو النفوس الخائرة ، والقلوب الضعيفة ، وهو فى شخصه جبل من الجبال ، وأنت مهما حاولت فى تشويه سمعته وتحطيم شخصيته ، فلا يساعدك الواقع وتكذبك الحقائق الملموسة ، والآثار البارزة التى تشهد بعظمة هذا الرجل الفذ والإدارى العالمى الذى كان نسيجا وحده ، والذى لم تلد الأمهات مثله، وهؤلاء ملوك الأرض كلهم يشهدون بفضله وعدله وسياسته وحزمه ، وإدارته وقوته ، وهو الذى لا تأخذه فى الله لومة لائم ، فمن أنت ياهذا حتى تتعرض لهؤلاء الرجال ، وأين تكون إذا ذكروا . أمثلك يقدر أن يسقط عمر من منزلته الرفيعة وشهرته التى ملأت الآفاق؟ باختلاق الكذب والتهم؟ هيهات .

إن عمر (رضى) لم يعتقد بالغيبة ولا محبوه ، كما لا يعتقد بالرجعة لا هو ولا مشايعوه ، إنما الذى يعتقد بالرجعة والغيبة أناس متطرفون من الطوائف المغالية لا عمر ولا جماعة عمر حتى تتهمه بأنه حاول أن يقنع الناس أن النبي (ص) غاب كما غاب موسى (ص) فيرجع ليقطع الأيدى والأرجل ، وحاشاه أن يتلفظ بهذا اللفظ الغريب ، أو ينطق بهذا المنطق الهراء ، وهو أبو حفص الصنديد الكبير ، لم يدر الفلك على أحد مثله بعده .

تقول : ويظهر أن عمر كان بطل المعارضة فى إمارة على كما شاهدنا موقفه فى قصة الكتاب الذى أراد أن يكتبه النبى ، وفى مواقفه التى أشرنا إليها ، إلى آخر ماقال أبو السقيفة من التهم.

أقول : إن عمر لم يقف فى مواقفه ضد على ، ولا كان بطل المعارضة ، ولا كان بينه وبين على نزاع ولاشجار ولا منافسة فى شىء ، بل كانوا إخوانا وأصهاراً وأعماما وكلهم قرشيون ، وقد كان عمر مسالما مع أصحابه جميعاً ، لم تكن بينه وبين أحد شحناء ولا بغضاء ، نعم لا ينكر أنه كان صلبا فى عقيدته ، جديا فى أعماله لا يجامل ولا يصانع تجاه المصلحة العامة ، وقد كان صريحاً فى أقواله بعيداً عن المخاتلة والمخادعة ، هماما قوى الإرادة ، حدباً على الإسلام والعرب ، لم يكن مستأثراً ولا طامحاً للخلافة ، ولم يسع لنفسه إليها ، بل آثر أبا بكر على نفسه ، وراعى مصلحة الأمة قبل مصلحته ولم يدفعه حب الذات والمنفعة الشخصية أن يستبد بها دون الأفضل والأولى والأجدر بها وهو أبو بكر ؛ فهذا عين الإخلاص والخدمة الصادقة للمسلمين والشعب ، وهذا يكذب قولك : (على حد تعبير عمر نفسه) فلو كان عمر يقول هذا ويعترف به ، لما قدم أحداً على على ، وكيف يعبر عمر بأن علياً إذا ولى الأمر يحمل الناس على الحق الأبلج ، وإن كرهوا ثم يصرفها عنه ويبايع أبا بكر ؟ .

تقول : فلا نعجب إذا رأيناه يقف هذا الموقف ليلهى الناس عما يخشاه من استباق أحد إلى بيعة على قبل مجىء أبى بكر .

أقول : لا يمكن ولا يتصور أن يستبق أحد من قريش دون أن يرى رأى أبى بكر وعمر ، ولا أن يستبد أحد بأمر إلا بعد مراجعتهما وإشارتهما ، لأن قريشاً كانوا قد أسلسوا القياد لهما لما لهما من المنزلة والمكانة فى نظرهم ، وكان من الثابت المسلم عندهم أن أبا بكر وعمر هما عميدا الصحابة وهما الشيخان الأمثلان ، وكان من المقرر عندهم أيضاً أنهما صاحبا رسول الله ووزيراه وخليلاه المخلصان المقربان عنده (ص) يخصهما بأسراره وأعماله الهامة يدل على هذا إطاعة الصحابة كلهم عدنانيهم وقحطانيهم لأمرهما وإرادتهما ، وقد تحصل من شهاداتك بمواقف عمر أن عمر كان رئيس القوم وأن أمورهم كانت منوطة بإرادته وإشارته وله تأثير كبير على نفوسهم ، وله الكلمة النافذة ، ولو أراد الخلافة لنفسه لأتته طائعة منقادة ، لأن صحبه وقومه كانوا يقدرون قدره ويعرفون استعداده ومقدرته ، وكان الزعيم المطلق فيهم بعد أبى بكر وتبين من اعترافك بمعارضة عمر لعلى وأنه أخره عن الخلافة وأسقط حقه ، أن علياً ليس له من الأمر شىء ولا له كلمة مسموعة ولا نفوذ وتأثير على القوم والصحابة ، لذا قال بعض الناس إن من كان بهذه المثابة لا ينبغى أن يتولى إمارة المسلمين العامة والإمامة الكبرى .

واعلم أن مثل عمر فى مقامه وصرامته لا يستعمل المغريات الخلابة للجماعات فى خطبه ، فهو يتحاشى ويحتشم ويترفع عن معاطاة

هذه الأساليب المهينة ، كيف وقد قبض على ناصية الأمور بيده يقدم من يريد ، ويؤخر من يريد بلا منازع ولا ممانع ، أرأيت كيف قدم أبا بكر وأخر غيره والصحابة معه يعاضدونه ويساندونه فيما يأتى ويذر ، فالحيل والمغريات يتعاطاها ويعول عليها الضعيف ، ومن لا عون له ولا نصير ؟ أتراه حينما تولى إمارة المؤمنين كيف كان الناس يخضعون لأمره ؟ ويهابون درته ويخشون شدته ؟ هل ترى واحداً منهم خرج عن بيعته ؟ أو ثار بوجهه؟ أوعصى أمره أو عارض حكمه فى مدة خلافته الطويلة ؟ كلا .

تقول : إن خدمة الأنصار للإسلام هى التى خيلت لهم الحق فى الخلافة ينضم إلى ذلك تخوفهم من أن يخلص الأمر إلى من قتلوا أبناءهم وآباءهم وإخوانهم مع اعتقادهم بخروج الأمر عن أهله ، ويدل على هذا الأخير طلبهم مبايعة على بعد اليأس .

أقول : أظنك تتغافل عن وقعة أحد أو تتجاهل، هلا قرأت حادثة أحد بعد وقعة بدر ، وكيف أصاب المسلمين ما أصاب من قبل قريش ، وقد دهموا من ورائهم بعد أن تم النصر للمسلمين واستشهد فيها من استشهد من رجال رسول الله وعمه الشهيد حمزة وكانت واقعة مؤسفة مبكية كلما مرت على ذاكرة المسلمين تنهدوا لها وتأثروا ، وقد اشتهروا بشهداء أحد ، حتى وقف أبو سفيان وهو قائد المشركين من أهل مكة ، يومئذ فنادى : الحرب سجال يوم بيوم بدر .

فهلا كفت هذه الغلبة لقريش، وقد أخذوا ثأرهم على زعمهم عن الترة والثأر، وقد أسلموا بعدها وحسن إسلامهم، وجاهدوا مع رسول الله، وفى عهد أبى بكر وعمر وأبلوا بلاء حسناً، هل تبقى بعد هذا كله ترة أو ثار أو حقد؟ إن الذى يظن بهم هذا الظن السيء هو الموتور والحاقد لا غيره.

إن الأنصار لم يطلبوا مبايعة على ولا فكروا فيها وقتاً ما، ولو فكروا فى ذلك لتسرب جمع منهم إلى على وبايعوه، وهل ثبت أن عمر وأبا بكر وأبا عبيدة اعتقلوا الأنصار فى السقيفة، أو فى بيوتهم، وأوقفوا عليهم الحراس كيلا يتصلوا بعلى؟ لا. كل ذلك لم يكن وإنما كان الأمر بالعكس، فقد بايعوا كلهم عن رضى واختيار وكادوا يطئون رئيسهم سعداً من شدة الزحام على أبى بكر يبايعونه

وصول النبأ باجتماع الأنصار

تقول: السقيفة ما محصله — ذهب أبو بكر وعمر وأبو عبيدة إلى السقيفة وكان عمر مشغولا بأعظم أمر أى بجهاز النبى (ص) فلم يشأ أن يصغى إلى الأنصارى الذى أخبره باجتماع الأنصار فى السقيفة، ولكن الأنصارى أبدى اهتماما كبيراً فأسر إليه بالخبر ففزع عمر أشد الفزع، فصنع عمر بأبى بكر كما صنع الأنصارى به ففزع أبو بكر، فذهبا إلى مجتمع الأنصار فتبعهما أبو عبيدة فتماشوا ثلاثتهم إلى الأنصار.

أقول : نعم مافعلوا فهو أمر مهم لابد من حضوره والوقوف دون محاولة الأنصار لأمر ليس من حقهم ، وحقاً لولا هؤلاء الثلاثة لخرجت الخلافة من أيدى قريش ، وهذا من الحزم والعزم والهمم العالية ، أما أنهم لم يخبروا علياً أو غيره بالأمر فلم يكونوا فى حاجة إلى ذلك ، حيث كانوا مطمئنين من أنفسهم بأنهم قادرون على مناقشة الأنصار والمحاجة معهم فى أمر الخلافة ، وأنهم سيحولون دون إرادة الأنصار لمـــا لهؤلاء الثلاثة من كفاءة ومقدرة ووجاهة ، ولا سيما أبو بكر . انظر كيف خاطبهم بأسلوب استحوذ به على عقولهم وأنفسهم فانقادوا إليه طائعين ، وبايعوه برغبة صادقة ، ثم لم يرد هؤلاء الثلاثة أن يتجمهر الناس ويحصل ضوضاء وهياج فى البلد ربما يؤدى إلى ما لا تحمد عقباه .

وفعلا انحسم النزاع بهدوء وسلم من غير اضطراب ولا قلاقل تشوش الرأى العام ، فهو أوفق من أن يتجمهر القرشيون أمام إخوانهم الأنصار ، ويقع ما يقع على أن أبا بكر وعمر وأبا عبيدة لم يقدموا على هذا الأمر الخطير إلا لعلمهم جيداً أن الخلافة هى كائنة لأبى بكر لا محالة ، وهو الكفؤ الوحيد لها ، وأن الأنصار سوف يتنازلون له ويعترفون بأرجحيته وأولويته لذلك لم يريدوا أن يشوشوا على الجماهير بإعلان هذا الحدث فتموج المدينة عندئذ بسكانها بين هرج ومرج فهذا مما لا حاجة به .

وحقاً كانت هذه السرعة منهم بمحلها إذ لو تأخروا عن

الحضور ساعة لتم الأمر للأنصار وانتهى كل شيء ، ومن الصعب بعد ذلك إرجاع الخلافة إلى قريش ، فلو علم هؤلاء الثلاثة أن الخلافة منصوصة لعلى من قبل الرسول (ص) لما استبد بها أبو بكر دونه ، ولما بايعه الانصار وقريش وكيف يبايعونه وعلى بين ظهرانيهم وهو المنصوص عليه ؟

ثم لم يكن هناك أى تفاهم سرى بين أبي بكر وعمر كما تدعى السقيفة بل كان الأمر مكشوفا واضحاً بأن الخلافة لأبي بكر بلا خوف ولا وجل .

وأما تأسف عمر (رضى) عند وفاته لعدم وجود أبي عبيدة أو سالم مولاه حتى يبايع الناس أحدهما مع أن سالماً ليس من قريش فهذا غير صحيح . كيف يولى عمر سالما وهو يعلم أن الأئمة من قريش ؟ وقد استدل أبو بكر على الأنصار بهذا الحديث (الأئمة من قريش) ؟ فهذا النقل كذب لا أصل له عن عمر .

ثم لو صح أن علياً هو المرشح للخلافة أو المنصوص عليه كما تدعون وأن الناس علموا جميعاً بهذا التنصيص لما خص الأنصار بان عمر بهذا الخبر الهام وهو اجتماع الأنصار فى السقيفة دون غيره من أصحاب رسول الله . إذن كان القوم يعلمون جيداً أن أبا بكر وعمر محط أنظار الناس والمرجع الأول لامورهم وأحداثهم ، وهذا هو الواقع الذى لايقبل الشك .

تقول السقيفة فى حاشيتها : اجتمعت الأنصار بعد بيعة

أبي بكر فى محفل وعيروا هذين المخبرين بانطلاقهما إلى قريش لخطبا فرد عليهما الأنصار وخشوا عليهما وكل منهما قال شعراً .

أقول ليس لهذا الخبر صحة وأيم الله ولا أصل له وأن الأنصار جميعهم راضون فى بيعة أبي بكر بايعوا عن طيب نفس من كل خاطرهم لم يرجعوا عن بيعتهم ولم يعيروا هذين المخبرين قط ولم يصدر منهم أى شيء مما يشعر بندم أو أسف إلى أن توفى الخليفة ودلائل البشر والرضا عليهم مستمرة ظاهرة فلم يعصوا ولم يتمردوا ولم يخالفوا أبدا .

وإنما هذه أخبار رتبها المخالفون المبغضون ولكنها لا تأتى ولا تروى الغلة ، والأنصار بعيدون عن الفحش فى القول مبرؤن من كلام السوء وهم من أصحاب رسول الله الأخيار ، فهذه وصمة تريد أن تلصقها بهم فهم ليسوا ممن تعود لسانهم على الفحش والقذف والقذع فى الكلام كبعض الناس الطعانين السبابين .

النتيجـة

تقول السقيفة : نستنتج من سير الحادثة أن طريقة بيعة أبي بكر لم تكن طريقة اختيار بالمعنى الصحيح وتحقق معنى أنها كانت فلتة وقى الله شرها على حد تعبير عمر بن الخطاب .

أقول : بعد ماتكلم صاحب السقيفة عن كيفية اجتماع أبي بكر وصاحبيه فى سقيفة بنى ساعدة وما جرى بينهم وبين الأنصار من

مناقشة ، ومحاورة ، وجدل ، وعن أبي بكر وكيف استمال الأنصار ببيانه العالى وخطبته الجذابة وكلامه الحساس ووقعه فى نفوس الأنصار ، وكيف تغلب واستولى على قلوب هذا الجمع الحاشد الكبير بمعاونة صاحبيه الشهيرين الخطيرين عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح . وبعد كلام طويل أراد هنا بيان ما نتج من هذا الاجتماع ، فقال : نستنتج من سير الحادثة إلى آخر ما قاله .

أقول : أما قول صاحب السقيفة ، إن طريقة بيعة أبي بكر لم تكن طريقة اختيار بالمعنى الصحيح فغير مسلم لأن القوم اختاروه برضاهم وطوعهم من غير جبر ولا إكراه وبايعوه عن علم ووعى وفكر وسلامة عقل ولم يكن هناك تأثير خارجى ولا تهديد وإنما رأوا الأصلح والأوفق فى دينهم ومصلحتهم الحاضرة ، وقد هيأ الله لهم هذا الرجل القدير المدبر والإدارى المفكر ، فأدار البلاد حسب المصلحة ، ودبر الأمور على مقتضى الحكمة وكانوا مصيبين موفقين فى اختيارهم فأصبحوا منعمين مرتاحين فى ظل خلافته وحقوقهم محفوظة ، وعطاؤهم غير مقطوع فى أمن وسعادة حيث ساوى بينهم فى العطاء ، وعدل فيهم بالقسط وكان ينظر الجميع بنظر واحد ، لافرق بين عدنانى وقحطانى .

أما قولك : لم يكن من الأنصار وزير مع أمراء قريش كما وعدهم أبو بكر فليس هذا الاعتراض بوارد لأن أبا بكر أراد

بقوله ، نحن الأمراء ، وأنتم الوزراء ، أن الإمارة والخلافة فى قريش ، والوزارة فى الأنصار ، بمعنى أنكم يا معاشر الانصار وزر عندنا ، تؤازروننا ، وتساعدوننا ، وتشيرون علينا بما عندكم من رأى صائب وفكر سديد ، فأنتم بمنزلة الوزراء لانستبد بأمر دون مشاورتكم ومؤازرتكم ، فهذا معنى قوله الوزراء لا أنها وزارة رسمية ولها نظم ورواتب إذ ليس هناك وزارة ولا رئاسة ، وكان من واجب المسلمين كلهم مؤازرة الخليفة وكان الخليفة يستشيرهم فى الأمور الدولية الهامة ، فكان بمنزلة مجلس الشورى فى دول الإسلام قديماً ، وقد يختص الخليفة أحياناً ببعض أصحابه ويتخذه كوزير يستعين برأيه ويستفيد من تجاربه ، كما كان أبو بكر وعمر فى عهد حضرة صاحب الرسالة (ص) وكما كان عمر فى خلافة أبى بكر .

وقولك : إن بيعة أبى بكر كانت فلتة على حد تعبير عمر . فالجواب عنه قد تقدم منا فلانرى حاجة إلى إعادته . وعلى كل فقد تمت بيعة أبى بكر بالاتفاق وكسيت حلة الخلافة النبوية واكتسبت الحق الشرعى فكلامك من أوله إلى منتهاه لايشفى عليلا ولا يروى غليلا ، ولا يأخذ ثأراً ولا يطفى أواراً .

وأما قولك : إن الاجتماع كان على كل حال انقلاباً على الأعقاب ، فهذه نفثات مغلوب مكمود وقد تقدم تفسير الآية الكريمة منا فارجع إليه فلايجوز لك أن تحمل آيات الكتاب على

غير محلها ، وتفسر كلام الله على غير وجهه طبق هواك وغرضك على أن هذا لايجدى نفعا ولا يفيدك شيئاً .

تقول : مامعناه كان على هذا الاجتماع أن يكون (علىّ) فى مقدمة المجتمعين وعلى رأسهم ، ولما كان ينعقد الاجتماع ولايقرر فيه شىء من دون مشورته وموافقته .

أقول : نعم هذا رأيك الخاص ، وأنت فقط تقول هذا ، أما هؤلاء الرجال الذين كانحوا الأنصار وغلبوهم وحدهم فلم يروا مارأيته أنت ، وليس لهم رأى كرأيك ، بل رأوا أنفسهم أحراراً فى عملهم وتصرفهم ، وليسوا مقيدين بأمر أحد ولا نهيه ، وغير ملزمين ، ولا مجبورين ، ولا مفروض عليهم إعلام فلان وإخبار فلان بعد ماعلموا من أنفسهم الكفاية والكفاءة لهذا الحدث ، وقد كان ذلك فعلا ونجح .

تقول : كان هذا الاجتماع افتياتا على المسلمين ، ولم يكن مستندا إلى قاعدة إسلامية أو تصريح من الرسول .

أقول : قولك هذا إنكار للواقع ومكابرة لا يعبأ بها ، كيف وقد حضر هذا الاجتماع جميع الأنصار الأوس والخزرج وهم يشكلون القسم الأعظم من المسلمين ، والأكثرية الساحقة مع حضور المهاجرين أيضاً عدا الثلاثة ، وقد كان أبو بكر وعمر وأبو عبيدة يمثلون بدورهم هذا فى وجودهم ضمن هذا الاجتماع العام قبيلتهم قريشاً ، لأنهم قاموا مقامهم فى الدفاع عن حقهم .

والحصول على الخلافة التى ورثها من بعدهم من قريش ، وكان كلهم ممتنين من هذه المظفرية ، وحصر الخلافة فيهم وفى نسلهم إلى ماشاء الله ، ولم يتبين منهم أى سخط أو اعتراض ، أليس قد اكتفوا بغيرهم وأتتهم بسلام كما يقال : رب ساع لقاعد ، ولذلك قد أجمعوا واتفقوا على بيعة أبى بكر بكمال الرضا والشوق فمن أين جاء الافتيات يازاعم ؟ .

وأما قولك : لم يكن مستنداً إلى قاعدة إسلامية فقد أنكرت البديهيات . أليس هذا الاجتماع هو فى ضمن الإجماع من الصحابة على أمر . وقد عد من أصول الشريعة الإسلامية ، ومن القواعد المقررة فى أصول الفقه الإسلامى حيث كانت أصول الشرع والقواعد الإسلامية المرعية عن المسلمين هذه الأربعة : الكتاب والسنة ، والإجماع ، ثم القياس .

تقول : أو تصريح من الرسول . هل تريد أن الرسول من واجباته أن يصرح بوقوع كل حادث معين يقع بعده جزئيا كان أو كلياً ؟ كلا فإن الرسول قضى واجبه وأدى مهمته ، ووكل أمور الأمة إلى الأمة فيما يعود إلى أمورهم الشخصية أو العمومية ومايرونه من مقومات حياتهم الآتية ، على أن تكون وفق المصلحة وألا تكون مخالفة للتعاليم الدينية والنصوص الشرعية ، وألا تكون خارجة عن دائرة الآداب والأخلاق ، فلهم أن يجمعوا على أمر فيه صلاح وفائدة إلى أمتهم أو وطنهم ولهم أن يجتهدوا ويستخدموا

آراءهم وعقولهم فيما فيه سعادتهم ، وعون لهم فى مضمار الحياة حسب الظروف والأحوال . أتريد أن يصرح الرسول (ص) بهذا الاجتماع ويقول : ستجتمع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة ويعقدون مجلساً لانتخاب الخليفة ، وسيرشح سعد بن عبادة نفسه للخلافة ، ويبلغ هذا الاجتماع المهاجرين فيحضر أبو بكر وعمر إلى آخره ، ويقول : إن هذا الاجتماع صحيح لا يخالف قواعد الشرع ولا أمرنا وهكذا ؟ فإن هذا مما لا يكون .

تقول : وكذلك ماقرره الاجتماع لم يكن إلا قراراً خاطفاً تحكمت فيه العواطف فى المبدأ والمنتهى ، وليس فيه مجال الرجوع إلى النص .

أقول : لا نسلم لك ذلك لأن القرار الذى قرره الاجتماع ، صدر عن فكر وروية ومناقشة طويلة وحوار تبودلت فيه الآراء بحماس ، وألقيت الخطب ، وكانت مناظرة ومناضلة كل أدلى بحججه وبراهينه ، وكان ذلك بمحضر الأوس والخزرج ورؤسائهم وقد دافع كل وطالب بإلحاح حتى انتهى الأمر إلى الاتفاق على مبايعة أبى بكر خليفة ، وبعده تأيدت البيعة له فى المسجد ، ولم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلا رضخ وبايع وتمت البيعة ، وكان المجال واسعاً لو كان هناك نص أو وصية ، كيف وقد سمع بهذا الاجتماع والقرار كل أفراد الشعب وسكان البلد ، ولا سيما عند أخذ البيعة العامة فى المسجد ، أليس فى هذا سعة

وقت لمحاجة صاحب النص لهؤلاء المبايعين والمبايع له بالخلافة ؟

ثم لو كان هناك نص تعرفه الأنصار فلم لم ترجع إليه قبل هذا الاجتماع ؟ وكيف رشح نفسه للخلافة سعد بن عبادة ؟ وهل أن الأصحاب كلهم نسوا النص أو لم يعبأوا به ولا بصاحبه ؟ وهل سحرهم أبو بكر وعمر فلم يعودوا يفرقون بين فلان وفلان وبين الحق وضده ؟

وهلا ذكرهم علي بالنص وأعلنه فى هذا الجمع الحافل ليرجعوا إلى صوابهم بعد خطئهم ويفيقوا إلى رشدهم بعد ذهولهم .

تقول : ولا غرابة أيضا إذا لم يدافع احد عن النص على علي ابن ابي طالب وقد اندفع المجتمعون بتيار جارف لا يقف فى سبيله شيء .

أقول : لم تزل تكرر ذكر النص فى سقيفتك وأن أحداً لم يدافع عنه ولم يساعد علياً ولم يذب عنه ، بل اندفع الجميع بتيار جارف إلى البيعة لأبي بكر ، وهكذا من التشكى والتظلم فإنى بدورى لا أراه مناسباً ولا لائقاً فى حق علي وقد صورته للناس رجلا ضعيفاً لا حول له ولا طول ، والقوم عنه فى جانب وهو قد اتكل على النص ، وأن الناس عنه معرضون لا مدافع ولا معاضد كأنه غريب بينهم لم يعرفوه ولم يعترفوا بنصه واندفعوا إلى غيره يصافحونه على البيعة بشوق لا مزيد عليه ، وعلي بين أظهرهم يراهم ويرونه ، فمثل هذا يا صاحب السقيفة يجب ستره لا ذكره

فإن فيه حطاً من كرامة على ونقصاً فى قدره من حيث لا تشعر ، والأولى سدل الستار على ذكر هذا فإنه أبقى لكرامة على وأحفظ لمكانته ، على أن التمسك بالنص أو الوصية دليل العجز والوهن ولو أن علياً كان بارزاً فى قومه قويا فى صحبه ، أو زعيما خطيراً يحسب له كل حساب كما تدعى لما احتاج رسول الله (ص) إلى النص والوصية له ولكانت الخلافة تأتيه خاضعة منقادة كما أتت إلى أبى بكر بلا وصية ولا نص كما ادعيت فى سقيفتك بأنه لا نص لأبى بكر على الخلافة .

وأنا أعلم والناس أيضاً يعلمون لو أن لعلى نصاً ثابتاً لما تخلف عنه أحد من الأصحاب أبداً وما الذى يدفعهم عن على والنص له والوصية فيه ؟ وما كان ضرهم لو بايعوه وهو قريشى مثلهم وقريب رسول الله ؟

فمن هذا يتبين أن لا نص ولا وصية ، وأن الذين بايعوا أبا بكر بايعوه عن علم واختيار صحيح حر لا كما تزعم سقيفتك بأن هذا الجمهور أصبح لا يملك اختياره وتفكيره وشعوره بواجبه الدينى لأنه تكهرب بتيار تلك القوة السحرية .

فهذه مزاعم فاشلة واهية فمن الذى سلب اختيار هذا الجمهور وتفكير هذا الجمع الكثيف الغفير ؟ وإذا صح قولك ففيه اعتراف وشهادة بحق هذين الشخصين الكبيرين والشيخين الخطيرين وما لهما من تأثير على القوم وسيطرة بالفعل والقول وتسلط على إرادتهم

وعقولهم ومثل هذين ينبغى أن يليا أمر الأمة ، وتحق لهما الإمامة والإمارة .

تقول السقيفة : كان على مشغولا بجهاز النبي ولم يخرج إليهم إلا فى اليوم الثانى .

أقول لم يكن جهاز النبى (ص) يشغل عليا بهذه الدرجة ، ولم يستدع الجهاز وقتا طويلا يلهى عليا أو يشغله حتى أنه لم يسمع ولم يخرج إلا فى اليوم الثانى ولم يكن بيت رسول الله (ص) خارج المدينة حتى تتم البيعة فى السقيفة ، وتنتهى فى مسجد رسول الله وهو ملاصق لبيته (ص) وفيه على وبنو هاشم كما تدعون ولم يسمع بها أحد منهم . على أن جهاز النبى (ص) بدىء به قبل سماع أبى بكر وعمر باجتماع الأنصار فى السقيفة ، وقد اشتركا أيضاً مع على فى جهازه (ص) فلم يمض إلا وقت يسير وقد تم جهازه ، لكن عليا لما كان يعلم أن القوم متجهون نحو أبى بكر وعمر مشايعون لهما راغبون فيهما ، ولم يكن له إقبال عندهم فهترت همته وأخلد إلى السكوت ، ولو كان عنده نص أو يعلم أن له حزباً يؤيده ويسانده لما سكت وبايع مضطراً كما تزعمون ، وسواء عليه أكان مشغولا بجهاز النبى (ص) أم لم يكن ، وسواء بلغه الخبر أو لم يبلغه ماذا كان يصنع ؟ وماذا صنع لما سمع وعلم فى اليوم الثانى ؟ ثم هل بلغ هذا التكتم فى مثل هذا الحادث الكبير إلى حد لم يسمعه على ولا أحد من حزبه أو من بنى هاشم ؟ لا يصح هذا أبداً وماهذه إلا أعذار باردة .

يظهر من هذا أن حزب علي كان متشكلا من أفراد ضعاف قليلين جداً لا يقدر أن يركن إليهم أو يعتمد على قوتهم أو يكافح ويطالب بهم إن صح أن هناك أحزاباً ، والحقيقة ليست كذلك فلا حزب ولا أحزاب ، بل الكل حزب واحد متجه بكليته إلى أبي بكر وعمر ، اللهم إلا نفراً يسيراً من بني هاشم انحازوا بالطبع إلى ابن عمهم ، وأخيراً بايعوا بلا مهلة ولا توقف ، فانقادوا إلى مبايعة أبي بكر برغبة تامة وطاعة صادقة . نقول ولما بلغ عليا حجتهم على الأنصار لم يكتم نقدها فقال كما فى نهج البلاغة احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة .

أقول : لا ينبغي لعلي ولا يليق به أن يظهر للملأ ضعفه وإبعاده عن حقه بقوله : إنه الثمرة لتلك الشجرة ، ولكن غلب على أمره وهضم حقه ، ولم يراع القوم نصه ولا وصيته . وأظن أن هذه القولة من الرضي نحلها إلى علي فى نهجه الذى ألفه ورتبه ونسبه إلى علي ، والكثير فى هذا النهج منتحل ليس له أصل ولا من كلام علي ، بل لا يريد علي أن ينسب إليه مثل هذه العبارات مما يوهن سمعته ويقلل من كرامته وكتمانه أفضل من إعلانه ولكن أشياعه كتبوا كل شيء يريدون بذلك إعلان فضله وإعلام الناس عن منزلته ومقامه أو عن ظلامته وتأخره وغصبهم حقه ، وربما كان فى ضمن هذه الأغراض ما يمس كرامة علي أو يقلل من أهميته وشهرته من حيث لا يشعرون وقد شغلوا بهذه المدافعات

والاندفاعات وصرفوا أعمارهم فيها فأصبحت الشغل الشاغل لهم وتركوا ما هو أهم من هذا فهنا يصح أن يقال : تمسكوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة .

نقول : دعوا الناس إلى البيعة أشتاتاً ومجتمعين مستشعرين الخصومة ، بل الخوف أمام حزب على — ولهذا انتهزوا فرصة انشغاله وانشغال أصحابه بجهاز سيدهم ونستشهد بفحوى قول الطبرى الحاطب بليل . فأقول : ما أدرى أى حزب كان حزب على ؟ ومن هم حزبه إذ ذاك ؟

ولم لم يلجأ إليه ليرجع حقه ممن غصبه منه على زعمكم ؟ ولم لم يحارب بحزبه فيكون أعز له من هذا الخذلان والحرمان ؟ أليس هو الذى حارب بحزبه فى صفين والجمل ومع الخوارج لما كان حزبه قوياً ولم يتنازل عن منصب الخلافة وفيه حقن دماء المسلمين وتوحيد كلمتهم وجمع شملهم كما سكت فى أول الأمر وتنازل عن حقه كما تدعون خشية تفريق الكلمة ، وحفظاً لبيضة الاسلام بزعمكم .

وهل بلغ هذا الحزب من القوة حتى وقف أبو بكر خائفاً منه فانتهز هو ومن معه الفرصة الثمينة بانشغال على وصحبه بجهاز النبى (ص) فأسرعوا خفية متكتمين وفى غلس الظلام اكيلا يحس بهم على أو حزبه فيفسدوا عليهم أمرهم ويرغموهم على الانصياع لإرادتهم .

وهل كان هذا الحزب القوى البأس قد سقاهم حزب أبى بكر

الترياق ، أوسحروهم أو كان حزب علي غائباً عن هذه المدينة وفاته الطلب فسقط فى أيديهم ؟

أما استنتاجك من سياق كلام الطبرى فهذا لايقوم لك حجة إن هو إلا كلام رجل مثلك ناقل من غير ترو ولا تفكر وربما ذكر هذه العبارة لغرض مخصوص كما لا يخلو تاريخه أو حديثه عن أمثال هذا ، ومتى صحت حكايات المؤرخين كلها كأمثال الطبرى وأبي الفداء والامامة والسياسة وكثير غيرها من كتب التاريخ المغشوشة والملفقة والمنتحلة كلهم حاطب ليل إما قصداً أوسذاجة وغفلة ، والغالب أنها نقلت وسطرت فى كتبهم قصداً وبسوء نية ، فأصبحت هذه التواريخ خطراً على المسلمين وبلاء . فكم أزاغت عقائد وشوهت صفحات العظماء ولطختها بلطخة سوداء . ولاتقل كتب التفسير والحديث عنها أيضاً ، فأكثر أصحابها كذلك ، وقد فقدت الثقة من أكثرها وقل الاعتماد عليها ، وأصبح المسلم لايعول إلا على كتاب الله ومتنه فقط وعلى ما يطابق العقل والعلم ويوافق المصلحة العامة من الأحاديث والتواريخ .وليس علينا أن ننقاد ونستسلم لكل ما قيل استسلاما أعمى وانقياداً عاميا ، ولابد من فحص وتحليل لكل حديث وحكاية وتفسير آية ، ولا يجوز لكل مسلم أن يتلقى الأخبار والروايات سواء كانت فقهية أو أدبية أو اجتماعية أو سياسية إلا بعد عرضها على العقل الصحيح والعلم والفن ، ولاسيما رجالات الإسلام العظماء وكبار الأمة القدماء

وقلما نظرت فى تفسير أو تاريخ أو كتب الحديث أو الأدب إلا وجدت فيها نزعات أجنبية ، ودسائس وطعوناً شعوبية ، وأخباراً كاذبة ، ونقولا محرفة صدرت عن سوء قصد ونية .
والأغرب من هذا أنه ظهر قسم من الكتاب والمؤلفين فى هذا العهد الحاضر مجردين عن الثقافة والعلم حلا لهم أن يتاجروا ببضائعهم فيؤلفوا كتباً حسب نزعة المحيط وطبق مبدأ القوم وميولهم ولو كانت مخالفة للحقيقة بل وللدين والحق والشرع ليجزوا من ورائها بعض الدريهمات ، أو ليكسبوا بها هدية لقاء هذه الآثار والمؤلفات التى حررت من غير ضمير ووجدان أو من غير دين وإيمان وما أكثرها اليوم فى المكتبات بدأ بها واحد من أهل بلدة كذا فتبعه الآخر ونشط لها الثانى وانتبه لهذا المغنم الباطل الثالث وهكذا ، فكانت بدعة أثيمة وسراية فتاكة من قبل هؤلاء المذبذبين الذين تجردوا عن الورع بل وعن الدين كله كما بدأت هذه السيئة فى الزمن الأول فى عهد العباسيين والفاطميين والبويهيين وغيرهم . فقد جنوا على الدين وأهله وتحملوا إثم الأمة لعرض الدنيا الزائل . ولو أن لهم ديناً يردعهم وإيماناً أو وجداناً لما أقدموا على ارتكاب هذه المآثم فقد أضلوا الناس وأغووهم وشوشوا عقائدهم وزعزعوا إيمانهم فسوف يلقون غيا .

رأى على فى بيعة السقيفة

تقول السقيفة ما معناه ؟ وأقل ما يقال فى إنكاره هذا الحادث ، واستغرابه منه تخلفه ، أى على عن البيعة حتى ماتت فاطمة الزهراء وكان يعدها غصباً لحقه . على أن من الظلم أن نقول إن علياً تخلف عن البيعة وهو صاحب الأمر الذى يجب أن يؤتى إليه ، وإنما الحق أن نقول : إن الناس هم الذين تخلفوا عنه .

أقول نعم إن علياً قد تخلف لمدة وجيزة وكيف لا يقال تخلف عن البيعة ، وقد تمت من الجمهور الأعظم بالاتفاق إلا من نفر يسير يعد بالأصابع وهؤلاء أيضاً قد خضعوا وبايعوا عن طوع واختيار ولو لم يبايعوا لعد ذلك منهم خروجاً عن الجماعة وشقا لعصا الطاعة ، وربما اتخذت التدابير اللازمة فى حقهم من قبل الخليفة الشرعى الذى أصبحت طاعته واجبة والسمع لأوامره محتما ، فلا يحق لأحد من رعيته أن يتخلف عن بيعته ، وإلا اعتبر متمرداً يريد تفريق الكلمة . وحاشا علياً وهو الفقيه المشرع أن يتمادى فى تخلفه عن بيعة من أصبح خليفة شرعياً يجب السمع والطاعة له ، وعلى بعيد من أن يعكر صفو الأمة المحمدية ويفرق صفوف المسلمين فى عهد قريب من رسول الله مباشرة وهؤلاء الروم والفرس والمتنبئون يتحينون الفرص على الاسلام ليوقعوا بهم ونرفع علياً عن عده بيعة أبى بكر وخلافته غصباً كما تقول ،

لأن الغصب هو عبارة عن أخذ الشيء من المالك على سبيل التغلب من غير أنه على وجه يزيل يده عنه ، فهذا معنى الغصب لغة وشرعاً وكيف يذهب عن مثل على هذا . نعم أنتم تعتبرونه غصباً لاهو — فالخلافة لم تكن ملكا لعلى ولم يكن واضع اليد عليها حتى تعد غصبا أو مغصوبة — ومن المحتمل والمظنون أن عليا كان يأمل أن تؤتى له الخلافة وتعبر إليه ، ولذلك قد تخلف وتأخر عن البيعة فى بادىء الأمر ثم بداله أن يبايع عن طيب نفس وخاطر هادىء .

ولا يظن بعلى استغراب أو إنكار لهذا الحادث وهو يعلم أن الخلافة اختيار وانتخاب لاملك ولاارث فى الدور الأول أى فى دور الخلافة الراشدة .

قولك : على أن من الظلم أن نقول إن علياً تخلف عن البيعة وهو صاحب الأمر الذى يجب أن يؤتى إليه وإنما الحق أن نقول إن الناس هم الذين تخلفوا عنه . أقول هذه دعوى لاتعقل ولاتصح وكيف يقال لمن تخلف عن القوم كلهم وهو فرد واحد مهما بلغت منزلته إن الشعب بأسره وكافته قد تخلف عن هذا الفرد الواحد وهل ورد مثال لهذا فى الأمم البائدة أو الحاضرة . ائتنا به إن كنت من الصادقين .

وهل يظن بأن هؤلاء الجماهير الفقيرة — وهم خيار الأمة — قد ارتكبت خطأ باختيارها رجلا مجربا محنكا عركته الأيام واختبر

الأمور والأحوال وإن كنت فى ريب مما أقول فالفت نظرك بين العهدين تر الفرق جلياً .

قولك إن عليا هو صاحب الأمر الذى يجب أن يؤتى إليه . معارض ومنقوض بانحراف الصحابة عدنانيهم وقحطانيهم عن على وإعراضهم عنه ، ولو كان معلوماً ومسلماً لديهم بأنه صاحب الأمر لما تخلف أحد عن بيعته ، ولنازع على من تخلف عنه ، بل ولحاربهم كما حارب أهل صفين والجمل والخوارج ، وهل يظن بأصحاب رسول الله الأبرار أن يتفقوا على خطأ أو ضلال وهم هم .. كلا ثم كلا .

تقول : وبعد انتهاء البيعة العامة لأبى بكر خرج فى اليوم الثانى فقال لأبى بكر : لقد أفسدت علينا أمرنا ، ولم تستشر ، ولم ترع لنا حقاً كما فى مروج الذهب .

أقول : هذا من كلام صاحب مروج الذهب ، وقد خرج فى كلامه عن حدود الأدب ، فإن علياً قد تأدب بأدب الشرع والطبع فلا يتصور أن يخاطب خليفة المسلمين بعبارة لا تتناسب وأدبه ، وهو يعلم حقاً أن أبا بكر أجل من أن يفسد على مسلم أمره سواء كان كبيراً أو صغيراً ، بل كان يرعى حقوق الأمة كل الرعاية ، ويصلح أمور الرعية مهما كلفته وأثقلت عاتقه ، وهو بعيد عن الإفساد كل البعد ، والله يعلم المفسد من المصلح .

ولم يذكر التاريخ لنا عنه فساداً أو إفساداً فى جاهليته أو فى

إسلامه أو فى خلافته ، أما أعداء العظماء فيجوز أن يحملهم عداؤهم على ثلبهم حسداً لا غير ، وهذا الخطاب إنما يوجه لمن شاغب وأرجف ضد الخليفة المولّى من قبل الأمة أو بولاية العهد وسعى بالدعايات بين أفراد الشعب لإسقاطه بخلعه أو قتله ، فهذا ينبغى أن يخاطب بهذا الخطاب الجاف ، وهو قد أفسدت علينا على أن أبا بكر لم يفسد على علىّ شيئاً وإنما أخذها من الأنصار وصارت إلى قريش بحزم أبى بكر وعمر ولولاهما لم يذقها قرشى قط لا على ولا غيره ثم متى تمت البيعة لعلى حتى أفسدها عليه أبو بكر ؟

بل من الذى بايعه ومد يده إليه فجاء أبو بكر فأفسد أمره عليه أو ثناه عن البيعة ؟ أما قول على لم تستشر ولم ترع لنا حقاً فنقول : إن أبا بكر لم ير أنه من المحتم عليه أن يراجع علياً ويأخذ رأيه أو يستشيره فى أمر من الأمور مهما بلغت من الأهمية ولم يكن فى ذمة أبى بكر عهد وثقة بمقدساته أن لا يقطع أمراً ولا يعمل عملا إلا بعد استشارة على واتباع أمره ورأيه ولم يكن أبو بكر معية لعلى لا يصدر إلا عن رأيه . هذا وعلى يعرف مواضع الكلام فلا يتكلم جزافاً وإنما هذه تقولات نسبوها إلى على وهو برىء منها يريدون بها تخطئة أبى بكر .

ثم ما هذا الحق الذى لم يرعه أبو بكر ؟ أهى الخلافة — وقد تكلمنا عنها — أم الاستشارة — وقد أوضحنا رأى أبى بكر فيها — أم الإسراع إلى السقيفة وقد بينا ضرورة المسارعة إليها ولو تأخر أبو بكر

لحظة لفاتت الخلافة من قريش ، فلضيق الوقت وحراجة الموقف اضطر أبو بكر إلى المسارعة وعدم استشارة أحد من قريش لاعلى ولاغيره ، وقد نجح وفاز ، وأما اعتراف أبى بكر فى جوابه لعلى بقوله بلى ولكن خشيت الفتنة كما تدعى السقيفة فليس لهذا الجواب شىء من الصحة قطعاً ، وكيف يعترف أبو بكر وهو إقرار منه على نفسه وهل يفوت على أبى بكر وهو داهية قريش والماهر بأساليب الكلام هذا الجواب الذى لايصدر من أضعف الناس فكيف بالخليفة ذى السلطان والقائد الأعلى المطاع الحازم القوى ! يخضع ويقر لشخص هو من رعيته فهذا بعيد جداً بل لايعقل ثم ماهى الفتنة التى خشيها أبو بكر — تقول إن عليا قال فى خطبة له يعنى بعد وفاة أبى بكر طبعاً عن هذه الحادثة فلما قرعته بالحجة فى الملأ الحاضرين هب كأنه لا يدرى ما يجيبنى به .

أقول هذه القولة منتحلة منقولة نحلها الرضى فى نهج البلاغة علياً وصاغها من عنده تشفياً ولم يدر أنه أخل بسمعة على حيث عد هذا القول حجة قرح بها أبا بكر ، وليت شعرى أية حجة هذه الحجة الوهمية التى قرع بها السلطان فى سلطانه وهل هى إلاقولة أفسدت علينا أمرنا واستأثرت ولم ترع لنا حقاً ؟ أهذه حجة أخذت على أبى بكر حواسه فلم يدر عماذا يجيب وهى بصيغتها أشبه بالعتاب منها بالحجة ثم ماذا أفادت وأعقبت هذه الحجة القوية ؟ هل غيرت سير الحكم أو أسقطت الخليفة أو بدلت أفكار الشعب عليه ؟ لا كل ذلك لم يكن .

ثم أليس قد قيلت هذه الخطبة بعد وفاة الخليفة ولو كانت صحيحة لقيلت فى حياته ولشاع بين الملأ الحاضرين بأن الخليفة أقرع بحجة قوية أحرجت موقفه وأفحمته ولعرف الخليفة المسلط كيف يقابل هذه الخطبة المزعومة ، ونحن بدورنا ندافع عن كرامة على فى مثل هذه التقولات .

تقول إن أبا بكر وعمر لم يخبرا أحداً غير أبى عبيدة الذى تبعهما وحده حيث الاجتماع السرى أى فى السقيفة مع أن مثل الإمام أولى الناس بتدارك هذا الموقف الدقيق إن كان فى اجتماع الأنصار خطر على الإسلام أو فتنة والأمور جارية على ظواهرها الطبيعية بين الإمام وبين هذه الجماعة .

أقول : نعم إن القوم لاينكرون منزلة على فيهم ليست بالمقام الأول الذى تصوره بأنه أولى الناس بتدارك هذا الموقف الدقيق الخطر ولو كانت له هذه المنزلة الأولى والأمور جارية على ظواهرها بينه وبين هذه الجماعة كما تقول لما تخلفوا عن بيعته وقدموا غيره عليه وأخروه إلى أن أتته نوبته الرابعة وقد ظهر للناس أن أبا بكر هو الحاسم لهذه المواقف الدقيقة الحرجة ، والثابت ثبات الجبال فى المقامات المهمة الخطيرة والممهد للأوضاع المرتبكة كما شوهد فى وقفته يوم توفى رسول الله والمدينة قد اضطربت وماجت بسكانها ، وثباته يوم السقيفة وحزمه فى بعث أسامة ، وتصلبه فى حرب أهل الردة والمتنبئين وإخماد ثورتهم ،

والقضاء عليهم ، وتوجيه همته إلى حرب الروم والفرس وإعلاء كلمة الله وبعثه البعوث وسوقه الجيوش بهمة لا تعرف الكلل . وقد تدارك أبو بكر هذا الموقف الدقيق الذى أشرت إليه ياصاحب السقيفة بعقله الراجح وسياسته الحكيمة بأسلوب جذاب وبيان بليغ وافق المحز وتمت البيعة بكل هدوء وسكينة .

وقد سئل بعض الأصحاب الذين شهدوا عهد أبى بكر وأدركوا عهد على عن سيرتهما فى خلافتهما فقالوا : الفرق بينهما بعيد والبون شاسع إذ كان دور أبى بكر فى تقدم ودور على فى تأخر .

ثم لو كان على هو أولى الناس بتدارك المواقف الدقيقة لتدارك مواقفه البسيطة بحكمته وسياسته وأزال الخطر المدلهم الذى حاق بالمسلمين فى خلافته ولحسمها قبل استفحال الخطر والخلاف . فأين إذن الأمور التى كانت جارية على ظواهرها الطبيعية بينه وبين الجماعة ومنهم من تخلف عن بيعته ومنهم من نقض بيعته ومنهم من خرج عن طاعته وحاربه . تقول : ثم التأريخ يحدثنا أنه لم يبايع إلا بعد أن صرفت عنه وجوه الناس بموت فاطمة الزهراء (رضى) وكم تذمر وتظلم من دفعه عن حقه مثل قوله فى النهج : مازلت مدفوعاً عن حق مستأثراً على منذ قبض نبيه (ص) حتى يوم الناس هذا ، ويشير بهذا اليوم إلى عصره فى خلافته . أقول : إن ما يحدث به التأريخ يدل دلالة صريحة على أن علياً (رضى) لم يلاق وجهاً من الناس ولا بشراً ولا كانوا يرغبون فى معاشرته

وقربه فضلا عن إمامته وتوليته بل كانوا نافرين مبتعدين عنه قد جفوه وهجروه وإنما كانوا يدارونه ويجاملونه لكرامة بنت رسول الله فاطمة عليهم ، ولذا لما توفيت أشاح الناس بوجوههم عنه ، كما أن تظلمه وتذمره من دفعه عن حقه إعلان بين بضعفه عن المناضلة عن حقه المغصوب وإرثه المنهوب !! كما قال الرضى فى نهجه ، فصبرت وفى العين قذى وفى الحلق شجى أرى تراثى نهبا ، وقوله : فوالله ما زلت مدفوعاً عن حق منذ قبض نبيه (ص) حتى يوم الناس .

وهل ترى يا هذا أن الرضى أحسن إلى على (رضى) فى نسبة هذه الكلمة إليه أم أساء حيث مثله للناس رجلا مغلوباً على أمره مدفوعاً عن حقه وقد صبر على حيف . وأنا لا أظن أن علياً يسمح لكم بهذا ولا يرتضيه ولا يستحسنه ثم هذا يتنافى مع قولك مع أن مثل الإمام أولى الناس بتدارك هذا الموقف الدقيق إن كان فى اجتماع الأنصار خطر على الإسلام أو فتنة والأمور جارية على ظواهرها الطبيعية بين الإمام وبين هذه الجماعة .

كما يتنافى ويتناقض مع قول على رضى الله عنه فى نهج الرضى ، وقد أقسم أما والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ، إلى قوله لألقيت حبلها على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس أولها .

فما هذا التزهد مع هذا التظلم والتذمر والتشكى ؟ وبعد هذا فأين قولك : وليس على ممن يداجى أو يخاتل ، ولا ممن تأخذه فى الله

لومة لائم ، ولذلك هم كانوا يفرون من التحرش به قبل تمام البيعة خوف إعلان خصومتهم . فما هذا التفاوت والتباين فى كلامك وفى كلام الرضى . فليتأمل القارىء الواعى ، وليتجرد عن العصبية وليقارن بين الصدق والكذب والحق والباطل .

الموقف الدقيق

تقول : يظهر للمتتبع أن الإمام كان يرى وجوب مناهضة القوم حتى يأخذ حقه منهم ، فانظر إلى موقع كلمته : لسقيت آخرها بكأس أولها ، فإنه يريد أن يقول : إن زهدى بالدنيا يدعو إلى أن أترك حقى فى المرة الأخيرة كما تركته فى المرة الأولى ، ولكن الفرق كبير بين الحالين ، فنى الأولى لم تقم عليه الحجة فى القتال لفقدان الناصر دون هذه المرة فلايسعنى أن أعرض عنها .

وأصرح من ذلك قوله : لو وجدت أربعين ذوى عزم منهم لناهضت القوم . وفى التأريخ مقتطفات تؤيد ذلك ، فنى اليعقوبى: أن أصحابه الذين كانوا يجتمعون إليه طالبوه بمناهضة القوم وتعهدوا بالنصرة وكأنهم ظنوا أن قد بلغوا العدد المطلوب ٤٠ ذوى عزم ، فقال لهم اغدوا على هذا محلقى الرءوس ، وهو يريد أن يرميهم بأنهم لم يبلغوا المنزلة التى تقام بها الحجة فلم يغد عليه إلا ثلاثة نفر ، ويقول فى خطبة أخرى : فنظرت فإذا ليس لى معين إلا أهل بيتى ، فضننت بهم على الموت . هذا كلام السقيفة .

أقول : إن قولك إن الإمام كان يرى وجوب مناهضة القوم

حتى يأخذ حقه منهم ، فما ندرى إذا كان واجباً عليه ومحتم فلم لم يناهض القوم ؟ وقد ترك واجباً عليه ، والواجب طبعاً إما أن يكون شرعياً فتاركه آثم ، أو عقلياً فتاركه ملوم غير معذور ، ومسئول أمام الله وأمام الأمة ، وهناك واجب اجتماعى أيضاً وتركه يخل بحقوق أمته ، ويفوت عليهم مصلحتهم وسعادتهم إذا سلم حقه لغيره وسكت عن المطالبة به ، كما يخل بحقه وديانته ، ولكن علياً ضن بأهل بيته على الموت فترك ولم يبخل بالناس غيرهم على الموت لو ناصروه ، أو أنه ترك حقه زهداً بالدنيا كما تقول السقيفة .

وعلى كل فقد ترك واجباً عليه ، وهو محاسب من قبل قومه وشعبه عن قعوده عن حقه وحق المسلمين وحق أهل بيته ، بل وعن حق نص نبيه حيث أهمله ولم يسع إلى تطبيقه وتنفيذه لأنه خشى الموت على أهل بيته ، ولكن الموت هنا أفضل من الحياة إذا هضمت حقوق الشخص وأهينت كرامته .

وقولك فانظر إلى موقع كلمته . لسقيت آخرها بكأس أولها . فإنه يريد أن يقول : إن زهدى بالدنيا يدعو إلى آخره . فإنه قول غير مطابق للواقع ولامتناسق مع الكلام السابق وهو قولك : ولئن فرض أنه سكت هذه المرة فإنه لم يترك الدعوة إلى نفسه واستنكار حادث السقيفة ، وإن بايع بعد ذلك فلم يبايع عن طيب خاطر واطمئنان إلى الوضع ، وهو الذى يقول : فصبرت وفى العين قذى وفى الحلق شجى أرى تراثى نهباً . كما لا يتفق أيضاً مع قولك

الآتى : وفى كل هذه المدة ، أى ستة الأشهر ، هو جليس بيته لم يشترك فى جماعة ولا جمعة ، ولا أمر ولا نهى ، ولم يسمع له صوت فى حروب الردة ، وأكثر من ذلك كان يطرق أبواب الأنصار وأهل السوابق ليلا حاملا معه فاطمة والحسنين يدعوهم إلى نفسه ويذكرهم عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم تقول : فلا ينكر التاريخ اجتماع أصحابه عنده طيلة أيام انعزاله . وقولك : عن زوجته فاطمة (رضى) وقد جاهدت معه فى هذا المضمار جهاداً له الأثر فيما بعد ، ولا ننسى خطبتها البليغة التى يرن صداها إلى اليوم . فأقول : هل فى نقلك هذه الأخبار صحيحة كانت أو غير صحيحة فضيلة لعلى (رضى) ، كلا بل السكون عنها أفضل وأشرف وأرفع لمنزلة على وزوجه الزهراء ، فإنه رغم هذه المحاولات والدعايات منهما ، والخطب البليغة ، ودق أبواب الأنصار فى بيوتهم وطرقها ليلا ، وقد واصلا الليل بالنهار وسعيا سعياً حثيثاً لتغيير الوضع فلم تجب دعوتهما ولم يظفرا بمطلوبهما ، وحاشاهما قد فشلا بجهادهما حتى توفيت بنت رسول الله ، فقاطعه الناس وأدبروا عنه فاضطر عند ذلك إلى مبايعة أبى بكر حيث لم يجد من يناصره إلا ثلاثة أنصار من مجموع مائة ألف أو يزيدون على حد تعبيرك فى غدير خم . وأظن أن هذه النقول ملفقة على على وزوجته الكريمة الشريفة أن تنزل إلى هذا الحد فتطرق أبواب الأنصار ليلا مع ولديها وزوجها متجولة فى محلات

الأنصار أو تقف تخطب فى المجتمعات تدعو الناس إلى مناهضة الخليفة وحكومته ليحل محله زوجها على، وهى لا بد تعلم ولا يخفى عليها وعلى زوجها أن فى هذه الدعاية والسعاية تحطيما للجامعة الإسلامية والدولة القائمة، ولا تنحل القضية ولا تهدأ الحالة إذا صح أن تهدأ، إلا بعد حروب دامية، وإراقة الدماء وهتك الحرمات الإسلامية وتمزيق شمل المسلمين. أهذا هو الذى أمر به أبوها الرسول الأكرم، ولكن الله سلم فلم تسمع لها كلمة وأحاط الله المسلمين بحفظه وعنايته. كيف وقد كانت دولة الإسلام فتية وقد تحفز لها الأعداء من كل جانب وربما كانت العاقبة وخيمة وسيئة، ثم ألم تقرأ فاطمة (رضى) وزوجها على قوله تعالى: «والله يؤتى فضله من يشاء»، و«يختص برحمته من يشاء»، و«قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا» وقد شاء الله أن يتولى الخلافة أول واحد هو أبو بكر وقضى به من الأزل، وإذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه فالله تعالى هيأ أسباب الخلافة لأبى بكر فكان عين الحكمة والصواب.

ولنرجع إلى دعوى الزهد فنقول: أهذا فعل الزاهد بالدنيا التارك لحقه وهو قد سعى بكل جهوده مكلفاً مرغماً زوجه الطاهرة المحتشمة مع طفليها اللجوء إلى أبواب الأنصار والاستعانة بهم والتوسل إليهم لإرجاعهم إلى جانب زوجها ومبايعته بالخلافة، وتقضى بيعة الخليفة الأول والتشبث بكل

ما لديهم من وسيلة سلمية أو عدائية . أضف إلى ذلك زعمك ترك علي لصلاة الجمعة والجماعة فصار حبيس بيته وقد قاطع الناس ولم يشترك معهم فى أعمالهم ولم يزاول أى عمل من الأعمال النافعة للدولة القائمة بل للمسلمين ومصالحهم العامة . أفبعد هذا كله يصح أن نسمى قعوده زهداً بالدنيا حتى دعاه إلى ترك حقه والمطالبة به كما زعمت ؟

ثم إذا زهد فى المرة الأولى فلم يزهد بالدنيا فى المرة الثانية ويتنازل عن حقه كما تنازل فى المرة الأولى ، والزهد بالدنيا واحد فى جميع أدوار الزاهد .

يقول علي ولكن الفرق كبير بين الحالين ففى الأولى لم تقم الحجة علي فى القتال لفقدان الناصر دون هذه المرة .

أقول فى قوله هذا ، دليل على أن تركه لحقه فى المرة الأولى لم يكن ناتجاً عن زهد بالدنيا بل لقلة الناصر ، وإلا لهددهم بالحرب ولحاربهم فعلا مهما أدت إليه الحالة . وبناء على هذا البيان أصبح قولك أن عليا بايع أبا بكر خشية تفريق الكلمة ، وحفظاً لبيضة الإسلام ، مغايراً لقول الإمام حيث صرح بكلمته هذه أنه ترك القتال والخروج على الخليفة لقلة الناصر ، أو بالأخرى لفقده كما قال وحارب فى المرة الثانية لوجود الناصر على إثارة الحرب . على أن الحرب فى المرة الثانية لم يكن مضطراً إليها لو عالج الأمور بصورة سلمية ، ولكفته عن إعلان الحرب على معاوية واشتباك المسلمين

فيما بينهم مجاناً بلاعوض ، وقد وقى الله شرها فى المرة الأولى وحفظ كيان الأمة الأحمدية وهى لاتزال فتية فى عنفوان شبابها مترعرعة لم تقو بعد أوصالها . فالحمد لله على ذلك .

ثم أين ذهب حزبه الذى كان يخافه أبو بكر حتى أسرع إلى السقيفة بتكتم كيلا يحس به الحزب الجبار كما زعمت سابقاً ، وهل هذا إلا تهافت وتساقط ثم أين ذلك الزهد بالدنيا مع قوله : لو وجدت أربعين ذوى عزم لناهضت القوم .

ومن كان لايجد من قومه أربعين ذوى عزم كيف يعقل أن أبا بكر وجماعته كانوا يفرون من التحرش به خوف إعلان خصومتهم كما ادعيت قبلا أليس هو الذى يقول وهو أصدق منك بقوله واعلم منك بوضعه : فنظرت فإذا ليس لى معين إلا أهل بيتى فضننت بهم على الموت .

كما أن تاريخ اليعقوبى الذى نقلت أنت عنه على طريق الاستدلال يقول إن أصحابه الذين كانوا يجتمعون إليه طالبوه بمناهضة القوم إلى أن قال : فلم يفد عليه إلا ثلاثة نفر ، وهذا نص صريح بأن لاحزب له يركن إليه أو يأخذ بساعديه فكيف نخشى منه الفتنة كما ذكرت فى جواب أبى بكر عنه بقوله :

بلى ولكن خشيت الفتنة وأى حزب هنا حتى يخشى أبو بكر منه الفتنة فجواب أبى بكر إذن تنحيل مصنوع ليس بوارد ولا أصل له ولا نتكلم به .

وعلى فرض أن لعلى حزبا بلغ أربعين عضواً ، ماذا يصنعون تجاه حكومة ذات جيش مسلح ومدرب قضى على أهل الردة وعلى جيش المتنبئين الوافر العدد والعدة من ذوى البأس والنجدة ؟ ثم كيف يسوغ لعلى قتالهم وهى حكومة إسلامية شرعية تعمل بكتاب الله وسنة رسوله وقد استتب الأمر لصاحبه بالبيعة الصحيحة العامة ؟ فهل بعد هذا إلا خروجا عن طاعة الإمام وخرقا للإجماع والله تعالى يقول :

« أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم »

إذن ثبت من نقولكم هذه أن عليا كان يحاول القيام على الخلافة وقد بذل جهوداً وسعياً متواصلا ولكن الظروف لم تساعده على ذلك ، ولم يجد من يشترك معه فى خوض هذه المعركة العدائية لغرض تحويل الخلافة إليه لاغير . ولو نفرض ونقدر أن الفرص سنحت لعلى ووثب على الخلافة وكان ولا بد أن تسفك دماء وتحدث معارك دامية تمتد سنين، ويقل عدد المسلمين ، وتضعف قوتهم أو تبيد من الوجود من يصبح المسئول عن هذه الدماء التى أريقت والنفوس التى أزهقت فى سبيل الإمارة والملك؟ وليت شعرى من هو المتحمل لديات هؤلاء القتلى ؟ ومن الذى يعيل أطفالهم وأراملهم ؟ أيلجأون حينذاك إلى الفرس أو الروم أعداء العرب والمسلمين ؟ .

ثم إن علياً فى المرة الثانية لم يقاتل شخصاً نازعه الخلافة

أو بويع له بها حتى حاربه عليها، وإنما قامت الحرب بينهما لأسباب غير الخلافة، وهي المطالبة بدم الخليفة الثالث عثمان وإجراء القصاص على القاتل ليس غير ، وبامتناع على عن إجابة طلبهم وهم أولياء القتيل — وقعت هذه الحروب الأهلية الداخلية .

تقول : والتاريخ لاينكر على كل حال أن علياً مع الحق والحق مع على ، فلا يمكنه أن يتهمه بالحيدة عن طريق الحق إذا اعترف بهذا الرأى منه ، والتاريخ يريد أن يصحح ما وقع يوم السقيفة الذى لايصح من دون رضى صاحب الحق وموافقته .

أقول : قد تقدم الكلام على هذا مشبعاً فلا نرى لزوماً إلى التكرار وقد بينا فى محله ما به الكفاية فارجع إليه إن شئت أيها المدعى

وقولك : يريد التاريخ أن يصحح ماوقع يوم السقيفة إلى آخر مقالك . أقول : إن كان التاريخ يقصد به انتخاب أبي بكر خليفة فهو صحيح بنفسه من غير أن يصححه التاريخ، إذ ليس لأحد من الناس حق خاص بالخلافة حتى تتوقف صحة البيعة والخلافة على رضاه وموافقته ؛ لأن الخلافة لم تكن ملكا لأحد ولا إرثاً عن مالكها آنذاك حتى تصبح حقاً ثابتاً له بحيث تتوقف صحتها على رضاه وموافقته؛ بل أبو بكر وعمر وعلى وعم النبي العباس وعبدالله بن عباس وغيرهم سواء فى استحقاق الخلافة، غير أنه يختار لها الأجدر والأرجح والأقدر على إدارة شئون الأمة وتدبير المملكة . هذا ما نعرفه ويعرفه غيرنا أيضاً . نقول : وعلى بين أمرين لا ثالث لها : إما المغامرة بما عنده من أهل بيته ، وإما الرضوخ للأمر الواقع .)

أما الحالة الأولى ففيها خطر على الإسلام لا يتدارك ، فإنه إذا قتل هو وآل بيته ارتفع الثقل الثانى من الأرض ، وهو عترة الرسول ، وافترق عن عديله القرآن الكريم ، وهناك الضلالة التى التى لاهداية معها ، وقد قال النبى (ص) « لا تضلوا ما إن تمسكتم بهما ، أو لن يفترقا حتى يردا على الحوض » .

وأما الحالة الثانية فإن فى الصبر على هضم حقوقه إضاعة لوصية النبى (ص) وتعطيلا لنصبه إياه إماماً وخليفة من بعده ، ثم إنه استسلم للقوم وبايع كما بايع الناس بالآخير حفظاً لبيضة الإسلام ، فصبر كما قال :

فرأيت الصبر على هاتا أحجى وطوى عن الخلافة كشحا

أقول : إن الحالة الأولى قد تكلمنا عنها ، وفندنا الروايات التى استدللت بها ، وبينا الروايات الصحيحة المعقولة والمقبولة ، فلا لزوم للتكرار والإعادة . قولك : وبايع كما بايع الناس حفظاً لبيضة الإسلام . فأقول نعم مافعل ، وأحسن فيما أتى سواء أكان اختيارياً أو اضطرارياً ، لأن فيه حفظ وحدة المسلمين وكلمتهم كما تقول ، ولو كان فى ذلك هضم حقوقه ، وإضاعة الوصية وتعطيلها كما تدعى ا .

أما قولك : لأنه لو نهض فى وجه القوم مع قلة الناصر ، وحسد العرب له ، وتراث قريش عنده ، لكان المغلوب على أمره ، ولربما لا يحفظه التأريخ إلا باغياً بغى على الدين كأصحاب الردة فقتل (بسيف الإسلام) وأضيع مع ذلك النص على خلافته .

فأقول : هذا مما لا نوافقك عليه ولا نقبله منك ، كما لا نقبل استخفافك بقتل أهل الردة من قبل الحكومة الشرعية ، كما مر البحث مفصلا .

تقول : فقتل (بسيف الإسلام) مستهزئاً حيث وضعتها بين قوسين ، تشير بها على الهزؤ والسخرية هازئاً بما قيل فى قتلهم بأنهم قتلوا بسيف الإسلام . وحقاً لقد قتلوا بسيف الإسلام رغم أنف الساخر والعدو الماكر . ثم إن علياً (رضى) أعقل من أن يرمى بنفسه فى هوة عميقة مهلكة لا يحمده عليها القوم بل الشرع أيضاً ويصبح عندئذ كما تقول : نسياً منسياً أو باغياً خرج على الخليفة الشرعى ، أو مخاطراً بنفسه وأهل بيته من غير جدوى ، وذلك لقلة الناصر فقط . وأما قولك لحسد العرب له وثأر قريش عنده فغير صحيح ولا نسلم لك به وقد سلف منا الكلام على هذا ممتعاً . تقول : وقد رأيناه مع بقائه حياً وانتهاء الأمر إليه بعد ذلك كيف غمط حقه وأعلن سبه .

أقول : لم يغمط حق على أحد فى نوبته ولكن الفتن التى أصابت المسلمين بسبب قتل عثمان ووجود القاتلين وإغماض العين عن عقوبتهم وتأخير حكم العدالة فيهم هى التى أدت إلى مناهضته وعدم التسليم لحكمه . أما إعلان سبه فغير صحيح وكل من نقل هذا أو حكاه أو رواه فكاذب مفتر يريد أن يوقع العداوة والبغضاء بين المؤمنين ويوغر صدور المسلمين بعضهم على بعض

والسب ليس من شيمة الكرام ، ولا يخفى أن الصدر الأول يتحاشون عن السب وهم قريبو عهد بالإسلام وقد تأدبوا بالآداب الإسلامية وتخلقوا بالأخلاق العربية المتينة العالية وهم أكبر نفساً من أن يسبوا أحداً لأن السب سلاح المغلوب والضعيف وهم ملوك الأرض وقادة الأمة وسادات العرب وقد قبضوا على صولجان الملك فما الحاجة الدافعة لهم إلى السب أو السلب . وقد راجت هذه الفرية على السلف وهم براء منها ورووها وتناقلوها حتى أنهم أثبتوها فى التواريخ وهى يشهد الله كذب وافتراء والعجب من الخواص والمتسمين بسمة العلم كيف يطمئنون إلى هذه الأقاصيص المدسوسة الموضوعة ويغترون بالناقل أو الكتاب ويؤكدون ثبوتها بأن الخليفة عمر بن عبد العزيز رفعها وأنه رد المظالم ومن جملتها فدك التى وضعها أبو بكر الصديق فى بيت المال واعتبرها من أموال المسلمين ومضى على هذا الخليفة الثانى والثالث حتى الخليفة الرابع على أيضاً أقرها فى بيت المال ولم يردها إلى بنى هاشم وهو أولى بالرد لبنى عمه ولأولاده . فهذه حكايات مرتبة رتبها الغرباء على العرب الاقحاح خصوصاً والمسلمين عموماً لإيقاد نار الفتنة .

تقول : وقد أشار على إلى ذلك فى كلامه لعمه العباس وأبى سفيان لما طلبا بيعته إذ قال لهما أفلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح .

ثم قال : ومجتنى الثمرة لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أرضه حقاً لا ينهض فى هذا الموقف إلا من لا يبالى إلا بالحرص على الملك ومطاولة النـاس مهما كانت النتائج على الدين والصالح العام . وعلى أحرص على الإسلام من أن يغرر به لأمر يقول عنه : إنه ماء آجن ولقمة يغص بها آكلها ، ولا يساوى عنده نعله التى لا تعدل درهما إلا إذا كان يقيم حقاً أو يدحض باطلا . ولذلك ينصح الناس فى كلامه الذى أشرنا مع العباس وأبى سفيان بحثانه على قبول البيعة .

أقول : لقد صدق على فى قوله، فإن من لا جناح له ولا مناصر ولا معين كيف يقوى على النهوض ؟ وإذا أراد النهوض فقد غرر بنفسه وألقاها فى المعاطب ويصبح غير معذور .

قوله : أو استسلم فأراح ؛ يريد على بهذا أن أبا بكر أفلح ونجح لأنه صاحب جناح وقوة ، وأما هو فلما فقد الجناح والمساعد ، فقد استسلم إلى بيعة أبى بكر وسلم ، وأراح نفسه وأهل بيته . وهذا الـكلام بضمنه رد عليك ياصاحب السقيفة ودحض لمدعاك حيث ادعيت أولا غيره ، ونسبت إلى على خلافه ، ولـكن علياً أصدق منك فى قوله ، ولاشك فى ذلك ، ولذلك قال : ومجتنى الثمرة لغير وقتها كالزارع بغير أرضه ، وقد صدق فإن من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه ، كذا فى أصول الفقه . أما قولك : حقاً لا ينهض فى هـذا الموقف إلا من لا يبالى

إلا بالحرص على الملك ، ومطاولة الناس مهما كانت النتائج على الدين والصالح العام ، وأمير المؤمنين أحرص على الإسلام من أن يغرر لأمر يقول عنه إنه ماء آجن ونعمة يغص بها آكلها ، فهذا تأويل بعيد ، وتفسير لا يتماشى مع كلام علي ، فهو أراد ما بيناه من أنه لا يصح لمن لا جناح له ، ولا نص ، ولا حزب ، يرتكز عليه ويركن إليه ، ولا وجه أيضا له عند قومه وصحبه ، أن يطلب أمراً خطيراً لم يحن وقته ، ولم تأت نوبته ، وعليه أن يسلم ويستسلم لصاحب الجناح والقوة ، ويريح نفسه من عناء كبير لا يأتي بخير وليس من ورائه نتيجة مرضية ، وهذا قول حكيم عاقل يقدر الأشياء ويعرف أوقات الطلب ولذلك قال : ومجتني الثمرة لغير إيناعها كالزارع بأرض غيره حيث يحرم من الانتفاع بها ، فهذا المعنى هو الذي يتناسب مع شأن علي . وتفسيره بقولك حقا لا ينهض في هذا الموقف إلى آخر كلامك . يخالف ما بينته سابقا عن سعي علي ليل نهار مع زوجته وولديهما مع طرق أبواب الأنصار وتأخره عن البيعة سته أشهر ويتمنى لو كان له من حزبه أربعون من ذوي العزم ، وتذمره وتظلمه وحرصه على الخلافة كما تقدم ذكره آنفا .

* وقولك : أمير المؤمنين أحرص على الإسلام من أن يغرر به لأمر يقول عنه إلى آخره .

أقول : نعم هذا هو الأجدر بعليّ والأولى به ، وهو كلام حق

أماما تقدم مما نسبته أنت إليه مع الرضا أيضاً فهو منكما لا منه لأنه لا يأتلف مع هذا ولا يليق بدين على وديانته صدوره منه — فهو يعلم الله — متقول عليه وليس من شأنه و منزلته أن يثير الناس أو يحركهم على الفتنة ويسوقهم إلى الثورة على الخلافة مع أن المصير مجهول قد لا ينجح فى قيامه وحركته فعندئذ يعتبر باغياً فيقتل بحد السيف كأهل الردة على حد تعبيرك أنت وحاشاه من ذلك . وإذا تنصلت وقلت إن ما سبق كان من كلام علىّ نفسه كما نقله فى النهج فهو إذن جمع بين النقيضين ، أو أن قولته هذه قيلت بعد اليأس والفوات .

ثم إن أبا بكر حينما نهض وظفر بها لم يكن من الناس الذين لا يبالون إلا بالحرص على الملك مهما كانت النتيجة على الدين والصالح العام ، بل أتاه الملك طوعاً واختياراً بلا حرص ولا تهالك ومن غير جهد ، جهيد ولا مشقة وعناء ، ولا مطاولة لأحد فوقه أو أحق منه ولا منازعة لصاحب حق ، وإنما كان حقيقاً بها وأهلا لها وقد رضيه الجميع بعد أن خيرهم يوم السقيفة فقال : اختاروا أحد هذين الرجلين ، أى عمر أو أبا عبيدة بن الجراح . أما النتائج على الدين والصالح العام فكانت جد حسنة ، فقد وفق أبو بكر لخدمة الدين وإعلاء شأنه وتوحيد كلمته ماشاء الله أن يوفق وكذلك جدبه وجهده وفناؤه فى نفسه للصالح العام . إن شئت فتش عن أعماله المأثورة الخالدة . ولا بد أنك تعرفها يقينا وتغمطها لمرض فى القلب .

ثم نعيد قول على أيضا : وما على المسلم من غضاضة فى أن يكون مظلوما ما لم يكن شاكا فى دينه .

أقول : إنى أستنكر تكرار كلمة مظلوم أو متظلم لأنها كلمة لاتليق بمقام على ولاتتناسب مع شهرته كما أنى يعلم الله لاأستحسن ذكرها فضلا عن تكرارها وإعادتها لأقل مناسبة ، وأظن أنك بهذا تريد أن تستفز الناس وتعلن لهم أن علياً مظلوم مقهور مغلوب قد غصبوا حقه وأنكروا وصيته وسلبوا منه تراثه ، وأمثال ذلك من التشكى والتظلم شأن الضعفاء والمستضعفين ، بينما تقول عنه فى مواضع أخر إنه الشجاع ابن أبى طالب الذى كان يقول : والله لو تظاهرت العرب على قتالى لما وليت عنها ، وهو الذى لاتأخذه فى الله لومة لائم ، إذن فما هذا وذاك . تقول إن العباس وأبا سفيان طلبا بيعته ، وكأنه يحس منهما إذ دعواه لهذا الأمر الآنفة من الخضوع لأخى تيم ، وتيم أقل حى فى قريش على تعبير أبى سفيان فهما ينظران إلى القبيلة والعصبية الجاهلية .

أما فقهه فكما قال : وما على المسلم من غضاضة إلى آخر مقاله ، وهو غير فقههما فإن العباس مشى إليه أبو بكر وجماعة ليلا فأطمعوه بالخلافة له ولولده فأعرض عن النزاع ، وأما أبو سفيان فقد نقل ابن أبى الحديد أن عمر كلم أبا بكر فقال : إن أبا سفيان قد قدم وإنا لا نأمن شره ، فدفع له ما فى يده فتركه . وكان أبو سفيان قد بعث قبل وفاة النبي على الصدقات .

أقول : إن أبا بكر لا يهمه مطالبة العباس وأبى سفيان مبايعة على وحدهما بعد أن بويع من قبائل قريش كلها وقبيلتى الأنصار الأوس والخزرج أيضاً بأجمعها ، وبات الأمر مستتباً له وقد رضخ لأمره الشعب وجرت الأمور على طبيعتها . ثم ما قيمة شخصين إذا انفردا بالتخلف عن بيعة أبى بكر وما أسرع ماخضعا للخلافة القائمة ومدا يديهما لبيعته طوعاً أو كرهاً .

ثم هنا مسألة يناقش فيها وهى : إن كانت بيعة هذين الإثنين قد سبقت لأبى بكر فقد ثبت له بيعة فى عنقهما فإذا نزعاها وخاضا الفتنة فلربما نزعت معها أعناقهما . وأما إذا طلبا مبايعة على قبل بيعتهما لأبى بكر فإن أبا بكر لا يعبأ بهما كما لم يعبأ بسعد بن عبادة والحباب بن المنذر بعد أن تمت البيعة له وأصبح صاحب الأمر والنهى والجيوش تحت إمرته وطوع إرادته والقيادة العليا بيده ، ويكون قتلهما عليه حينئذ أسهل من قتل أهل الردة لما تمردوا عليه وخرجوا من الدين .

أما واقع الحال والظاهر من وضع أبى سفيان فإنه لم يقدم على هذا ، بل لا يتصور أن يقدم ولا يريد أن يخاطر بنفسه ويظهر بمظهر المخالف كيف وقد ذكرت فى سقيفتك من عداء قريش لبنى هاشم ولا سيما بنو أمية وترتهم عند على ، فهل يعقل بعد هذا أن يبايع أبو سفيان علياً وهو موتور له ؟ وهل هذا إلا تناقض بين القولين السابق واللاحق ؟ إذن فإن مفاتحة أبى سفيان لعلى بهذا الخصوص لا أصل لها البتة .

وأما قولك فإن العباس مشى إليه أبو بكر وجماعة ليلا إلى آخر المقال فغير صحيح فإن أبا بكر أكبر من أن يخدع العباس أو يعده بشيء غيبي ربما يكون أولا يكون . نعم انتقلت الخلافة لأولاده بعد الأمويين أما له فلا وعلى هذا فالوعد إن صح فهو كرامة لأبى بكر وكشف له عن الغيب وإلا صح أن أبا بكر لم يُضطر إلى ممالأة العباس ولم يمشي إليه فى ليل أو نهار وهو غنى عنه بايع أو أبى ، والعباس أيضاً أرفع من أن يخدع بوعود خلابة وهمية ، ثم قد تبين من هذا أن العباس الذى هو عم على قد انجرف أيضاً بهذا التيار على حد تعبيرك إذن فالبعيد بالأولى ألا يعترف لعلى بحق أو نص ولو كان ثمة حق أو نص لما مال الجميع إلى أبى بكر وانصرفوا عن على حتى عمه العباس .

أما الكلام مع أبى سفيان فأبعد وأغرب من الكلام مع العباس فقد كان أبو سفيان فى نظر الخليفة كأحد الرعايا وما كان أبو بكر ليخشى تخلفه عن البيعة وما كان ليحسب له حسابا ثم الذى يدل على إطاعة أبى سفيان وسلامة صدره وحسن إسلامه اخلاص أولاده للدولة وعملهم بأمانة وصدق . فهذا يزيد ابنه قد ولاه أبو بكر قيادة فى جيش الشام وهذا معاوية قد ولاه عمر ابن الخطاب ولاية الشام فقاما بواجب مهمتهما خير قيام ثم كيف يجوز لأبى بكر وهو الإمام الأمين على أموال المسلمين أن يتنازل لأبى سفيان عن الصدقات ويخون أموال الأمة التى هى أمانة بذمته

ويده وهلا اعترض عليه أحد المسلمين يومئذ وطالبه باسترجاعه من أبي سفيان فهذا دليل على كذب هذه الرواية من أصلها .

تقول : فهو إذ وطن نفسه على ما هو أمر من العلقم كان يخشى ولكن لا على الحياة بل كان خوفه على الدين من التصدع فسالم ابقاء لكلمة الإسلام واتقاء للخلاف فى صفوف المسلمين فيرتدوا جميعاً على أعقابهم والمفروض أنه ليس عنده القوة الكافية لإظهار كلمة الحق وإقامة السلطان . أقول قولك كان يخاف ويخشى ولكن لا على الحياة بل كان خوفه على الدين من التصدع فسالم ابقاء لكلمة الإسلام .

نعم إن كانت نيته هذه فحسنة ويشكر عليها وحقاً كما قال فإن الثورة والخروج على صاحب الأمر والمالك الشرعى يسببان تصدعا فى صفوف المسلمين ويورثان عداء مستمراً لا يزول علاوة على أن التعاليم الإسلامية والأوامر القرآنية تحث على إطاعة أولى الأمر والسمع لهم ، ولو فرض صدور مخالفة منهم أو فساد أو أمر بمنكر فعلى المسلمين أن يسدوا لهم بالنصيحة والإرشاد على الاستقامة والصلاح لا بالدعايات الضارة وإثارة الحروب مما يوهن قوة المسلمين ويفرق كلمتهم فيكونون طعمة سائغة للأعداء . فعلى إن وطن نفسه على الصبر كما تقول فأمر يحمد عليه اتقاء للشر .

أما قولك فيرتدوا جميعاً على أعقابهم فصحيح وأنا أوافقك على هذا الارتداد فإن الثائر والخارج عن طاعة أولى الأمر بعد

تمام البيعة واستقرار الأمور وإجرائها على الوجه الشرعى واستتباب الأمن والتوجه لفتح بلاد الكفر ونشر كلمة الإسلام فى ربوع آسيا وإفريقيا بل وأوربا مما يؤول أمره إلى الارتداد على الأعقاب والعياذ بالله وكل من خرج على الحكومة المطمئنه المؤيدة بالبيعة والموطدة أحكامها بالأنظمة الحقة والدساتير الشرعية المرعية فهو مسئول أمام الله وأمام الأمة اسمعوا وأطيعوا حديث شريف عليك بالسمع والطاعة كل هذه التوصيات القرآنية والنبوية لصيانة البلاد من الاختلال الداخلى وحفظ كيان الدولة وحقن دماء المسلمين إذن فتصبح التبعة ملقاة على عاتق المتسبب والمباشر فى وقت واحد . ونحن نتحاشى عن كلمة الارتداد والانقلاب على الأعقاب لاسيما فى جانب خيار الأصحاب .

أما أنت فقد استذوقت كلمتها وعودت لسانك عليها كأنها لفظة حلوة يستسيغها ذوقك وهى كلمة تجر صاحبها وقائلها إلى هوة بعيدة وإلى الدرك الأسفل من الانحطاط كيف والرضا بكفر المسلم وتكفيره كفر فأنت تقصد بذلك طعن المسلمين بها بأنهم سريعو الانقلاب والارتداد فإذا كان هؤلاء المؤمنون الخلص سريعى الانقلاب فما بالك بالمتأخرين إذ تفرقوا وفرقوا ، ولا بد أنك تعنى بها قريشاً والأنصار من أهل المدينة ومكة لا نريد بذلك البادين من الأعراب الذين ارتدوا فعلا على أعقابهم بانكار فرضية الزكاة وامتناعهم عن أداءها إلى الحكومة فهؤلاء ارتدوا من أول الامر لهذا السبب وحده .

قولك والمفروض ليس عنده القوة الكافية لإظهار كلمة الحق وإقامة السلطان . أقول هذه كلمة نابية بعيدة عن الحق إذ كلمة الحق ولله الحمد كانت ظاهرة عالية بنفسها قوية بفضل قوة المسلمين ودولتهم وإقامة سلطانهم المؤسس على قواعد الشرع والحق الذى لم يغلب ولم يقهر ، وإلا صح أن تقول ليس عنده القوة الكافية للقيام بحركة خلفية تطعن المسلمين من الوراء وتوقف حركتهم الإصلاحية الداخلية والخارجية وتحبط أعمالهم وتفرق كلمتهم .

وأنا بدورى أبرىء علياً وأنزهه عن التشبث بأضرار المسلمين وتشتيت شملهم سواء كان الأمر له أو عليه .

تقول : وهو يشير إلى هذا الخوف فيما يقول فى هذا الصدد من خطبته فى النهج ما شككت فى الحق مذ رأيته . لم يوجس موسى عليه السلام خيفة على نفسه . أشفق من غلبة الجهال ودول الضلال . اليوم توافقنا على سبيل الحق والباطل . من وثق بماء لم يظمأ .

أقول : قول النهج : ما شككت فى الحق مذ رأيته ، كذلك غيره من الصحابة أيضاً ، وليس وحده فقط ، فهم لم يشكوا فى الحق مذ دخلوا فى دين الله إلى أن توفاهم الله وما زاغوا عنه ولا غيروا ولا بدلوا وقد مدحهم الله فى مواضع من القرآن كثيرة فهم أهل الحق وفى ربوعهم توطن الحق ومنهم انتشر الحق وبهم قام الحق .

وأما إشفاقه من غلبة الجهال ودول الضلال فغير مسلم به ، فالدولة

الإسلامية قامت بأفضل الرجال وأكملهم وأرجحهم وأكثرهم تجارب وأطولهم صحبة لرسول الله ، وليسوا بالجهال ولا بالضلال بل هم فقهاء الأمة وزعماؤها وعلماؤها ومجتهدوها وأتقاهم وأرفعهم منزلة عند رسول الله وعند المسلمين ، عاشوا صلحاء وماتوا أتقياء وكان سبيلهم الحق ومناهجهم الشرع فهم أصل الإسلام وعماده وسيفه ونجاده . تقول : ويوضح لنا ذلك جوابه المشهور لأبى سفيان لما جاءه مستفزاً على أبى بكر وهو يقول : فوالله لئن شئت لاملؤها خيلا ورجالا ، فقال له الإمام : إنك والله ما أردت بهذا إلا الفتنة والله طالما بغيت للاسلام شراً لا حاجة لنا فى نصيحتك .

أقول : أولا إن أبا سفيان لا يجرؤ بل لا يرغب أن يكون بجانب على قطعاً كيف وهو موتور وله ثأر عنده كما قلتم وبين الأمويين والهاشميين مناوأة قديمة وقد دامت بعد الإسلام كما تزعمون فهل يصح لأبى سفيان وهو سيد الأمويين فى الجاهلية وكبيرهم فى الإسلام وقائد الجاهلية فى الحروب أن يرمى بنفسه وقومه فى أحضان بنى هاشم وهم أعداؤه وقاتلوا قومه فى بدر حسب زعمكم وبينهم أحقاد كامنة لم تكن بين تيم وأمية . ثم ما الذى دفع أبا سفيان أن يبايع علياً دون أبى بكر فى حين أن الوجه كان لأبى بكر والقوم على اختلاف قبائلهم وطبقاتهم قد بايعوا أبا بكر وإذا بايع أبو سفيان علياً ولم يستتب الأمر له فإن أبا سفيان يصبح مخذولا ساقط المنزلة مبعداً عن جانبهم . وعلى فرض أن أبا سفيان وعد

علياً بخيله ورجاله فأين خيل أبي سفيان وأين رجاله وقد أخضعهم الإسلام وأصبحوا معية ورعية للخليفة وقد حسن إسلامهم وصفت قلوبهم إلى الإسلام والمسلمين .

ثانياً : إن رد على لأبي سفيان بهذا الرد لايتناسب مع كرامة على ولا مع شخصية أبي سفيان وشيبته . ومن يأتيك باذلا نفسه مفادياً برجاله لاينبغي رده بهذا الرد الخشن مهما كانت غايته عن إخلاص أو عن فتنة وشر ، ومن اللياقة رده بمعروف وصرفه بشكل آخر على أن أبا سفيان مذ اعتنق الدين الإسلامى إلى أن توفى لم ينقل عنه أنه بغى للاسلام شراً ولا أعان عدواً فى يوم من الأيام ، ولا عهد عنه أنه وقف بجانب المرتدين أو المتنبئين ، فما كتبه الرضى فى نهجه كان المقصود منه التشهير بأبى سفيان والطعن فى إسلامه ليس غير .

وفى الوقت نفسه كان على فى حاجة إلى مناصرة ومساعدة تؤيده لطلب البيعة فتقول فى الجواب ضمنا كما يفهم من كلامك : وقد رأينا كيف أسرع فى الرجوع عن وعده لما تركوا له مافى يده يعنى أن عليا كان غير واثق من أبي سفيان ، وإلا لصاول وناضل وطالب بخيل أبي سفيان ورجاله ، أما مسارعة أبى سفيان لأبى بكر فكانت بعد الرفض من على على تقدير قولك كيلا يفلس من الاثنين .

تقول : نعم إن الدين عنده فوق جميع الاعتبارات وإن استهان

به غيره . أقول : إن الدين عند جميع الأصحاب فوق الاعتبارات كلها وله المنزلة السامية والمكانة الرفيعة وهو أعز لديهم من أنفسهم وأبنائهم وآبائهم ، أرأيت يا هذا كيف بذلوا فى سبيله أرواحهم الغالية وتكبدوا المشاق والأسفار والاغتراب من أجله لخدمتهم لدين الله مسلمة ثابتة لا تحتاج إلى تدليل ، فتخصيص على من بين الصحابة تعريض بهم ومكابرة .

تقول : وأمير المؤمنين قد صرح بغرضه هذا بعد ذلك فى جوابه الذى أشرنا إليه عن كتاب معاوية كما فى النهج والعقد الفريد ، إذ قال عن آبائه على أبى سفيان حتى كنت أنا الذى أبيت لقرب عهد الناس بالكفر مخافة الفرقة بين أهل الإسلام.

أقول : نقل النهج هنا يخالف ما تقدم من قوله : لو وجدت أربعين ذوى عزم منهم لناهضت القوم .

وأظن أن هذه الأعذار المتلونة قد صدرت من الرضى لا من على ، ولا نظن بعلى أن ينغلب فى الأجوبة والأعذار ، وليس من شأنه هذا التلون فى كلامه ، بل هو أرفع من ذلك .

سلوكه مع الخلفاء

تقول : أما وقد تركنا الإمام يغضى عن حقه ويقرر بالأخير خطة الصبر على ما فيها من قذى وشجى فماذا تراه يتخذ من خطة فى سياسته مع الخلفاء ؟ أيستسلم فيسرع إلى بيعتهم كباقى المسلمين أم يسلك بقدر ما تسمح به الضرورة وتقتضيه مصلحة الدين .

قد أبى بعض المؤرخين والمحدثين إلا أن يصور الإمام مسالما فيسرع إلى البيعة عن طيبة خاطر . ولكن الصحيح يأبى علينا أن نسلم بهذا التسرع فى النقل أو الحكم فقد ثبت أن عليا لم يبايع أبا بكر إلا بعد موت فاطمة وهى ستة أشهر . ثم أنه كان يقرعهم بالحجة وينير لهم طريق المحجة .

أقول : هذه ادعاءات ليس من ورائها إلا الجدل والنفرة بين المسلمين وقد تكرر كثيراً أمثال هذه فى هذا الكتاب من حكايات بالية وأقاصيص ماضية جافة ممجوجة . فالخلافة قد انتهى أمرها وبلى أصحابها ومضت عليها قرون عديدة وأعصار طويلة والعالم اليوم فى تجدد وتقدم وتنافس بالعلوم والمخترعات والأموال والرجال وأنت تصديت لهذه المواضيع الفارغة الجامدة ويا ليت لو كانت حقاً وصحيحة فأتعبت نفسك بلا جدوى اللهم إلا التمويه على الجهال وتشويه الحقائق وبعث الأحقاد فعلى إن بايع أو تأخر فى مبايعة أبى بكر اضطراراً أو اختياراً كيفما يكون وعلى كل حال فقد جرت الأمور حسب تصرف أبى بكر وسالمته الظروف والأيام حتى أتاه قدر الله ووافاه أجله ، وهو راض عن الأمة والأمة راضية عنه فقد وطد الأمن الداخلى وقضى على الثائرين وأسس النظم ومهد السبيل لمرافق الدولة وجهز الجيوش ونظم الأعمال فجاء من بعد خلفاؤه وقد ساروا على نهجه المحكم وسلكوا محجته النيرة الوضيئة . فجزاه الله خيراً عن المسلمين ، تقول : قد أبى بعض المؤرخين إلا أن يصور أمير المؤمنين مسالماً الخ .

نعم إن المؤرخين والمحدثين يقصدون من وراء هذا التأويل الحسن والعذر المقبول عن علي تبرئة ساحته من بعض الظنون. فيصورونه رجلا مسالماً يعرف الأشياء ويقدر الظروف ولا تستميله الأطماع إلى تعكير صفو المسلمين مع العلم بأن النتيجة مجهولة بنجح أو بخسر. وهذا التأويل من حسن الظن بعلي (رضى) ولزوم الأدب معه. أما إنه بايع بعد موت فاطمة فرواية الله أعلم بها يحتمل هذا ويحتمل أنه بايع بعد توقف يسير لما فيها من المصلحة لسمعته ولدينه وهو أفضل وأسلم.

ثم تكرر قولك: يقرعهم بالحجة وأظن أن سكوتك عن هذا الادعاء أشرف لعلي وأبعد لك عن الكذب وما ندرى الحجة التي قرعهم بها ومتى قرعهم بالحجة؟ وفي أي شيء كان هذا القرع بالحجة؟ وما ندرى أيضاً تلك المحجة التي أنار لهم طريقها وهو غاضب عليهم ومتنكر لهم ولم يشترك في حرب طيلة حياته معهم ولم يعمل لهم أي عمل من الأعمال الدولية، ثم إن رحى الخلافة لم تقف ولم تتعطل يوماً ما من الأيام حركتها بدون علي وإنما كان الخليفة يعمل بمشاورة الصحابة عموماً إن حدثت مشكلة أو مسألة عويصة فإما أن يأخذ برأيهم أو يرجح رأيه إن كان أسد وأصلح وهكذا. وقد شاهدوا علياً في خلافته كيف اضطرب الأمر وأشكلت إدارة الدولة وسادت الفوضى والفتن واختلت الأحوال. إذن فالمرء الذي ينير المحجة لغيره كان ينيرها لنفسه بالأولى.

تقول : وهل يظن الظان أنه كان يحاول فى هذا العمل أن يتحولوا فى البيعة وأن يتركوا ما أبرموه وهو الذى أسدل دونها ثوباً وطوى كشحاً ، وقد دعاه العباس وأبو العباس وأبو سفيان إلى البيعة فأبى . إن هذا الإباء وذاك الصبر لا يجتمعان مع تلكم المحاولة والدعوة لنفسه ما لم يكن يرمى الإمام من وراء ذلك إلى غرض أسمى مما يظن أنه كان يقيم الحجة فى عمله على أولئك الناس ويفهمهم خطأهم فيما ارتكبوا وتنكبهم عن الحق فيما أسرعوا وإلى ذلك يشير فيما قال : اللهم أنت تعلم أنه لم يكن الذى كان منا منافسة فى سلطان ولا التماس شىء من فضول الطعام ولكن لترد المعالم فى دينك وتظهر الصلاح فى بلادك .

أقول : إن الرضى يصور الكلام عن على ويصوغه من عنده وأنت تشرح وتؤيد وتفسر وعلى برىء منه وربما يخجل من هذه التقولات لو سمعها إذ هو نقل لا أصل له ولم ينطبق على الواقع .

أما قولك : وهل يظن الظان أنه كان يحاول فى هذا العمل أن يتحولوا فى البيعة وأن يتركوا ما أبرموه وهو الذى أسدل دونها ثوباً وطوى كشحاً ، فهذا كذب بيّن وأحاشى علياً عنه أليس هو الذى كان يطرق أبواب الأنصار وأهل السوابق ليلا ومعه فاطمة وابناها يدعوهم إلى نفسه ؟ أليس هو الذى انعزل فى بيته وقد ترك الجماعة والجمعة وهى من شعائر الإسلام ؟ أليس هو الذى كان يجتمع عنده أصحابه القل طيلة أيام عزلته لتدبير

مؤامرة للقيام بحركة الخروج على الدولة القائمة فتسمع الحكومة فترسل من يفرقهم ويهددهم كما تدعى أنت فى سقيفتك ؟ أليس هذا إن صح عمل طامع طامح بالملك فى وقت قد أعرض عنه قومه وصدوا عن مبايعته وأسدلوا الحجب بينهم وبينه ؟

فهل يريد على أن ينصب نفسه بنفسه أو يكون أميراً على نفسه وأهل بيته فقط وهو بين ظهرانى هذه الجموع الكثيفة التى لم يعترف له أحد منها بحق ولا وصية .

تقول : وهو الذى يدعوه العباس وأبو سفيان إلى البيعة فيأبى أقول : قد تقدم الكلام على هذا وكذبناه تكذيباً .

تقول : إن هذا الإباء والصبر لا يجتمعان إلى آخر الكلام . أقول : ما ندرى ما هو الغرض الأسمى الذى يرمى إليه الإمام فهذه كلمات مرصوفة رصفها الرضى ثم جئت فاكتتبتها عنه ، وهنا نريد أن نعلم ما هى الحجة فى عمله التى كان يقيمها على أولئك الناس وما هو الخطأ الذى ارتكبوه حتى يفهمهم خطأهم وما هو تنكبهم عن الحق فيما أسرعوا إليه ؟ هذه مزاعم لا أصل لها . ولم يسمع أن علياً وقف خطيباً فى منتدى ، أو مجتمع عام ، أو مسجد ، وخطب الناس وبين لهم وجه خطئهم وتنكبهم عن الحق وقرعهم بالحجة ، وأنا أقسم بالله أنه لم يكن من ذلك أمر واحد . اللهم إلا إذا كان سراً وخفية ، يريد به أن يبدل فكرهم فهذا أمر آخر ولكنه لم يعد بكثير فائدة ، بل ولا قليلها ، ولم يظهر أثر هذه

الحجة فى عهد الخليفة ، ولا فى عهد عمر ولا فى عهد عثمان إلا فى آخر خلافته ، فقد فشت الدعايات ، وساد الشغب من قبل محمد ابن أبى بكر وعبد الله بن سبأ ومن والاهما من الأشقياء وحثالات الناس ، ثم متى جاهر على بهذا ، وهو جلس بينه ستة أشهر ، وقد تركزت سلطة الخليفة وقوته ، والتف حوله قواده وأمراؤه وجنوده البواسل فينظرون أوامره ليبادروا إلى تنفيذها وتطبيقها فوراً بلا تردد ولا فتور ، ولو أنه أمرهم أن يرموا بأنفسهم فى لجج البحار لما توقفوا ، أو يتسلقوا إلى قمم الجبال لما تأخروا ، وقد وقع ذلك فعلا . سل مياه دجلة الزاخرة ، وسل جبال الشام ولبنان ، وسل الفيافى والقفار . فهل لأحد بعد هذا أن يجرؤ على تمرد أو عصيان . أما فى عهد عثمان فقد غلبت عليه الرأفة والرقة واللين ، فأفسدوا عليه أمره ، وكان بقدرته أن يبيد هؤلاء الشراذم السفلة بيوم واحد ، إلا أن مسالمته وحبه للسلم ورحمته برعيته كانت حائلا بين بطشه بهم وتمزيقهم أى ممزق وقد جنت عليه رقته ورحمته . انظر إلى الخليفة الأول كيف أرسل إلى الذين كانوا يجتمعون عند على فى بيته إن صح ، ففرقهم وهددهم ولو عادوا لما نهوا عنه لأوقع بهم .

تقول : وإلى ذلك يشير فيما قال : اللهم أنت تعلم أنه لم يكن الذى كان إلى آخر المقال .

أقول : إن قول النهج لا يسلمه أحد من الناس إلا المتطرف المتعصب فإذا لم يكن الذى كان فى منافسة سلطان ولا التماس شيء من الطعام إذن فعلى ماذا كان الذى كان ؟ ثم أنت تجيب عنه وتقول فى الجواب يريد على أن يرد معالم الدين ويظهر الصلاح فى البلاد . أقول : فهل كانت معالم الدين دراسة قد مضت عليها عصور كثيرة فيريد على أن يردها ويعيدها إلى مجدها وسيرتها الأولى ؟ اللهم لا . إن معالم الدين راسخة عالية فوق كل الأديان كيف وهى قريبة العهد راسخة البناء متينة الرصف ثابتة القواعد فلا يقدر أحد أن ينكر هذا أبدا فمعالم الدين الإسلامى لم يطرأ عليها أى طارىء على أن علياً لم يكن بأحرص على معالم الدين من أولئك الرجال الذين رفعوا راية الدين ورفعوا شأنه وجاهدوا دونه ، نظر إلى سير الخلفاء الأربعة تر الفرق واضحاً . فالخلفاء الثلاثة لم يألوا جهداً فى إصلاح البلاد والناس فهذا عهدهم وهذا عهده .

نقول : ويؤخذ من طيات التأريخ أنه لم تأخذه هوادة فى الدعاية والدعوة إلى مبدئه اظهاراً لحقه وإقامة للحجة على سواه . فلا ينكر التأريخ اجتماع أصحابه عنده طيلة أيام انعزاله . ولا ينكر عدم اشتراكه فى جمعة ولا جماعة .

أقول : إن أنباء التأريخ عن على بهذه الدعاية والمثابرة على هذه الدعوة بلا هوادة ولا ملل فى ذلك هو قول بعض المؤرخين الذين لم يعرفوا حقيقة على ولا ديانته فينسبون إليه

أمثال هذا مما يشوه عليه سمعته ، ويثبت فى ذلك حرصه واندفاعه الشديد إلى الملك والدنيا ، وهو الذى يقول : يادنيا غرى غيرى فقد طلقتك ثلاثا .

أما قول التاريخ إظهاراً لحقه وإقامة للحجة على سواه فلغو من المقال ، لأن الخلافة ليست ملكا له حتى تكون حقه وأن أبو بكر قد صادرها منه أو غصبها أو وضع يده عليها ، وإنما هى حق قريش فكل من يتولاها منهم لخص حقه ، وأما الحجة التى كان يريد أن يقيمها على سواه فهى النص المدعى لاغير ، وقد تحقق عندنا فيما سبق أن لانص ولاوصية ، فلو كان هناك حجة غير ذلك لأعلنها للقوم ولرجعوا إليه واتبعوه ، ثم لو كان الناس يعرفون هذا من قبل لم يحيدوا عنه إلى غيره إذ لافرق بينه وبين ذلك الغير لأنهم كلهم قرشيون ، وكلهم أصحاب رسول الله ، إذن لابد هناك موقع اختيار وترجيح ، لأن الخلافة أمر خطير ، وولاية عامة لا يتولاها إلا من اختبروا كفاءته وعقله وقابليته وسيرته ، أى قرشى كان .

قولك : ولا ينكر التاريخ اجتماع أصحابه عنده فى بيته ، إلى آخر كلامك . فهذا مما لا نسلم به ، ولا نرتضيه لعلى حين يتخذ بيته محلا للاجتماعات السريه ، والمؤامرة ضد الحكومة القائمة من الأساليب الرهيبة ، التى تسبب انهيار الدولة الإسلامية وتزعزع أركانها ، لغاية نيل الدنيا ، والوصول إلى التربع على عرش الملك ،

كما أنا لا نسلم انعزاله عن الناس ، وتركه الجماعة والجمعة قدر ستة أشهر ، وهل هذا إلا لسخطه على الأقدار ، كذلك لا نسلم للتأريخ طوافه على بيوت الأنصار مع زوجته وابنيهما يتسكعون فى ظلام الليل ويطرقون أبواب الناس فيزعجونهم ، وما الذى بلغ بعلى حتى يتشبث بهذه الوسائل ، التى لا تتفق مع كرامة زوجته وشرفها ، ومع حرمته أيضاً ، ثم إذا اثبتم لعلى هذه المثابرة والإلحاح على الدعاية والدعوة ، وأنه صار بحيث لم تأخذه هوادة فى ذلك ، فكيف تقولون إنه بايع لحفظ بيضة الإسلام ، بل الظاهر يدل على أنه إنما بايع بعد انقطاع الأمل واليأس ، ولعدم المناصر له على القيام

تقول : وهذه المقاطعة صريح برأيه فيما عليه القوم ، ولذا نرى الخليفة أبا بكر يتذمر من موقف الإمام فعرض فى خطبته : يستعينون بالضعفة ويستنصرون بالنساء ، إلا أنى لو أشاء أن أقول لقلت ، ولو قلت لبحت ، إنى ساكت ما تركت .

وفى هذا تخوف عما يظن أن سيقع ، وتهديد بإذاعة أمر مكتوم ، ما أدرى أى شىء هذا الأمر الذى يهدد الخليفة بإفشائه

أقول : نعم تأكد من رواياتكم ونقلكم أن عليا قاطع وصرح برأيه ، فيما كان عليه القوم ، ولكن القوم ، لم يهتموا بهذه المقاطعة ولا بهذا التصريح بعد أن رسخت قواعد الدولة ، وثبتت أركانها وتأسست على تقوى ، واستتبت لها الأمور .

أما أن الخليفة يتذمر من موقف على غلى زعمكم ، لحق له ذلك ولذا عرض فى خطبته وهدد ، وهذا بمقام إنذار وإخطار ، نعم وللحكومة الحق فى أخذ الاحتياطات اللازمة ، والحذر تجاه كل من يتعرض لمصلحتها ، ويعرقل سيرها ، ويسعى لإحباطها ، لذلك عرض الخليفة أبو بكر بهذه الخطبة ، وأشار إلى أمر لم يشأ أن يبوح به إبقاء للمسالمة والصحبة ، فما كان الخليفة يريد أن يصرح بأن فلانا يعمل كذا ، حفظا لكرامة الرجال ، وغضا للطرف عما بلغه فلا يريد افتضاحه .

ويعنى بقوله : إنى ساكت ما تركت ، إنى لا أتعرض بسوء لأحد من رعيتى ، بل أتغافل عنهم أحيانا إذا تركوا ما يمس حكومتى ، ويضر صالحها ، وإلا فإنى استعمل نفوذى وسلطتى ، لكل من يتحرش بى وبحكومتى ، ولذا فقد خرق جمع هؤلاء القوم ، الذين كانوا يتصلون بعلى ليلا ونهارا ، على قولكم لأغراض معلومة ، وهذه لأول مرة ، ولو أنهم كرروا هذا الاجتماع لنكل بهم الخليفة إداريا حسب المصلحة .

وأنا يعلم الله لم يخطر على بالنا أن نخوض فى مثل هذه المواضع وإنا ساكتون ما تركنا ، فإذا تعرض بنا أحد ، كلنا له الكيل صاعاً بصاع .

فهذا الذى لا تدريه أدريناك به ، وإياك أن تستخف بقوة الحكومة مغتراً بأفراد لا يتجاوزون أصابع الكفين . أليست

هذه الحكومة البكرية قد قضت على كل من تمرد عليها كالمرتدين أو نافسها وناوأها كالمتنبئين الذين حشدوا جوعا جرارة ذات بأس وقوة فأبادتهم ، وأصبحوا فى خبر كان ، وكذلك فى حرب الشام والعراق ، ألم ينبئك التاريخ عنها كيف قاموا بأعمال جبارة ، وخوارق تعجز عنها الرجال ؟ كل ذلك كان امتثالا للأوامر الصادرة عن خليفة الله ، على أن هذه الخطبة المنسوبة لأبى بكر ، والمنسوبة لعلى الله أعلم بصحتهما .

تقول : وبعد وفاة فاطمة بدل خطته ، فبايع هو وأهل بيته، ولكن إلى حد محدود بقدر ما تحكم به الضرورة الدينية للاحتفاظ بالجامعة الإسلامية . ولنسمعه يقول فى كتابه إلى أهل مصر . فأمسكت يدى حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام ، يدعون إلى محق دين محمد ، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً ، أو هدما تكون المصيبة به على أعظم من فوت ولايتكم .

أقول : قولك فبايع ولكن إلى حد محدود بقدر ما تحكم به الضرورة الدينية ، هذا مما تقوله المادة فى مجلة الأحكام العدلية : الضرورات تقدر بقدرها ، فأخذتها أنت وعبرت بها عن على ، ثم ما هو الحد المحدود لعلى بقدر ما تحكم به الضرورة ؟ هلا بينته لنا لنفهم حدوده ، ونعلم مقداره ، وفى أى عمل كان هذا الحد المحدود الضرورى ، ألم يصل وراءهم طوال السنين ؟ ألم يشترك

معهم فى مجالس الشورى ؟ ألم يكن له ولأقربائه نصيب وافر فى خزانة الدولة من الغنائم ، والجبايات وباقى الرسوم الأميرية ؟ حتى أصبحوا أغنياء أثرياء ينعمون بها ويكرمون منها ، وكذلك من الأسرى . وهل يجحد هذا إلا معاند ؟ لأن بيوت الأموال أصبحت غنية ثرية ، وكانت تقسم على المسلمين بمقادير خاصة ، وما بقى يصرف على مصلحة المسلمين ، أهذا هو الحد المحدود بقدر ما تحكم به الضرورة أما إنه لم يشترك معهم بحرب ، ولم يعمل لهم عملا ، فأمر يعود إلى رأى الحكومة لا نعرفه بالضبط ، ولكن يذكر التاريخ أن علياً استعمله أمير المؤمنين عمر على القضاء أما قول على فى كتابه إلى أهل مصر : فأمسكت يدى حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام إلى آخر مقاله ، فهذا مما لا ينبغى لعلى أن يصدر منه ، وهو الإمام المعصوم على رأيكم ، ولا يتصور أن يقوله مسلم صحابى قرشى منهم ، فيطعنهم بهذه الطعنة البالغة ، وهو يعلم أن تكفير المسلم بغير حق كفر ، وأن الرضى بكفر المسلم كفر .

وحقاً إن السامع والقارىء ليقفان موقف الحائر المندهش ، فيرجع إلى نفسه ويفكر ، هل يصح لعلى أن يقول عن أصحاب رسول الله المهاجرين والأنصار ، أهل بدر ، وأهل بيعة الرضوان هذا ، أهؤلاء كانوا يدعون لمحق دين محمد ؟ وما ظهر دين محمد ولا انتشر فى هذه الأصقاع النائية ، إلا بجهادهم وجهودهم

الجبارة فماتوا فى سبيل الدعوة لدين محمد ، حتى توسعت دائرته إلى حد عظيم . وبالله عليك هل انتشر دين محمد فى خلافة على قيراطا أو قيراطين ؟ وهل يليق بالإمام المعصوم أن يحمله الحرص وحب الكرسى على هذا التهور البعيد .

اللهم أنت تعلم أنا نحاشى علياً ونداقع عنه ما استطعنا ، ونبرئه من أمثال هذه التهجمات غير اللائقة به ، ونردها على راويها وناقلها ، لتكون ديباجته نقية بيضاء .

سل ياهذا سكان الأقاليم الإسلامية واستفهم ، من نشر دين الإسلام فى ربوعكم ؟ ومن فتح بلادكم من الخلفاء ؟ ولمن هذه الآثار الإسلامية والمعالم العربية ؟ ومن أسس هذه المعاهد الدينية ؟ أهو محمد بن أبى بكر ، أم عبد الله بن سبأ ، أم الأشتر النخعى ، ثم من الغريب أن يقول على : فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله ، أن أرى فيه ثلما أو هدما ، تكون المصيبة على أعظم من فوت ولايتكم .

فيفسر صاحب السقيفة أن نصرته لم تكن إلا بسكوته عن حقه ومتابعته للقوم .

يعنى صاحب السقيفة بذلك أن الخطر كان عظيما على الإسلام لو لم يسكت على عن المطالبة ، ولقام هو وجماعته الذين لايبلغون عدد الاصابع بأمر عظيم ، ولكنه نصر الإسلام بهذا السكوت . وهكذا يتقلب صاحب السقيفة ، فمرة يقول بايع مضطراً مقهوراً

مغلوباً على أمره ، ومرة يقول : سكت نصرة للإسلام ، ومرة يقول : كان يطوف مع زوجته وأولاده ليلا على بيوت الأنصار ، ومرة يقول : لو أجد أربعين ذوى عزم لناهضت القوم ، إلى غير ذلك من المناقضات . وعلى كل فإنا نقدم جزيل شكرنا إلى على لنصرته الاسلام بسكوته ، وإلا لانثلم الإسلام أو انهدم بالمرة ، ودك دكا . . ثم نناقش السقيفة هنا فى أمر خفى علينا ، وهو أن كتابه لأهل مصر كان فى خلافته ، وسكوته عن المطالبة بحقه كان فى عهد لم يكن فيه أهل مصر مسلمين حتى تسون له الولاية عليهم وإنما فتحت مصر العظيمة فى عهد الخليفة العظيم عمر بن الخطاب وكانت الولاية له عليهم ، فأين قوله من فوت ولايتكم وهم أقباط وروم تحت حكم هرقل ؟ ولكن أظن أن علياً يريد بقوله : من فوت ولايتكم أى لو أكون أول خليفة ، ومن يدرى أنه تمتد ولايته إلى مصر فى خلافته ، فهذا غيب لا يعلمه إلا الله ، ويفهم أن فوت الولاية على على مصيبة عظيمة ، ولكن انثلام الإسلام وانهدامه مصيبة أعظم ، ومانـدرى هل الولاية كانت ملكا صريحاً قطعياً لعلى فوضع أبو بكر يده عليها وغصبها منه أم مالا موروثاً وحقاً مكتسباً بوجه شرعى نصادرته حكومة أبى بكر فكانت مصيبة عظمى عليه .

وهل يجوز لعلى أن يصرح بهذا التصريح الذى لا يصدر عن أمثاله فى دينه وورعه ؟

نقول : وما يظن الظان فى على عند ما يجلس حلس البيت عن هذا الدين الذى قام بسيفه وقد تألبت العرب عليه واشرأبت أعناق النفاق . والجهاد فرض من فروض الإسلام . أكان ذلك زهداً فى الجهاد وتواكلا عن الواجب أم ماذا ؟ أهناك غير ما نقول من رأيه فى المقاطعة إلا ما تدعو إليها ضرورة المحافظة على الجامعة ؟

أقول : ما ندرى لم قام هذا الدين بسيف على وحده ؟ هل كان رسول الله يخرج فى غزواته وجهاده بعلى فقط ، وهل على هو الذى كان يجاهد فى حروب المشركين وحده فقط ؟ كيف وأن الله تعالى مدح المجاهدين فى مواقع من القرآن وبين معاركهم وتفانيهم فهل كان ذلك فى على فقط ؟

قولك : وماذا يظن الظان فى على إلى آخره .

نعم يظن الظان أن قعود على فى بيته عن نصرة الدين زهد فى الجهاد وتواكل عن الواجب ولو خرج من بيته واشترك فى نصرة الإسلام وحمل سيفه وجاهد فى سبيل الله وإعلاء كلمته لعد هذا نصراً منه للإسلام لا سكوته عن مطالبته للولاية والإمارة فهذا هو المحك الصحيح ، ومعلوم أن كل من قدر على حمل السلاح توجه إليه الخطاب بالجهاد لبث دعوة الإسلام ونصرة دين محمد ، وكيف يجوز لقادر على جهاد الأعداء ونشر دين الإسلام أن

يقعد حلس البيت وله سهم وافر مع بنى عمه فى خزينة الدولة وكيف يهنأ له ذلك ؟

إذن كانت نصرته للإسلام سكوته عن البيعة فقط ، وهذا بنظرك شيء كثير ودالة عظمى هى أكبر من الجهاد فى سبيل الله ، على أن علياً لم يسكت ولكنه يئس من المساعد والمناصر فسكت وترك مضطراً .

تقول : وقد يقول القائل إن الخلفاء هم الذين لم يدعوه إلى الدخول معهم فى الحرب والاشتراك فى الحكم لمصلحة يرونها وما كان يجب أن يتبرع كما لم يدع إلى ذلك جميع الهاشميين فى حرب أو حكم فى عهد الخلفاء الثلاثة .

أقول قولك ، وقد يقول القائل إن الخلفاء هم الذين لم يدعوه إلخ فهذا مما لا نقدر أن نحكم به وهى أمور بعيدة عنا حدثت فى وقتها لاندرى هل الخلفاء لم يدعوه لمصلحة يرونها ؟ أم أن عليا كان يأبى عن الاشتراك فى الحكم والجهاد . أما لو قدم على نفسه متبرعا فى قتال أعداء الله لما رده الخليفة .

تقول كما لم يدع إلى ذلك جميع الهاشميين . أقول إن بنى هاشم لو انخرطوا فى سلك الجندية وتبرعوا فى الذب عن دين محمد لقبل منهم الخليفة ذلك ولشكرهم ولكن لما لم تكن فيهم هذه الهمة غض الخلفاء عنهم النظر ولم يكلفوهم بعمل مافى أعمال الدولة .

تقول ويشهد لذلك المحاورة بين الخليفة عمر بن الخطاب

وابن عباس حيثما يدعوه للعمل فى حمص فيقول لابن عباس وفى نفسى شىء لم أره منك وأعيانى ذلك ثم يصرح بذلك الشىء أنى خشيت أن يأتى على الذى هو آت وأنت فى عملك فتقول هلم إلينا ولاهلم إليكم دون غيركم . إن رسول الله استعمل الناس وتركم

فيقول ابن عباس فلم نره فعل ذلك .

فقال عمر ما أدرى أضن بكم عن العمل فأهل لذلك أنتم أم خشى أن تبايعوا بمنزلتكم فيقع العقاب ولابد من عتاب وعندئذ يمتنع ابن عباس عن قبول العمل .

أليست هذه المحاورة شاهدة على أن الخلفاء هم الذين كانوا يمتنعون عن استعمال بنى هاشم خوف أن يستغلوا مناصبهم للدعوة إلى أنفسهم ؟

أقول هذه المحاورة كنظيرتها السابقة بين أمير المؤمنين عمر وابن عباس وهى باطلة لاأصل لها . وأراك قد أكثرت المحاورات بين أمير المؤمنين عمر وابن عباس كأنهما قرينان أو أخوان تدار بينهما المحاورات والمناقشات لأقل شىء وفى أى وقت فى حين أن عمر مشغول بأهم من هذا ، وكان يولى أعماله المدنية والقضائية والعسكرية من يرى فيه الكفاءة والمقدرة ثم إذا صحت المحاورة الأولى على ادعائكم وأن عمر قد غضب على ابن عباس وطرده من حضرته لخشونة رده وقد جفاه . فكيف يأمن بعد ذلك أن

يوليه عملا ويعيد الكرة والنقاش والحوار . فهذا مما لايصح عن مثل عمر الحازم اليقظ .

وعلى فرض صحة هذه المحاورة فالخلفاء إذن معذورون فى تركهم لهم لأن الرسول (ص) لم يستعملهم فى حياته حذار الدعوة ونشوب الاحتلال الداخلى ولابد أنه كان يعرف روحيتهم وتشوفهم إلى الوثوب والاستقلال الذاتى والانفصال عن المجموعة الدولية فكيف يأمنهم من بعده الخلفاء ؟ فالخلفاء قد نهجوا نهج رسول الله فيهم ، إذن فلا لوم عليهم إذا لم يستعملوهم فى أى عمل من أعمال الحكومة .

وعلى كل فتعيين العمال والولاة والقضاة والجباة أمر يعود إلى اختيار الخليفة والخليفة لابد قد حزر الرجال وخبرهم فهو المسئول عن المصلحة قبل غيره وهم بزمانهم ورجالهم أعرف .

تقول وللمجيب أن يجيب فيقول إن امتناع الخلفاء عن استعمال بنى هاشم إن صح فهو دليل آخر على سيرة الإمام معهم أو استعماله خطة يخشون معها أن يأخذ هو وقومه ناصية الأمر إن تولوا عملا من الأعمال .

أقول هذا الجواب حدس وتخمين وماهو بالدليل القطعى على أن الخليفة يخشى إن استعمل واحداً منهم أن يسيروا على خطة الخروج والثورة وشق العصا ، فنحن بدورنا لانرضى أن نقر بذلك لهم لأن عملا كهذا لايصح أن يصدر من هاشمى بايع

خليفته على السمع والطاعة مع التوثق بعهد الله وأيمانه ثم يعود فينقض البيعة ويخل بالعهود والأيمان فتثور الفتن وتشل حركة المسلمين فيطمع العدو بها من كل جانب وتتلاشى من الوجود . والرسول (ص) كثيراً مايحث على التمسك بالوحدة والاتجاه الموحد وجمع المسلمين تحت راية واحدة حيث قال من فرق فليس منا والقرآن الكريم يوصى بإلحاح (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) .

وعليه فيصبح بنو هاشم ، أول من ابتدع حركة الخروج والانفصال ، وإثارة الفتن ، والحروب الداخلية الأهلية ، وهل يعد هذا عملا مشروعا ؟ وهل تقف الحكومة مكتوفة اليدين تجاه هذا التمزق فى جسم الدولة ، بعد أن استوثق الخليفة منهم الطاعة ، وولاهم أعمال الرعية ، وائتمنهم عليها ، فهذه تعتبر فى نظر الأمم خيانة وغدرا ، ولا سيما إذا كانت أعمال الحكومة عادلة ، وسيرة الخليفة مرضية ، فلا يحق لأحد ، بل لا يجوز له أن يخرج ، أو يشاغب ، أو يسعى لنفسه بعد استقرار الأمور ، واستتباب الأمن ، وإجراء العدالة ، وإعطاء كل ذى حق حقه .

تقول : فهو دليل آخر على سيرة الإمام معهم ، واستعماله خطة يخشون معها ، إلى آخر كلامك .

أقول : إذن فإن علياً وبنى عمه ، كانوا ينتهزون الفرص ، فى استغلال مناصبهم للقيام على الخلافة الإسلامية الشرعية ،

وإعلان العصيان والانفصال عن جسم الدولة ، والاستقلال بالحكم الذاتى ، فيتحملون بسبب ذلك تبعة هذا الخروج على الدولة الإسلامية المستقرة المجاهدة من : سفك الدماء ، وهتك الحرمات ، وإتلاف الأموال ، وتعطيل حركة الفتوح والجهاد ، وتوقيف الحركة العمرانية والاقتصادية ، وغير ذلك من أمور الدولة الهامة ، ومع ذلك فالنتيجة مجهولة غير مضمونة النجاح ، للثائر فى ذلك الدور ، لأن الجند ، والقواد ، والعمال ، والناس عامتهم وخاصتهم ، كانوا كلهم مخلصين للخليفة ، سامعين له ، ومطيعين لأوامره إلى حد بعيد ، فلا يتصور أن تغلب حكومته أو تجبن ، تجاه فئة ضئيلة تشذ فى حركتها ، وتودى بنفسها إلى الهلاك ، وتصبح مسئولة أمام الله ، وأمام الأمة ، وأمام الوطن ، وهل يفكر أحد أن يقوم على الخلافة بشرذمة قليلة ، بعد أن رأى حركة المرتدين ، وحرب المتنبئين الأشداء فى جمعهم وجموعهم ، وعددهم وعددهم ، وقوة شكيمتهم ، وشدة بأسهم ، وكيف قضى الخليفة العظيم أبو بكر على هؤلاء ، وأخمد ثورتهم ، واستقرت الجزيرة ، وخضع سكانها له . فهل يطمع بعد هذا أحد أن يحرك ساكنا أو يهمس شفة ؟ هيهات .

تقول : على أنا لا نعدم شاهدا على أن علياً هو الذى كان يمتنع عن قبول أعمالهم . فلنستمع إلى الحديث الذى جرى بين الخليفتين عمر وعثمان .

يشير عثمان على عمر : ابعث رجلا أى لحرب فارس له تجربة بالحرب ومضربها .

عمر : من هو ؟

عثمان : على بن أبى طالب .

عمر : فالقه وكلمه وذاكره ذلك فهل تراه مسرعاً إليه ؟

فيخرج عثمان ويلقى عليا فيذاكره فيأبى على ذلك ويكرهه .

تأمل استفهام عمر وشكه فى قبول على ثم امتناع على وكراهيته للأمر وما يستنتج من ذلك .

من هذا وأمثاله نعرف ماذا كان على يتبع فى سيرته مع القوم وما كان يجرى عليه فى معاملته معهم حتى كان يخفت صوته فى جميع الحروب والمواقف .

أقول : يتبين من هذا حسب قولك أن الخلفاء هم معذورون وفى حل لامتناع على عن قبوله خدمة الإسلام فى عمل مدنى أو عسكرى أو أى عمل من أعمال الدولة الإسلامية والاشتراك مع المسلمين فى أعمالهم الدولية ومساعدته لهم وهى فى حاجة شديدة إلى المؤازرة والمساندة والنضال والتوسع فى رقعتها . فلم لم ينضم على فى جملة القوم ويصبح عضواً عاملا لله ولوطنه ولدينه وإعلاء كلمة الله كما انضم غيره من كبار القوم وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وخدمة الإسلام فخرجوا عن التبعة والمسئولية ؟ فقد أسهم كل حسب طاقته واختصاصه فى الذب والدفاع عن حوزة

المسلمين والسعى المجهد المتواصل فى نشر كلمة الله وإعلاء شأن الدين الإسلامى وتوسيع دائرته .

وليت شعرى هل كان على (رضى) يمتنع عن قبول أعطيات الخلفاء من غنائم الحرب ومن موارد الدولة الأخرى كالجبايات والجزية وغيرها من الرسوم الأميرية كما كان يمتنع عن قبول اشتغاله مع الحكومة ومساعدته لها استنكافا أو تبرما أو استحراما منه فى مشاركته لها وسعيه معها ؟ لا ندرى .

تقول : تأمل استفهام عمر وشكه فى قبول على ثم امتناع على وكراهيته للأمر وما نستنتج من ذلك .

أقول نعم : تأملنا استفهام عمر وشكه فوجدناه واقعاً صحيحاً تأملنا امتناع على وكراهيته للأمر فوجدناه صحيحا واستنتجنا من ذلك أن عليا إما أن يكون أخلد إلى الراحة فى أمن وأمان تحت ظل الخلافة والأرزاق جارية عليه وعلى أولاده وأقاربه يتقاضونها من خزينة الدولة عطاء غير مجذوذ فى أرغد عيش وأهنئه . فما الحاجة إذن إلى عناء العمل أو خوض الحروب والمخاطر . وإما أن يكون حاقدا على الحكومة وأهلها متباعداً عن خدمتها لأنها حكومة غاصبة قد غصبت حقه المنصوص أو ملكه الموروث كما تدعى السقيفة أو من على شاكلتها لذا خفت صوته فى جميع الحروب والمواقف وحرم على نفسه حضور الوقائع الشهيرة والمشاهد الحرجة فى الساعات الحرجة الضيقة ، وحرم من فخر النصر والظفر والفتوح ونيل الأجر العظيم .

فقد ظهر من هذا وثبت أن عليًّا وبنى عمه هم الذين كانوا يرفضون الانخراط فى سلك الأعمال الحكومية ، لا أن الخلفاء كانوا غير مطمئنين منهم فلا يقربونهم ولا يولونهم عملا من الأعمال ولا كانت من الخلفاء جفوة فى حقهم ولا جفاء ، إذن فلا لوم على الخلفاء ولا عتاب .

تقول اللهم إلا صوته إذا استشير ونبراس علمه إذا استفتى حتى اشتهر عن عمر كلمته : لولا على لهلك عمر ، ولا كنت لمعضلة ليس لها أبو الحسن .

أقول : إذا كان على لم يشترك مع القوم فى حرب أو مساعدة فعلية ، وهو لم يزل ساخطاً غضبان كيف يسخو بإبداء نصيحة ، أو إشارة حكيمة أو إرشاد أو رأى ، وهو يعتقد أن القوم ظلموه ولم يرعوا له حقاً ، وربما كان يجول فى خاطره شىء ضدهم أو يتمنى فى نفسه ما يتمنى ، وهذا كما تدعيه أشياعه اليوم ، وكما سطره فى دفاترهم قدماؤهم حيث صرحوا بأن علياً كان من جملة المتآمرين على اغتيال عمر (رضى) ، وأن علياً هو رئيس الثورة والحركة التى قامت على عثمان (رضى) ، وكان راضياً بقتله إذ كان ربيبه محمد بن أبى بكر هو الذى دخل على عثمان مع أفراد من عصابته الفجرة وقتلوا عثمان فى بيته ، وعلى يعلم بذلك وقد صدر عن أمره. فإذا كان الأمر كذلك فكيف تسمح له نفسه بمساعدة قولية أو فعلية لمن يعتقد فيهم أنهم خصماؤه . والحق أن القوم كانوا

يحسون منه ذلك ، وقد كانوا فى غنى عن مشاورته بخصوصه ، أوأخذ رأيه الشخصىفقط ، وإنما كان الخليفة إذا حزبه أمر جمع أهل الرأى والعلم من كبار الصحابة فيعرض عليهم تلك الواقعة ليبدى كل واحد رأيه بصورة عامة فيأخذ الخليفة بما هوالأصوب والأرجح ، أو يأخذ برأيه الفردى إذا ترجح عنده ويعمل بمقتضاه ، وهذا هو الواقع والصحيح . على أن خليفة كأبى بكر كثيراً ما كان يمضى أعماله برأيه السديد وعزمه وحزمه كما هو مشهور عنه .

فقد كان (رضى) أعلم الصحابة وأبصرهم بالإدارة وقد سير الأمور على وجه الحكمة والسداد ، ولذا كانت أعماله متقنة كلها فى تدبير وكياسة وحصافة .

وكان كذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ملهماً محدثاً عالماً حقوقيًا فقيهاً إداريًاسائساً دبر أمورالمملكة برأيه الصائب وهمته الشماء ، وكان فاتحاً عظيما ومجاهداً كبيراً وملكا عسكرياً وإماماً عادلا وإمبراطوراً خطيراً ، فأصبحت خلافته إمبراطورية ضخمة واسعة الأطراف قضى على دولتين عظيمتين فى الأرض دولةقيصر ودولة كسرى فى مدة خلافته الوجيزة وهى عشرسنوات ، ولم نعلم أن حكومة أبى بكر أو حكومة عمر كانت موفقة متقدمة ناجحة برأى على (رضى) ، أو نصائحه أو إرشاداته وحده فقط . وكيف غابت عن على هذه الإرشادات والآراء القويمة حين آلت الخلافة

إليه ، وقد قامت أطراف المملكة عليه و نازعته حتى قضى إمارته كلها بالحروب الأهلية إلى أن اغتيل .

أما قولك : حتى اشتهر عن عمر كلمته إلى آخر زعمك ، فهو كذب والله وغير صحيح ، بل ولا أصل له ، وهذا الاشتهار عنه اشتهار كاذب وضعه ودسه أعداؤه فتناقله المغرضون ، وقد قبله البله المغفلون ، وأن أمير المؤمنين عمر هو أعلى وأرفع همة وأكبر نفساً من أن يتنازل إلى هذه الدرجة ويعترف لشخص بشيء ، وهو أكبر وأعظم وأعلم وأدرى وأكيس منه .

وكانت همته تأبى أن يستشير رجلا وذلك الرجل هو كاره لحكومته ناقم فى نفسه عليه وعلى سلطانه كما تزعمون . وعمر (رضى) أيضاً كان يعرف ذلك منه جيداً . ومن ظن بقولى المبالغة فى وصف عمر وسيرته فى خلافته فليقرأ كتب التاريخ النقية الصحيحة لا المدسوسة والمغشوشة من قبل الغرباء أو الأعداء ثم لم يصح عن عمر أنه استفتى علياً فى قضية يجهلها عمر أبداً . كيف وهو أفقه الصحابة بعد أبى بكر والعالم الربانى كما لم يثبت فى يوم من الأيام أن عمر (رضى) استشار عليا وحده بخصوصه عن حادث سياسى أو حربى أو مالى أبداً وقطعاً .

وأما ماورد من بعض النقول والروايات عن عمر (رضى) من تنازله أحيانا وتجهيله نفسه أو عدم وقوفه على هذه الواقعة وأن غيره عرفها وأنه استفتى فلاناً فى بعض القضايا البسيطة التى

لايجهلها حتى العوام فهذا كله كذب وافتراء وموضوع وضعه أعداؤه عليه حطا لكرامته وتشويها لسمعته وقد تناقلها البسطاء الخرافيون الجامدون السذج الذين لم يمحصوا الوقائع والحوادث ولم يفحصوها بعقل سليم وفكر مستنير .

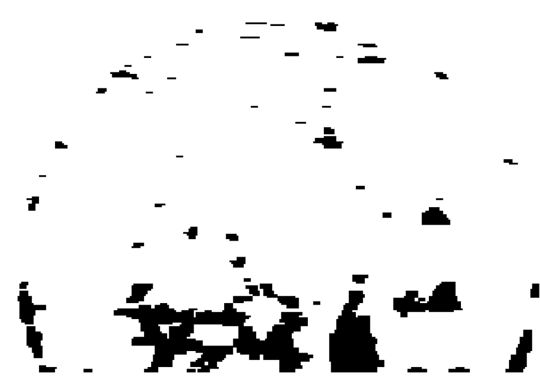
ثم إن هذا الاشتهار وهذا النقل يتنافى مع زعمكم ياصاحب السقيفة وادعائكم من أن عمر هو الذى حال بين على والخلافة وأن بين نفوس القوم بغضاء وأحقادا ، وأن عمر كان يسعى لتأخير على إلى غير ذلك من المزاعم والتهم المفضوحة . فاذا صح أن عمر كان يكره علياً وأن عليا كان يكره عمر فكيف تلين قناة عمر ليستغنى عن على ؟ وكيف يأمنه فى استشارته ولاسيما إذا كانت فى حوادث دولية هامة عصيبة وكيف يخلص له على فى فتواه ومشورته وبينهما ما بينهما من جفاء وجفوة وأحقاد كامنة فى الصدور كما تدعون .

وتعال معى أيها الزاعم نتتبع الأحداث والوقائع فى عهد على وخلافته لننظر إلى المآسى والمجازر التى حدثت بين المسلمين والمسلمين فقط ، لتعرف كيف اختلت موازنة الدولة ولم تتعادل كفتاها ، وقد حاقت به وبالمسلمين المخاطر من كل جانب فى ظروف جرت البلاد إلى المعاطب ، وأودت بها إلى المهالك ، وكادت تقضى على المسلمين فى مدة خلافته اليسيرة ، وهى أربع سنوات . أهو الذى لولاه لهلك عمر ، أو لولا مشورته ونبراس علمه لتوقف

دولاب الخلافة البكرية أو العمرية عن نظام سيره وحركته ، أو لتأخرت البلاد إلى الوراء ، ولما حصلت هذه الفتوحات الواسعة ، ولما دونت دواوين الدولة ، ولما مصرت الأمصار ، ولاختل نظام الحكومة ، وتفسخت أوصالها ؟ كلا . فهذا عمر وهذه آثاره . فإن كنت تجهله أيها المغرض ، فسل عنه بسمارك ، ونابليون . هل ترى فى الوجود ملكا مثله ، أو فى الكون شبهه ؟ كلا والله كلا .

فعمر عظيم وعظيم جدا ، لا يشق له غبار ، ولم يلحق شأوه أحد من الخلفاء ، ولا من الملوك والأمراء .

وإلى هنا انتهت السقيفة ، وانتهت عليها الردود الشريفة .
فى سنة ١٣٦٨ هجرية ؟



يطلب من مكتبات :

الخانجى بمصر والمثنى ببغداد

والمكتبة العربية ودار اليقظة العربية بدمشق

والمعارف فى بيروت والنهضة السودانية بالخرطوم

ودار الكتاب بالدار البيضاء



